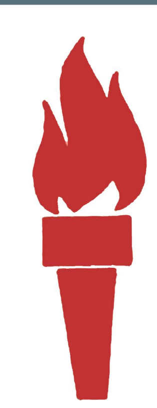
النظرية الماركسية-اللينينية



التقدم

افاناسيف

الاشتراكية والشيوعية

النظرية الماركسية-اللينينية

افاناسييف

الاشتراكية والشيوعية

دار التقدم
موسكو

ترجمة سليم توما

В. Г. Афанасьев
СОЦИАЛИЗМ И КОММУНИЗМ
На арабском языке

الى القراء

ان دار التقدم تكون شاكرة لكم اذا تفضلتم وابديتم لها ملاحظاتكم حول ترجمة الكتاب ، وشكل عرضه ، وطباعته ، واعربتم لها عن رغباتكم .

العنوان : زوبوفسكى بولفار ، ١٢
موسكو – الاتحاد السوفييتى

طبع فى الاتحاد السوفييتى

A $\frac{10504-015}{016(01)-77}$ 540—77

الفصل الاول

علم الاشتراكية والشيوعية

تؤلف **نظرية الاشتراكية العلمية** جزءا مكوّنا من الماركسية – اللينينية . وقد برهن هذا العلم الحتمية التاريخية لاستبدال المجتمع الرأسمالى بمجتمع جديد ، اشتراكى . ووضع اسسه ك . ماركس وف . انجلس .

١ – الحتمية التاريخية لانتصار الاشتراكية

ماركس وانجلس مؤسسا علم الاشتراكية والشيوعية

فى غضون الفترة الممتدة من القرن السادس عشر حتى اواخر القرن الثامن عشر حلّت الرأسمالية محل الاقطاعية فى عدد من بلدان اوروبا الغربية ، فكان ذلك نتيجة لاستتباب الانتاج الآلى ، كما كان فى الوقت نفسه دافعا لتطور الانتاج والتكنيك والعلوم الطبيعية بصورة عاصفة . واخذت تنشأ ، محل الحرف والمانيفاتورة ،

المصانع والمعامل والمناجم ؛ وراحت طاقة العضلات البشرية والماء والهواء تخلى المكان لطاقة البخار الجبارة ، ومن ثم لطاقة الكهرباء . وخلال هذه الحقبة القصيرة نسبيا ، قرنين او ثلاثة قرون ، تم فى ظل الرأسمالية القيام بعمل فى ميدان تطوير الانتاج اكبر كثيرا مما تم القيام به خلال مجمل تاريخ البشرية السابق . بيد ان الرأسمالية لم تخفف من وطأة نصيب الانسان الكادح : فقد بقى الاستغلال هنا ايضا كما كان فى ظل العبودية والاقطاعية . وعلاوة على ذلك حوفظ فى جملة من بلدان الرأسمالية على بقايا الاقطاعية ايضا ، وغالبا ما يكتمل النير الرأسمالى بالنير الاقطاعى . ونتيجة لذلك اخذ يتعاظم استياء الجماهير الكادحة ويتفاقم النضال الطبقى ، النضال بين ارباب العمل وبين العمال المأجورين المحرومين من وسائل الانتاج .

ولم يكن للتغيرات الاجتماعية التى تمت الا ان تؤثر على حياة المجتمع الروحية ايضا . وظهرت أولى التعاليم الطوباوية عن الاشتراكية ، التى انعكس فيها احتجاج الجماهير الشعبية ضد الاوضاع الاجتماعية القائمة . وكانت هذه التعاليم تتضمن انتقادا لاذعا للمجتمع الرأسمالى ، وتعبر عن ضرورة استبداله بمجتمع جديد : الاشتراكية ، الشيوعية . ولم تكن التصورات عن هذا المجتمع الجديد ناضجة ، ولا متكونة فى نظام متتابع من الآراء . الا ان اصحاب هذه التعاليم كانوا يؤمنون ايمانا راسخا بانه سيكون مجتمعا خاليا من الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ومن استثمار الانسان للانسان ، مجتمعا يعيش فيه اناس متساوون فى الحقوق والواجبات . بيد ان التعاليم الاشتراكية الاولى – وهنا

تكمن طوباويتها وعدم قابليتها للتحقيق – لم تعط اجوبة صحيحة قائمة على اسس علمية على الاسئلة التالية : **كيف ، وبأية طريقة** ينبغى القضاء على الرأسمالية ، **ومن بالضبط واية** قوة اجتماعية قادرة على ازالة الرأسمالية وبناء مجتمع جديد .

وكان اصحاب هذه التعاليم يقترحون مختلف الوصفات . كان بعضهم يعتقدون بانه يكفى فقط توجيه طلب الى الطبقات المالكة بان تتنازل دون مقابل عن الملكية والسلطة والامتيازات لصالح الاكثرية حتى تخلى الرأسمالية المكان للاشتراكية . وكان آخرون يقترحون اقامة المجتمع الجديد بواسطة تعليم وتثقيف الشعب فقط . وعمدت فئة ثالثة الى وضع مختلف المشاريع «للجاليات الشيوعية» ، بل وحتى اقاموا مثل هذه «الجاليات» . وكانت جميع هذه التوصيات والمشاريع ، بالطبع ، غير قابلة للتحقيق . ومما له دلالته ان طوباوية التعاليم الاشتراكية الاولى وعدم اهليتها للتنفيذ لم تكن عيبا على اصحابها بل مصيبة لهم . فلم تكن قد نضجت بعد فى ذلك الزمن الظروف الواقعية من اجل انتصار المجتمع الجديد ، ومن اجل وضع علم الاشتراكية والشيوعية ، على حد سواء . وكانت النظريات الاشتراكية غير الناضجة تطابق حالة المجتمع غير الناضجة .

وضع علم الاشتراكية والشيوعية **كارل ماركس** (١٨١٨ – ١٨٨٣) **وفريدريك انجلس** (١٨٢٠ – ١٨٩٥) . وقد بدأ نشاطهما العملى والثورى فى المانيا فى اربعينات القرن الماضى . وكان ذلك زمن تطور الرأسمالية العاصف التى تثبتت بصورة راسخة فى جملة من بلدان

اوروبا واميركا الشمالية ، وزمن تطور الطبقة الجديدة — البروليتاريا الصناعية وولوجها طريق النضال الثورى .

وكان يخيّل للناس وكأنه ليس لسيطرة البرجوازية من آخرة . الا ان ذلك كان مجرد تخيل ليس الا . وماذا فى الواقع ؟ لقد دوّت فى عام ١٨٤٨ كلمات «بيان الحزب الشيوعى» النبوئية حيث بيّن ماركس وانجلس ان المجتمع الرأسمالى ، القائم على الملكية الخاصة والاستثمار ، يجب عليه ، وبنفس الحتمية التى حل هو بها محل الاقطاعية ، ان يخلى المكان لمجتمع خال من الاستثمار والعبودية — المجتمع الشيوعى ، وان البشرية تسير نحو الثورة الشيوعية العظيمة . واعلن ماركس وانجلس : «فلترتعش الطبقات الحاكمة امام الثورة الشيوعية» * . لقد انتهى زمن الاشتراكية الطوباوية وبدأ عهد الاشتراكية العلمية .

وخلافا للاشتراكية الطوباوية ، بما تنطوى عليه من افتراضات لا تقوم على اساس ومن تمنيات طيبة ، تقوم اشتراكية ماركس وانجلس العلمية على **ارضية الدراسة العميقة للواقع الرأسمالى الحقيقى وعلى الادراك العلمى لقوانين تطور المجتمع .**

الاسس النظرية للاشتراكية العلمية

يكمن الفضل الضخم لماركس وانجلس فى انهما اكتشفا **فهم التاريخ فهما ماديا . وإن** كان ممثلو علم الاجتماع يعتقدون سابقا بان تطور التاريخ يتحدد

---

* ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ٤ ، ص ٤٥٩ .

بأفكار وآراء الناس ، فقد انطلق ماركس وانجلس من ذلك الواقع الجلي القائل بانه ينبغي على الناس قبل تعاطى السياسة والفلسفة والفن ، اى الحياة الروحية ، ان يملكوا الحد الادنى الضرورى من الخيرات المادية (غذاء ، لباس ، مسكن) . ومن اجل الحصول على هذه الخيرات يجب على الناس ان يشتغلوا ، ان ينتجوا . **فالنشاط العلمى للناس والانتاج المادى يشكـــلان ، بالذات ، اساس التطور الاجتماعي** . وقد بيّن ماركس وانجلس ، بكشفهما الاساس المادى للتطور الاجتماعى ، ان التاريخ ليس كومة من المصادفـــات بل **عملية حتمية طبيعية ضرورية** لاستبدال الانظمة الاجتماعية بانظمة اجتماعية اخرى ارقى واكمل ، علما بان تقدم الانتاج المادى يقع فى اساس هذا الاستبدال . فقد اخلت المشاعية البدائية المكان للمجتمع العبودى ، والمجتمع العبودى للمجتمع الاقطاعى ، وهذا الاخير للمجتمع الرأسمالى .

واذا كان تطور المجتمع عبارة عن عملية حتميـــة لاستبدال انظمة اجتماعية بأخرى فينبغى على المجتمع الرأسمالى ، هو الآخر ، ان يفسح المجال ، لا محالة ، امام المجتمع الجديد ، الاشتراكى .

وقد اتسم اكتشاف ماركس **للقيمة الزائدة** بأهميـــة كبيرة بالنسبة لفهم جوهر الرأسمالية فهما علميـــا ولاثبات الاشتراكية . وبهذا بالذات هتك سر اسرار الرأسماليـــة – مصدر الربح الرأسمـــالى ، مصـــدر الاستثمار الرأسمالى . فالعامل فى المجتمع الرأسمالى محروم من وسائل الانتاج (المصانع ، الآلات ، وسائط النقل الخ) ، ملكيته الوحيدة هى قوة عضلاتـــه ، اى

قدرته على العمل وعلى انتاج القيم المادية . وهو مضطر ، من اجل البقاء على قيد الحياة واعالة اسرته ، ان يتوجه الى مالك وسائل الانتاج – الرأسمالى ، ويبيعه قوتــــه الجسدية .

وتعقد بين العامل والرأسمالى صفقة تجارية . فالعامل يبيع قوة عمله والرأسمالى يشتريها ؛ العامل يشتغــل والرأسمالى يدفع له الاجرة . وبعد ان تمعّن ماركس فى جوهر هذه الصفقة بيّن انها بعيدة عن ان تكون صفقة متكافئة كما قد يبدو لأول وهلة . فالواقع ان قوة العمل هى بضاعة خاصة قادرة على انتاج قيم مادية . وعليه فان القيم التى تنتجها تساوى اكثر بكثير مما يدفعه الرأسمالى لقاءها على شكل اجرة . فالرأسمالى يدفع جزاء فقط من قيمة المنتجات التى يصنعها العامل ، اما الجزء الباقى فيستولى عليه هو . وفى هذا بالذات يكمن جوهر الاستثمار الرأسمالى .

وليس فى نية الطبقة العاملة ، بالطبع ، التسليــــم بالوضع القائم . وهى تنخرط فى النضال ضد مستعبديها الرأسماليين . فالصراع الطبقى بين العمال والبرجوازية امر لا مفر منه ، وهو ينبع بالضرورة من استحالــــة التوفيق بين وضع هاتين الطبقتين الاقتصادى والسياسى فى المجتمع ، ومن طموح الطبقة العاملة الحتمى نحو تغيير هذا الوضع والتحرر من الاستثمار واقامة سيادتها فى المجتمع . وهذه السيادة يجب ان تعود للطبقــــة العاملة بحكم كونها منتج جميع القيم المادية .

الثورة الاشتراكية وسيلة
لاستبدال الرأسمالية بالاشتراكية

احدثت الرأسمالية تطورا عاصفا للقوى المنتجـــة بانشائهـــا انتاجا آليا ضخمـــا فى البلدان المتطورة وبتطويرها العلـــم والثقافـــة . وقضت على التشتت الاقطاعى والانكمـــاش على النفس ، واقامت اقتصادا عالميا ، ونشرت نظام الاستثمار الرأسمالى فى العالم باسره عمليا ، وجعلته قاسيا وتخريبيا على وجه خاص بالنسبة لأغلبية شعوب العالم ، التى حولتها الى عبيد للمستعمرين بقوة السلاح .

ويعود سبب النمو السريع للانتاج الى حوافز **كالربح الرأسمالى والمنافسة الرأسمالية** . فالرأسمـــالى ، فى ركضه وراء الربح وفى سعيه لسحـــق منافسيـــه فى السوق ، يعمل على توسيع الانتاج واتقان التكنيـــك وتحسين التكنولوجيا فى الصناعة والزراعة . الا ان نتاج الانتاج الرأسمالى يصب ، بقسمه الاكبر وعلى شكل ارباح ، فى جيوب الرأسماليين ، الملاكين ، الذين تعود لهم وسائل الانتاج الاساسية . اما بالنسبة للجمهور الساحق من اعضاء المجتمع – الكادحين ، الذين يخلقون قيما هائلة ، فهم محرومون فى الغالب من وسائل العيش الضرورية . ويأخذ الانتاج فى الاتساع والنمو ، فى حين تبقى القدرة الشرائية لدى السكان متخلفة عن نمـــو الانتاج . وتتلخص النتيجة فى استخدام غير كامـــل للقدرات الانتاجية ، وازمات فيض انتاج البضائـــع ، وركود اقتصادى ، ونشوء وانتشار البطالة .

هكذا تكشف الرأسمالية التناقض العميق فى تطورها

الاقتصادى - **التناقض بين الطابع الاجتماعى لعملية الانتاج وبين شكل التملك الرأسمالى الخاص** . فالانتاج فى ظل الرأسمالية يرتدى طابعا اجتماعيا جليا ، اذ تشترك فيه ملايين من الجماهير الكادحة المتمركزة فى مؤسسات ضخمة ، فى حين ان ثمار عمل هذه الملايين تستولى عليها حفنة ضئيلة من كبار الملاكين . لنأخذ على سبيل المثال انتاج سيارة . فمن اجل صنع سيارة يلزم معدن . والمعدن يستخرج من الخامات . وهذا يعنى انه يشترك فى انتاج السيارة عمال المناجم الذين يستخرجون الخامات وعمال التعدين الذين يحولون الخامات الى معدن . ثم أن آلافا وآلافا من العمال يصنعون قطعا كثيرة العدد للسيارة توضع من ثم على خط الناقل بغية تجميع السيارة . وليس ذلك كل شىء بعد . فمن اجل انتاج سيارة تلزم طاقة كهربائية ومبان انتاجية ووسائل نقل المواصلات وكثير غيرها . وهذا يعنى انه يعمل فى صنع السيارة عمال الطاقة والنقل والمواصلات . وبكلام آخر نقول انه تشترك فى صنع السيارة جماهير غفيرة من العمال . وها قد اصبحت السيارة جاهزة ، وبيعت . الا ان القسم الاكبر من اموال بيعها قد استأثر به صاحب مصنع السيارات : رأسمالى منفرد او حفنة ضئيلة من الرأسماليين ، الأمر الذى يشكل اجحافا صارخا للعيان . وازالة هذا الظلم امر ممكن بطريقة واحدة فقط : القضاء على الملكية الخاصة **لوسائل الانتاج** وعلى الاستثمار ، واقامة الملكية الاجتماعية (العائدة للشغيلة) لوسائل الانتاج الاساسية ، واقامة التعاون بين اناس العمل على هذا الاساس ، واتباع المبدأ العادل فى التوزيع : الخيرات مُلك

للذين يصنعونها ، للذين يعملون . ومن لا يعمل لا يأكل .

يصنعونها ، للذين يعملون . ومن لا يعمل لا يأكل .

بيد انه من المعروف جيدا ان طبقة الرأسماليين لا تتخلى بطيبة خاطر عن وسائل الانتاج التى تمكنها ملكيتها لها من استثمار الكادحين ، وعن امتيازاتها وعن سيادتها فى المجتمع . ثمة وسيلة واحدة فقط للقضاء على الملكية الخاصة والاستثمار – **نضال العمال الطبقى ضد البرجوازية ، والذى تعتبر الثورة الاشتراكية اعلى اشكاله وتتويجا له** . فالثورة الاشتراكية تحطم سيادة البرجوازية ، وتقيم سلطة الطبقة العاملة وكافة الكادحين ، وتشق الطريق امام بناء المجتمع الاشتراكى .

وعليه ، فان الثورة الاشتراكية تستند الى اساس اقتصادى محدد – التناقض فى الانتاج الرأسمالى ؛ وهى بمثابة ضرورة تاريخية . وتنبع هذه الضرورة من المتطلبات نفسها لتطور الانتاج الذى تضيق به حدود الرأسمالية والذى تتطلب طبيعته الاجتماعية نفسها القضاء على الملكية الرأسمالية الخاصة واقامة الملكية الاشتراكية ، الجماعية .

وعليه ، فان الفهم المادى للتاريخ وتحليل القوانين الموضوعية للتطور الاجتماعى والتناقضات الداخلية الملازمة له قد قادا ماركس وانجلس الى طرح نظرية الثورة الاشتراكية بوصفها الوسيلة **الضرورية والوحيدة** لاستبدال الرأسمالية بالاشتراكية ، والمقدمة التى لا بد منها من اجل تحرير الانسان الكادح وخلق شروط وجوده الحر الخليق بالانسان .

لم يكتف ماركس وانجلس بتبيين الثورة الاشتراكية باعتبارها الوسيلة الوحيدة للاطاحة بالرأسمالية واقامة الاشتراكية ، بل كشفا للتاريخ ايضا القوة الاجتماعية التى تشكل القوة الوحيــدة القادرة على القيام بالثورة الاشتراكيــــة . **وهذه القوة هى الطبقة العاملة . ان الرسالة التاريخية العظيمــة للطبقــة العاملـــة ، للبروليتاريا ، هى اعتاق نفسها وجميع الكادحين بواسطة الثورة الاشتراكية ، والقضاء على الرأسمالية ، واقامة المجتمع الانسانى حقًا – الاشتراكية** . وقد كتب لينين يقول : «ان الجوهرى فى مذهب ماركس هو انه اوضح دور البروليتاريا التاريخى العالمى بوصفها بانية المجتمـــع الاشتراكى» * .

ان اولى وأهم مهمات الثورة الاشتراكية هى الاطاحة بسلطة البرجوازية ، والتحطيم الجذرى لماكنة الدولة القديمة ، وانشاء دولة جديــــدة – دولة دكتاتوريـــة البروليتاريا . وفى هذه الدولة تعود السلطة للكادحين انفسهم برئاسة الطبقة العاملة .

لماذا توصّل ، اذن ، ماركس وانجلس الى الاستنتاج القائل بانه تعود للطبقة العاملة بالذات الرسالة العظيمة لتحرير الانسان الكادح والبشرية باسرها ؟

ذلك ، اولا ، لأن الطبقة العاملــــة هى **اكثر طبقات المجتمع الرأسمالى ثورية . فهى محرومة من الملكية الخاصة لوسائل الانتاج وتعتبر اكثر الطبقات استثمارا**

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٣ ، ص ١ .

فى المجتمع الرأسمالى . وهى مضطرة ، بسبب حرمانها من الملكية ، الى العمل لحساب الرأسمالى ، والى التعرّض للاستثمار الرأسمالى . وليست الطبقة العاملة وحدها عرضة للاستثمار فى المجتمع الرأسمالى ، بل وكذلك الفلاحون ، والبرجوازية الصغيرة فى المدينة . الا ان الفلاحين والبرجوازيين الصغار ، خلافا للطبقة العاملة ، يحوزون على ملكية ، على ادوات ووسائل عمل محددة ، الامر الذى يجعلهم يقتربون من البرجوازية بدرجة معينة ويولّد لديهم التذبذب السياسى والتأرجح . اما بالنسبة للعامل فان ملكيته الوحيدة هى يداه العاملتان اى قدرته على العمل . وعليه ، فان مصيره ومصير عائلته واقربائه وذويه يتوقف على لعبة الاقدار العمياء ، وعلى ما اذا كان يوجد ثمة طلب على عمله ، على يديه العاملتين .

لذلك فان للطبقة العاملة ، لهذا السبب بالذات ، واكثر من اية طبقة اخرى كانت ، مصلحة فى القضاء على الملكية الخاصة والاستثمار ، وهذا يعنى انها **اكثر الطبقات ثورية** واشدها خصومة للرأسمالية . والثورة الاشتراكية ، المدعوة الى القضاء على الرأسمالية واقامة الاشتراكية ، قضية حميمة ، حيوية بالنسبة للطبقة العاملة ، وهدفها المنشود ، ورسالتها . وليس لديها ما تفقده فى الثورة سوى اغلالها ، ويمكنها بالثورة ان تحصل على كل شيء – وسائل الانتاج والسلطة السياسية ، وبهذه الاخيرة على حق التمتع بجميع منجزات الثقافة المادية والروحية .

وتعتبر الطبقة العاملة اكثر الطبقات ثورية ايضا لانها مرتبطة **بالشكل التقدمى للاقتصاد – الانتاج الآلى**

الضخم . فالمستقبل هو لهذا الانتاج ، وبالتالى فان الطبقة العاملة مرتبطة بمستقبل الانتاج ، بمستقبل البشرية بأسرها .

بيد ان المسألة لا تنحصر فى ذلك فقط . اذ ان ظروف تطور الانتاج الرأسمالى نفسها تجعل الطبقة العاملة اكثر الطبقات **تنظيما** واكثرها **انضباطا** . فالبرجوازية ، بانشائها صناعة ضخمة ، ركزت العمال فى مدن ضخمة ، وفى معامل ومصانع عملاقة . ويشتغل العمال بصورة مشتركة ، فى اسر عمل كبيرة ، لذا فسرعان ما يقبلون، وقد انخرطوا فى النضال ضد البرجوازية ، على ادراك ، ضرورة التنظيم والانضباط الاشد صرامة . وهم يقتنعون بان ظروف عملهم وحياتهم قاسية فى كل مكان ، وانه يواجههم فى كل مكان نفس المستثمر – الرأسمالى . ومن هنا ينشأ لدى العمال ويتطور الوعى الطبقى ، والسعى الى التوحد ليس فقط على النطاق الانتاجى بل والوطنى ايضا ، ومن ثم الأممى . وتنشىء الطبقة العاملة منظمات خاصة بها : النقابات والتعاونيات وصناديق التأمين ، واخيرا الحزب السياسى الذى يضطلع بقيادة نضالها .

ان ظروف عمل ومعيشة الطبقة العاملة تجعلها اكثر الطبقات مقدرة على استيعاب الافكار الثورية التقدمية وامتلاك ناصية النظرية الطليعية . والواقع انه لا يوجد لدى غالبية العمال الوقت والاموال والمعارف الكافية من اجل وضع هذه النظرية . ومن هنا تنشأ مهمة ايصال الوعى الاشتراكى الى الحركة العمالية وربط الاشتراكية بها . وهذه المهمة الكبيرة ينفذها بالذات الحزب السياسى للطبقة العاملة ، الحزب الذى يتوحد فيه

الممثلون الطليعيون للطبقة العاملة ، وللمثقفين الذين يقفون الى جانب مواقعها ويدافعون عن مصالحها .

والمقصود بذلك هو **الحزب الماركسى الثورى** ، القادر وحده على ايصال افكار الاشتراكية العلمية الى الطبقة العاملة ، وتنظيمها من اجل النضال ضد الرأسمالية وقيادة هذا النضال ، ومن اجل الصراع الناجح مع الايديولوجيا البرجوازية ومختلف اعوان البرجوازية .

ويشكل اقامة الدور القيادى للحزب والطبقة العاملة فى الثورة الاشتراكية وبناء الاشتراكية احد الاحكام الاساسية للماركسية ولنظرية الاشتراكية العلمية .

وليست الطبقة العاملة وحيدة فى النضال من اجل تحقيق مثلها العليا . ففى هذا النضال تنخرط فى تحالف وثيق معها طبقات وفئات اخرى تعانى ايضا من الاستثمار وهى : طبقة الفلاحين الكادحين ، والحرفيون والبرجوازية الصغيرة فى المدينة ، وفئة المثقفين الكادحين . وقد اعار ماركس وانجلس ، ولينين فيما بعد ، اهمية كبيرة خاصة **لتحالف الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين** اللتين تشكلان اكثرية الامة . وقد رأوا فى هذا التحالف القوة الاجتماعية المدعوة للقيام بالثورة وبناء الاشتراكية . فالطبقة العاملة ، بتحريرها نفسها من العبودية الرأسمالية ، تحرر كافة الكادحين والمجتمع باسره ايضا من القهر والظلم .

ومن الهام بمكان التنويه بان نضال الطبقة العاملة لا ينحصر ضمن الحدود الوطنية بل يكتسب **طابعا امميا** . فليس لدى الطبقة العاملة مصالح تولّد العداء بين الشعوب . وفى مقابل البرجوازية الموحدة على النطاق

العالمى تطرح الطبقة العاملة الوحدة الاممية ونضال الشعوب المشترك ضد مجتمع الملكيـــة الخاصـــة والاستثمار . أفليس دلالة رائعة على ذلـــك ، مثلا ، التأييد الاممى الذى محضه عمال فرنسا وبريطانيـــا وغيرهما من البلدان للعمال الروس بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية ؟ وكان شعار «ارفعوا ايديكم عن روسيا السوفييتية !» بالنسبة للشغيلة والطبقـــة العاملة فى الجمهورية السوفييتية الفتية مساندة معنوية سياسية ضخمة وساعد على الانتصار فى النضال ضد الثورة المضادة المحلية والتدخل الاجنبى .

٢ – اللينينية تطوير خلاق لعلم الاشتراكية والشيوعية

انتصار الافكار اللينينية

عاش ماركس وانجلس وعملا وناضـــلا فى عهـــد الرأسمالية الصاعدة ، عندما كان تطور المجتمع يجرى بصورة هادئة وبطيئة نسبيا . الا ان الوضع التاريخى اخذ يتغير بشكل جذرى فى اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . فقد بلغت الرأسماليـــة اعلى مراحلها – الامبريالية .

تتصف الامبريالية ، كما بيّن لينين ، بجملة من العلائم التى تعتبر اهمها سيطرة الاحتكارات التى تحل محل المنافسة الحرة . ومن العلائم الملازمة للامبريالية ايضا اندماج الرأسمال المالى والصناعى وتكوّن الطغمة المالية ؛ وتصدير الرأسمال اساسا وليس البضائع ،

وهو امر مميز بالنسبة لمرحلة الرأسمالية ما قبل الاحتكارية ؛ والصراع الضارى من اجل اقتسام واعادة اقتسام العالم اقتصاديا واقليميا .

وبلغت التناقضات الاقتصادية والسياسية للرأسمالية ، فى المرحلة الامبريالية من تطورها ، درجة قصوى من الحدّة . وحل عصر العواصف الاجتماعية والانقلابات الثورية محل عصر التطور السلمى .

وتوافق عصر التحطيم الجذرى للعلاقات الاجتماعية زمنيا تقريبا مع ولوج البشرية طريق **الثورة العلمية التكنيكية** المرتبطة بأعظم منجزات العلم والتكنيك كاكتشاف واستخدام الطاقة الذرية ، وارتياد الفضاء الكونى ، وتطوير المعدات المؤتمتة والالكترونية وتكنيك الصواريخ وكيمأة الانتاج ، وغيرها . وطرحت المنجزات العلمية التكنيكية بحدّة خاصة مسألة الافلاس التاريخى للنظام الاجتماعى الرأسمالى الذى غالبا ما يستخدم منجزات العلم والتكنيك لا فى صالح الناس بل لضررهم ، ويحوّلها الى اداة استثمار وعدوان . واخذت الرأسمالية المعاصرة ، الامبريالية ، تتحول بازدياد مطرد الى كابح للتقدم الاجتماعى والعلمى التكنيكى . ان الضرورة التاريخية لاستبدال الرأسمالية بالاشتراكية قد اخذت تطرح نفسها باصرار متزايد .

ومن الطبيعى تماما ان تتطلّب الظروف الجديدة منطلقا جديدا من حل القضايا الاجتماعية الجذرية والتطوير الخلاق لعلم الاشتراكية . وبات من الضرورى تعميم التجربة الجديدة لحركة البروليتاريا الثورية ، وتجربة حركة التحرر الوطنى والحركات الديمقراطية ، ونتائج احدث المنجزات العلمية التكنيكية . ومما زاد

فى اهمية ذلك هو انبعاث قوى معادية للماركسية فى الظروف الجديدة . وكانت التهجمات السافرة على الماركسية ونظرية الشيوعية العلمية من جانب ايديولوجيى الطبقة البرجوازية تتلاقى موضوعيا مع تهجمات الانتهازيين الذين كانوا يكمنون فى قلب الحركة العمالية والشيوعية ويخربونها من الداخل بحجة تطوير الماركسية والتدقيق فيها وجعلها ملموسة .

وعليه ، فقد طرح التاريخ وكل سير تطور البشرية فى العصر الجديد اهم مهمة امام العلم الاجتماعى : **الذود عن مكتسبات الماركسية وتطويرها بصورة خلاقة ، واعطاء جواب على الاسئلة الملحة للعصر الراهن** . ولقد نفّذ العلم ، بشخص **فلاديمير ايليتش لينين** (١٨٧٠ – ١٩٢٤) ارادة الزمن الملحّة هذه .

ان لينين هو الوارث الامين لأفكار واعمال مؤسسى الماركسية ، والمفكر العبقرى والثورى الذى لا تلين له قناة ، وزعيم الطبقة العاملة الروسية والعالمية .

وترتبط باسم لينين انصع صفحة فى تاريخ الفكر الماركسى وتتضمن اجوبة على الاسئلة الجذرية التى تطرحها الحياة بصورة حازمة وآمرة ، وتعكس بشكل كامل وامين للغاية متطلبات الزمن الملحة ، متطلبات التقدم التاريخى .

ويرتبط باسم لينين نشوء الحزب الشيوعى السوفييتى ، حزب الفكر النظرى العميق والعمل الثورى ، حزب بُناة ومبدعى المجتمع الجديد .

ويرتبط باسم لينين اعظم انعطاف فى تاريخ البشرية – ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى فى روسيا (عام ١٩١٧) ، التى ارست بداية العصر الراهن ،

عصر انتقال البشرية من الرأسمالية الى الاشتراكية .

ويرتبط باسم لينين قيام وتطور اول بلد اشتراكى فى العالم : اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية ، والذى بات حاليا مركز جذب لجميع القوى الثورية والتقدمية فى عصرنا ، وهو يجسّد اعز الاحلام البشرية .

وترتبط باسم لينين انتصارات قوى الاشتراكية العالمية ، المعارك والانتصارات العظمى التى تحرزها الطبقة العاملة والكادحون على الرأسمالية ، وانتصارات الشعوب المضطهدة فى نضالها الدائب ضد الاستعمار .

وغدا اسم لينين رمزا للثورات البروليتارية وللاشتراكية والتقدم ، رمزا لتغيير العالم على اسس شيوعية . ويمكن القول بملء الحق : ان البشرية المعاصرة تحيا وتسير الى امام وتتطور وفق لينين . **فاللينينية هى ماركسية قرننا العشرين ، وعصرنا الراهن ، عصر الامبريالية والثورات البروليتارية ، عصر انتقال البشرية من الرأسمالية الى الاشتراكية وبناء المجتمع الشيوعى .**

وقد جاء فى نداء مؤتمر الاحزاب الشيوعية والعمالية العالمى فى موسكو (١٩٦٩) «بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد لينين» ما يلى : «لقد أكدت تجربة الاشتراكية العالمية وتجربة الحركة العمالية وحركة التحرر الوطنى الاهمية الشاملة للمذهب الماركسى اللينينى . ان انتصار الثورة الاشتراكية فى مجموعة من البلدان ، وظهور المنظومة الاشتراكية العالمية ، ومكاسب الحركة العمالية فى بلدان الرأسمالية ، ودخول شعوب المستعمرات وشبه المستعمرات السابقة حلبة النشاط

السياسى والاجتماعى المستقل ، والنهوض الذى لم يسبق له مثيل للنضال المعادى للامبريالية ، هى كلها براهين على الصحة التاريخية للينينيــــة التى تعكس مقتضيات العصر الجذرية» * .

تطوير لينين لنظرية الثورة الاشتراكية

يمكن القول بملء الحق ان لينين قد طوّر كافة جوانب علم الاشتراكية والشيوعية الماركسى .

ويكمن الفضل التاريخى للينين فى ان عمله النظرى كان يرتبط ارتباطـا عضويـا بالنضـال الثورى للبروليتاريا وبالممارسة العملية للبناء الاشتراكى فى الاتحاد السوفييتى . ولم يعمل على اغناء وتطوير علم الاشتراكية والشيوعية فقط بل قاد ايضا تحقيق مبادئه عمليا . ووضع لينين خطة بناء الاشتراكية والشيوعية فى البلاد السوفييتية وبقى حتى آخر ايام حياته على رأس الشعب والحزب اللذين يضعان هذه الخطة موضــع التطبيق العملى .

وقد طرح العصر التاريخى الجديد امام الطبقة العاملة وحزبها الماركسى المهمة المباشرة لتغيير المجتمــع تغييرا ثوريا والقضاء على الرأسمالية وبناء الاشتراكية . ولهذا السبب بالذات اولى لينين اهتماما كبيرا وبذل الكثير من الجهد بوجه خاص لتحليل قوانين التطــور الاجتماعى وبالدرجة الاولى جوهر الامبريالية ، ولتحليل التناقضات الاكثر حدّة الملازمــة لها ، ووضع طرق

---

* «مؤتمر الاحزاب الشيوعية والعمالية العالمى . وثائق ومواد» . موسكو ١٩٦٩ ، ص ٣٣٢ .

ووسائل حسم هذه التناقضات من قبل القوى الثورية وعلى رأسها الطبقة العاملة .

وتحتل المرتبة الاولى من حيث الاهمية في اعمال لينين **نظرية الثورة الاشتراكية** التى مارست تأثيرا ضخما على السير اللاحق لتطور المجتمع ، وعلى مصائر التاريخ العالمى .

فما هى ، اذن الأحكام الاساسية للنظرية اللينينية حول الثورة ؟

انها ، بالدرجة الاولى ، كون لينين قد كشف المكان التاريخى للامبريالية ، وبيّن انها عبارة عن رأسمالية محتضرة . فالتناقض الاساسى للرأسمالية – التناقض بين الطابع الاجتماعى للانتـــاج وبين الشكل الخاص للتملّك – بلغ فى ظروف الامبريالية درجة من الحدة ضخمة للغاية . وقد كتب لينين يقول : «ان الرأسمالية فى مرحلتها الامبريالية توصل رأسا الى اعطاء الانتاج صبغة اجتماعية شاملة» ، الا انهـــا تحافظ على مبدأ الملكية الخاصة للتوزيع ؛ «ان علاقات الاقتصاد الخاص والملكية الخاصة تؤلف غلافا غدا لا يتلاءم مع المحتوى ، من شأنه ان يتعفن لا محالــــة ... ، ولكنه مع ذلك سيزول لا محالــــة» * . **والامبريالية هى عشية الثورة الاشتراكيـــــة** . والثورة الاشتراكيـــــة فى ظروف الامبريالية ليست ممكنة فقط ، بل **وضرورية ، وحتمية ايضا** . وهى تطرح نفسها امام الطبقة العاملة كمهمة مباشرة من مهام الساعة .

---

* لينين . المؤلفات الكاملـــة ، المجلد ٢٧ ، ص ٣٢٠ ، ٤٢٥ .

ويعتبر الاكتشاف العبقرى للينين حول امكانية انتصار الاشتراكية فى **بلد واحد بمفرده اولا** اهم حلقة فى النظرية اللينينية للثورة الاشتراكية . وهذه الموضوعة تختلف كثيرا عن موضوعة ماركس القائلة بامكانية انتصار الاشتراكية فى جميع ، او على اقل تقدير ، فى اكثرية البلدان المتمدنة . لقد عاش ماركس فى ازمنة **الرأسمالية ما قبل الاحتكارية** ، عندما كان تطور البلدان الرأسمالية يسير باعتدال نسبى وفى خط صاعد ، فى حين ان التناقضات بينها لم تكن بنفس العمق الذى هى عليه الحال فى ظل الامبريالية . ومن هنا ، كما كان يعتقد ماركس ، فان محاولة الطبقة العاملة ، فى هذا البلد بمفرده او ذاك ، الاطاحة بسيادة الرأسمالية ستواجه مقاومة منظمة مشتركة من جانب رأسماليى العديد من البلدان وستصاب بالفشل الذريع . وفى رأى ماركس ان الرأسمالية لا يمكن القضاء عليها الا بالجهود المشتركة لعمال جميع او اكثرية البلدان .

ولكن الامر يختلف في ظل **الامبريالية** ، كما بين لينين . فهنا ، وبصورة لم يسبق لها مثيل ، يجرى تطور مختلف البلدان بشكل بالغ التفاوت ، بوثبات . فبعض البلدان ، التى كانت متخلفة فى السابق ، اخذت تلحق بالبلدان المتقدمة وتتخطاها من الناحية الاقتصادية والسياسية . كما راح يختلّ توازن القوى وتنشأ النزاعات وتضعف الجبهة الموحدة للبلدان الرأسمالية . وبنتيجة ذلك اخذت تضعف مواقع الرأسمالية العالمية وتنشأ امكانية اختراق سلسلة الامبريالية فى اضعف حلقاتها .

وقد كتب لينين يقول : «ان الرأسمالية تتطور فى

مختلف البلدان بصورة غير متساوية الى اقصى حد . ولا يمكن ان يكون الامر غير ذلك فى ظل نظام الانتاج البضاعى . لذا كان هذا الاستنتاج الذى يفرض نفسه فرضا وهو ان الاشتراكية لا يمكن ان تنتصر **فى جميع** البلدان فى آن واحد . فهى ستنتصر اولا فى بلد واحد او فى عدة بلدان ، بينما تظل البلدان الاخرى ، لفترة من الزمن بلدانا برجوازية او ما قبل برجوازية» * .

وبعد الاشارة الى امكانية انتصار الاشتراكية اولا فى بلد بمفرده تنبأ لينين كذلك بطريق التطور اللاحق للثورة الاشتراكية العالمية : انسلاخ متعاقب لبلدان جديدة وجديدة ابدا من سلسلة الامبريالية ، فى حين تبقى البلدان الاخرى برجواية او ما قبل برجوازية . وكان لينين يتصور انتقال البشرية من الرأسمالية الى الاشتراكية لا كعمل من دفعة واحدة ، بل كحقبة تاريخية كاملة .

وفى سياق تطوير النظرية الماركسية للثورة الاشتراكية كان لينين يأخذ بالحسبان الوضع المعقد للغاية فى العالم الذى عاصره : وجود بلدان برجوازية ، وما قبل برجوازية ايضا ؛ وجود بلدان لم تحل فيها بعد مهمات عائدة الى النظام البرجوازى الديمقراطى ؛ وجود بلدان مستعمرة ؛ وجود اكثر الطبقات والفئات الاجتماعية تنوعا فى كل بلد من البلدان وما الى ذلك . وانطلاقا من ذلك خلص الى الاستنتاج باستحالة قيام ثورات اشتراكية «خالصة» فى عصر الامبريالية . وقد كتب لينين يقول انه

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٠ ، ص ١٣٣ .

لا يجوز التفكير على هذا النحو : «ان جيشا يقف فى مكان ويقول : «انا مع الاشتراكية» ، وجيشا آخر يقف فى مكان آخر ويقول : «انا مع الامبريالية» ، واذا نحن نهتف : هذه هى الثورة الاجتماعية ! فمن ينتظر ثورة اجتماعية «خالصة» لن يراها **ابدا** . فهو ثورى قولا ولا يدرك ما هى الثورة الحقيقية» . وكان لينين يتصور العملية الثورية على انها تفجر «للنضال الجماهيرى الذى يخوضه جميع المضطهدين والمستائين على اختلاف فئاتهم» * . وهذه العملية تشمل الحركة العمالية ، والحركة الفلاحية ، وحركة التحرر الوطنى ، ومختلف الحركات الديمقراطية المناضلة ضد الامبريالية .

وعطفا على ذلك كان لينين يؤكد ضرورة تحالف الطبقة العاملة المتين مع جميع القوى الثورية التى تقوّض الامبريالية ، ويقف موقفا حازما ضد التعصب وضد عزل الطبقة العاملة عن سائر الكادحين والقوى الديمقراطية . ولدى ذلك كان لينين يعنى لا التحالف بوجه عام ، بل تحالفا يكون فيه **الدور القيادى للطبقة العاملة** ، التى كان يعتبرها القوة الثورية الرئيسية .

ولم يكن لينين يعتقد على الاطلاق بان الانفجار الثورى فى هذا البلد او ذاك سيكون بالضرورة اشتراكيا ويؤدى الى دكتاتورية البروليتاريا . ففى البلدان المستعمرة او البلدان ذات الرواسب الاقطاعية القوية ، وكذلك فى تلك البلدان التى لم تنجز فيها بعد التحولات البرجوازية الديمقراطية يمكن ان

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٠ ، ص ٥٤ .

تسبق الثورة الاشتراكية ثورة برجوازية ديمقراطية او تحررية وطنية تتحول ، لدى توفير ظروف مؤاتية ، الى ثورة اشتراكيـــة . وطرح لينين كذلك الفكرة القائلة بامكانية الانتقال الى الاشتراكية ، دون المرور بالرأسماليـــة (اى ما يسمى بطريـــق التطـــور **اللارأسمالى**) ، فى البلدان التى لم تبلغ بعد مرحلـــة التطور الرأسمالية (وهى ، بالدرجة الاولى ، البلدان المستعمرة او التابعة سابقا) . بيد ان هذا الانتقال ليس ممكنا الا فى حال وجود دكتاتورية بروليتاريـــة منتصرة فى بلدان اخرى .

ولينين مؤسس حزب من طراز جديـــد ، الحزب الشيوعى الثورى . فالحزب ، بوصفه طليعة الطبقـة واكثر فصائلها وعيا وتنظيما ، هو بالذات الذى ينظم الطبقة العاملة ويرص صفوفها ويسلحها بالنظريـة الثورية الطليعية وبستراتيجية وتكتيـــك الحركـــة الثوريـــة . فتحت قيادة حزب الشيوعيين قضى عمال وفلاحو روسيا على النظام الرأسمالى وانشأوا اول دولة اشتراكية فى العالم .

اللينينية تعاليم اممية

ان روسيا ، التى لم تكن على الاطلاق اكثر البلدان الرأسمالية تطورا ، قد اعطت الفكر البشرى التقدمى لينين واللينينية . ولم يكن ذلك صدفة ما ولا نزوة من نزوات التاريخ ، بل حتمية تاريخيـــة ، اذ انه فى روسيا بالذات نشأت ، فى اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ، ظروف مؤاتية من اجل تحقيق الثورة الاشتراكية عمليا ، هذه القضية التى وهبها

ماركس كل ذكائه العبقرى وطاقته الخلاقة الجبارة ومؤهلاته التنظيمية الرائعة .

ففى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وعلى الاخص فى بداية القرن العشرين ، اخذ يلاحظ فى روسيا نمو ملحوظ للانتاج الصناعى . وخلال خمس سنوات فقط (١٩٠٩ – ١٩١٣) ازدادت قيمة مجمل المنتجات الصناعية ٥٤٪ . وكان يرافق نموّ الصناعة تمركز فى الانتاج . ففى عام ١٩١٤ كان يتمركز فى المؤسسات ، التى يبلغ عدد عمالها ٥٠٠ عامل وما فوق ، ٥٦,٥٪ من العدد الاجمالى للعمال . وعلى الرغم من ان روسيا بقيت فى الاساس بلدا زراعيا فقد كانت تحتل احد الاماكن الاولى فى العالم من حيث درجة تمركز الانتاج . وكانت تسير بخطى حثيثة عملية انتشار الاحتكارات فى الصناعة الروسية ، وتمركز الرأسمال المصرفى ، واندماج الرأسمال المصرفى بالرأسمال الصناعى . وبتعبير آخر ، كانت العمليات الجارية فى اقتصاد روسيا مماثلة لتلك العمليات التى كانت تتميز بها بلدان الغرب الرأسمالية ايضا . وهى كناية عن عمليات نموذجية بالنسبة للمرحلة الامبريالية من تطور الرأسمالية العالمية .

ومما له دلالته ان مصالح الامبريالية الروسية والعالمية كانت تتشابك تشابكا وثيقا : ان جزءا هاما من الرأسمال المالى فى روسيا كان يقع تحت اشراف الرأسمال الاجنبى . وكان الاجانب يملكون ٤٢٪ من الرساميل المساهمة فى البنوك الروسية الرئيسية . وعشية الحرب العالمية الاولى بلغت ديون روسيا الخارجية رقما خياليا (بالنسبة لذلك الزمن) – ٥,٩

مليارات روبل . وكانت روسيا اسيرة شبكة من المعاهدات والاتفاقيات المجحفة التى وضعتها فى تبعية اقتصادية ، وسياسية ايضا ، للامبرياليين الاجانب .

وهكذا ، **كانت روسيا تشكل حلقة فى النظام العالمى للامبريالية** ، لذا كان نضال الطبقة العاملة والكادحين ضد الامبريالية الروسية والحكم المطلق يكتسب بالضرورة طابعا امميا للنضال ضد الرأسمال العالمى .

وعلى اساس تطور الصناعة فى البلاد اخذت تتكون الطبقة العاملة التى كانت البروليتاريا الصناعية تشكل نواتها . فمنذ عام ١٩٠٩ وحتى عام ١٩١٣ ازداد بـ٣٠,٨٪ عدد العمال الصناعيين فى تلك المؤسسات وحدها التى كانت خاضعة لاشراف التفتيش المعملى . ولم تتعرض الطبقة العاملة للاستثمار الوحشى فى اى بلد آخر كما تعرضت له فى روسيا . فقد انخفضت الاجرة الفعلية للعمال الصناعيين ١٠٪ عام ١٩١٣ بالمقارنة مع عام ١٩٠٠ ، فى حين تضاعفت ارباح الرأسماليين خلال هذه المدة ثلاث مرات . واجتاز عمال روسيا ، ورثة افضل تقاليد الحركة التحررية الروسية ، امتحانات النضال القاسية ضد الحكم المطلق والرأسمال ، واكتنزوا تجربة لا تثمن للمعارك الطبقية ، تجربة ثورة عامى ١٩٠٥ - ١٩٠٧ . وكان يقف على رأس الطبقة العاملة حزب من طراز جديد انشأه لينين ، الحزب الثورى ، حزب الامميين . وامتلكت روسيا ، بشخص الطبقة العاملة وحزبها ، قوة اجتماعية قائدة قادرة على تحطيم الامبريالية فى روسيا ، وبهذا انزال ضربة قاصمة بقوى الامبريالية العالمية .

ان الاستثمار الفطيع للعمال ، وقلة اراضى الفلاحين

وفقرهم المدقع ، وحرمان الشعب من الحقوق السياسية ، والوضع الجائر للاقليات القومية ، والرواسب البطريركية والاقطاعية ، والتبعية للرأسمال العالمى ، ان كل ذلك قد جعل روسيا **مركزا للاضطهاد الاجتماعى والقومى وملتقى لتناقضات الامبريالية العالمية** . وتفاقمت هذه التناقضات الى حد كبير فى اعقاب الحرب العالمية التى جلبت للشعب آلاما ومصائب جديدة لا تحصى .

وفى سير انهاض الجماهير الى النضال ضد الرأسمالية الروسية وحّد الحزب اللينينى فى تيار ثورى واحد الحركة الاشتراكية للطبقة العاملة والحركة الفلاحية وحركة التحرر الوطنى ونشاطات جماهير الشعب الواسعة ضد الحرب . **فقد غدت روسيا مركز الحركة الثورية العالمية** .

لقد اندفعت روسيا الى طليعة التقدم التاريخى لانه تلاقت فيها بالذات ، كما فى بؤرة الضوء ، كل تعقيدات وتناقضات عصر الامبريالية . فقد بلغت تناقضات الرأسمالية ، فى مرحلة الامبريالية ، درجة من التفاقم اصبحت معها الثورة الاشتراكية مهمة عملية ، فى المقام الاول فى روسيا بالذات التى كانت بمنابه عقدة لتناقضات الامبريالية ، واضعف حلقاتها بالتالى .

ان قوة وعظمة لينين لا تنحصران فى كونه قد رسم الصورة الواقعية لتطور روسيا ، بل ، وهذا الأهم ، فى كونه قد استطاع افضل من اى شخص آخر تحديد اتجاه تطور البشرية بأسرها فى عصر الامبريالية والمطالب الملحة للطبقة العاملة والكادحين فى العالم كله .

وقد بيّن لينين ، بكشفه جوهر الامبريالية كظاهرة عالمية ، ان الامبريالية نظام اجتماعي ينبغي ان يأتي بعده ، كضرورة تاريخية ، مجتمع جديد خال من الاستثمار والظلم الاجتماعي ، مجتمع تعاون أناس العمل – المجتمع الاشتراكي . ومهما «تحايل» اعداء التقدم التاريخي ، ومهما دسّوا العصى فى عجلات التاريخ ، فالتاريخ يتابع مسيرته كاشفا عقم كل محاولة لكبح سيره الحتمي .

ولم يكن لينين زعيما للطبقة العاملة الروسية وحسب بل وللطبقة العاملة العالمية ايضا ، زعيما لكادحي العالم بأسره . فقد كان يبدي اهتماما ضخما بمصائر الحركة الشيوعية العالمية ، التى اسسها وقادها . وكان لينين يقف عند مهد الاممية الشيوعية الثالثة ، التى حلت محل الاممية الثانية بعد ان غاص قادتها فى مستنقع الانتهازية وانزلقوا فى طريق خيانة مصالح الطبقة العاملة . وقد اشار لينين ، فى فضحه جوهر الانتهازية الخياني ، الى الطابع الاممي للحركة الشيوعية ، ووقف الى جانب تلاحم القوى الشيوعية على النطاق العالمي . وكتب لينين يقول : «ان الرأسمال قوة عالمية . وللتغلب عليها يجب تحالف العمال العالمي ، يجب تآخي العمال العالمي .

نحن خصوم للعداء القومي ، والحزازات القومية ، والعزلة القومية . نحن امميون» * .

من ٢ الى ٦ آذار (مارس) عام ١٩١٩ عقد فى موسكو ، فى عاصمة الدولة الاشتراكية ، المؤتمر

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٠ ، ص ٤٣ .

الاول (التأسيسى) للاممية الثالثة ، التى لعبت دورا بارزا فى تطوير الحركة الشيوعية العالمية . وقد وحدت الاممية الثالثة قوى شيوعيى العالم على الاساس الفكرى للماركسية – اللينينية ، ووضعت ستراتيجية وتكتيك الحركة العمالية فى الظروف التاريخية الجديدة ، وساعدت على اقامة وتطوير الاحزاب الشيوعية الفتية ، واغنتها بتجربة النضال الثورى ، وخاضت نضالا لا يعرف الكلل ضد الانتهازية بجميع اشكالها وألوانها ، ومارست تأثيرا شديدا على حركة التحرر الوطنى وعلى نضال الجماهير الشعبية الواسعة فى سبيل الديمقراطية ، ووقفت وسط نضال الشعوب من اجل السلام .

ووضع لينين نظرية العملية الثورية المعاصرة التى تشمل ليس فقط القوى التى تبنى الاشتراكية والحركة الثورية للطبقة العاملة ، بل وكذلك حركة التحرر الوطنى والحركات الديمقراطية ضد الامبريالية . وما تزال اسس ستراتيجية وتكتيك النضال الطبقى للطبقة العاملة والحركة الشيوعية العالمية ، والتى وضعها لينين وفقا لمميزات العملية الثورية فى المرحلة الجديدة ، تحافظ على حيويتها فى ايامنا هذه ايضا .

وقد شهد لينين ولادة صداقة العائلة المتعددة القوميات لشعوب الاتحاد السوفييتى – اعظم انجاز للاشتراكية وأحد اهم اسس جبروتها وقوتها . وكان لينين يناضل دون كلل ضد النزعة القومية الضيقة ، سواء اكانت نزعة روسية او المانية او صينية . ومنذ الايام الاولى للسلطة السوفييتية جرى نشر «اعلان

حقوق شعوب روسيا» الذى ارسى بداية عهد جديد فى العلاقات بين الشعوب . وحلت مبادىء جديدة للعلاقات بين الشعوب ، مبادىء احترام سيادة وحرمة اراضى الشعوب كبيرها وصغيرها وعدم التدخل فى شؤونها الداخلية ، محل عبادة القوة والقرصنة الامبريالية ونهب الشعوب واضطهادها ، التى تتميز بها الرأسمالية .

ووضع لينين برنامج حل المسألة القومية ، احدى اعقد مسائل التطور الاجتماعى واكثرها حدّة ، وقاد تنفيذ هذا البرنامج عمليا . وتحولت روسيا ، التى استحقت لنفسها لقب «سجن الشعوب» المقيت ، تحولت نتيجة لانتصار الاشتراكية الى اسرة عظيمة لأمم حرة وعالية التطور . ان الصداقة اللينينية لشعوب الاتحاد السوفييتى هى تجسيد عملى لمبادىء الاممية البروليتارية .

٣ – أفول الرأسمالية العالمية

يحاول خصوم الماركسية – اللينينية والاشتراكية العلمية البرهنة على ان آراء ماركس ولينين قد فات أوانها ، وأنها كانت صحيحة على حد زعمهم بالنسبة للقرن التاسع عشر فقط (على ايام ماركس) وبالنسبة لاوائل القرن العشرين (على ايام لينين) ، فيما نحن الآن فى الربع الاخير من القرن العشرين وقد تغيرت الرأسمالية بصورة جدية وتحولت الى «رأسمالية شعبية» ، الى «مجتمع الاستهلاك العالى» دون تناقضات ونزاعات اجتماعية . ومهمة الطبقة العاملة فى الظروف

المعاصرة تكمن ، من وجهة نظر منظّرى البرجوازية واعوانهم ، فى الاهتمام بالتقدم العلمى التكنيكى ، وبنمو الانتاج ، وبرفع انتاجية العمل . وای حديث عن اية ثورة اشتراكية هو امر غير وارد على الاطلاق طالما ان الثورة فى الغرب ، كما يعتقدون ، هى ثورة فى التكنولوجيا وليست ثورة فى اشكال الملكية وفى العلاقات السياسية .

ولكن ، ما هو وضع الامور فى الواقع ؟ وما هى حقيقة الرأسمالية المعاصرة ؟

رأسمالية الدولة الاحتكارية

ان الرأسمالية المعاصرة ، الامبريالية ، هى بالدرجة الاولى رأسمالية الدولة الاحتكارية ، وتسعى البرجوازية الاحتكارية الى الاخذ بعين الاعتبار مستوى تطور القوى المنتجة المعاصر ، ومتطلبات الثورة العلمية التكنيكية ، وخصائص النضال الطبقى على النطاق العالمى ، ونجاحات بلدان الاشتراكية ونضالها ضد نظام الرأسمالية العالمى وتعاظم المعارك الطبقية فى العالم الرأسمالى نفسه .

ان الاقتصاد ، والحياة الاجتماعية ، فى ظل الرأسمالية تضبطهما السوق الرأسمالية وقوانين المنافسة . وقد بقيت هذه القوى ، الى وقت ما ، الضابط الوحيد للاقتصاد الرأسمالى . الا ان تحوّل الرأسمالية ما قبل الاحتكارية الى رأسمالية احتكارية ودخول الرأسمالية مرحلة الازمة العامة قد جعلا من هذا الضابط عاملا غير كاف من اجل حيوية

الرأسمالية ، ناهيك عن تطورها اللاحق . وقد اسندت الاحتكارات الى الدولة البرجوازية وظيفة التدخل المباشر فى سياق الانتاج الرأسمالى . وفى هذا يكمن احد اهم الاسباب ، السبب الاقتصادى ، فى نشوء رأسماليـة الدولة الاحتكاريـة التى **اندمجت فيها قدرة الاحتكارات الاقتصادية بقوة الدولة السياسية** .

بالطبع ، ليس ذلك بالسبب الوحيد ، بقدر ما ان التدخل فى الانتاج ليس المهمة الوحيدة لتوحيـد قوة الاحتكارات مع قوة الدولة . وهذا التوحيد يضع هدفا له اغناء الاحتكارات ، وسحق الحركة العمالية ونضال التحرر الوطنى ، وانقاذ النظـام الرأسمالى ، وشن الحروب العدوانية . الا ان حل هذه المهمات غير ممكن بدون الحفاظ على الشيء الاساسى فى الرأسماليـة - اقتصادها ، القائم على الملكية الخاصة .

وتحقق الدولة البرجوازيـة دورهـا التنظيمى (المبرمج) ، بالدرجة الاولى ، فى مجال تأثير ملكيـة الدولة - «اقتصاد الدولة» - الذى يعتبر نتيجة للتأميم الرأسمالى . وهو بمثابة ملكية جماعية للاحتكارات ، ليس الا . وتضطلـع الدولـة بالقيادة المباشرة للمؤسسات العائدة لها ، ولفروع كاملة فى الصناعة والنقل ، والبنوك ، وشركات التأمين ، الخ .

وأحد الهموم الرئيسية لدى الدولة هو السعى الى القضاء ، ولو جزئيـا ، على ظهور الازمة العامـة للرأسمالية ، وبالدرجة الاولى ازمات فيض الانتاج . ومن بين تدابير الدولة البرجوازية الموجهة الى ازالـة الازمات نذكر : توسيع طلبيات الدولة للاحتكارات ، وعلى الاخص الطلبيات ذات الطابع الحربى ؛ الاعاقة

عمدا لانتاج سلع الاستهلاك الشعبى ، وبهذا تقليص العرض فى السوق ؛ تقديم مساعدة اقتصادية للاحتكارات ، وخاصة منح الاحتكارات التى تعانى من وضع مالى صعب قروضا متهاودة الشروط واعانات مجانية ؛ خلق احتياطيات حكومية فائقة المقاييس عن طريق شراء البضائع الفائضة من الاحتكارات ، الخ . بيد ان عبء هذه الاجراءات الرئيسى يقع على كاهل الطبقة العاملة والجماهير الكادحة الواسعة – دافعى الضرائب الذين تتكون من اموالهم ، فى الاساس ، ميزانية الدولة التى تستخدمها من اجل تمويل الاجراءات المضادة للازمات .

وتنسّق الدولة كذلك برنامج توظيفات رؤوس اموالها مع توظيفات الشركات الخاصة ، وتشرف على توزيع الطلبيات والخامات الناقصة ، ومع سياسة الاسعار ، علما بانها تفعل ذلك لصالح الاحتكارات ولصالحها هى بالذات تعيد الدولة توزيع الدخل القومى ، وتوزع القروض والاعانات على تحديث الاعتدة بواسطة السياسة الضرائبية . وغالبا ما تقوم الدولة البرجوازية ، اكثر فاكثر ، بدور مؤسس فروع انتاج جديدة مرتبطة فى المقام الاول بالتكنيك الجديد ، وتأخذ على عاتقها مسؤولية اعتماد الاموال الموظفة فى هذه الفروع فى المرحلة الاولى من تطورها ، وتشرف على الانتاج الحربى وعلى اهم الابحاث العلمية .

ان التنظيم الحكومى الاحتكارى للاقتصاد تمليه الحياة نفسها ومتطلبات تطور الانتاج والتكنيك والعلم المعاصر . وتتطلّب الثورة العلمية التكنيكية المعاصرة رفع مستوى تمركز الانتاج ، وتوحيد الموارد المادية

والمالية والبشرية ، وتوسيـــع نطاق اعمال الابحاث والتجارب . وليس بوسع الاحتكارات الخاصة غالبا ما القيام بذلك دون المسانـــدة والمساعدة من جانب الدولة . ويشكل التحدى الاقتصادى ، الذى اطلقه نظام الاشتراكية العالمى بوجه الرأسمالية ، اهم عامل يحفز التنظيم الحكومى الاحتكارى . فمن اجل البرهنـة على الحيوية فى المنافسة الاقتصاديـة بين النظامين تبحث الدولة البرجوازية عن تدابير لاستحثاث الانتاج وزيادة وتيرات تطوره .

ولكن ، مهما كان دور التنظيم الحكومى بالغا فى ظل الرأسمالية فان هذا التنظيم لا يغيّر ، مع ذلك ، جوهر الامبريالية ، ولا يزيل الاستثمـــار ، ولا يقضى على تشويش السوق والصراع التنافسى وفوضى الانتاج .

وتشهد على ذلك بصورة مقنعـــة مظاهر كأزمات فيض الانتاج فى الولايات المتحدة الاميركية فى ازمنة ما بعد الحرب ، والازمات النقدية والتضخم ونمو الاسعار فى عدد من البلدان الرأسماليـــة ، وازمات موازين التجارة والمدفوعات ، وافلاسات البورصة والعديـــد غيرها ، وتسرّب الذهب من الولايات المتحدة ، الخ . وقد تبدّى عجز التنظيـــم عن القضاء على الانشـــلال المزمن لجزء من القدرات الانتاجية وعلى البطالـــة ، وضمان وتيرات ثابتـــة لنمو الانتاج . ويلاحظ فى البلدان الرأسمالية الرئيسيـــة هبوط فى وتيرات الانتاج الصناعى .

وتضيف رأسمالية الدولة الاحتكارية الى التنظيـم الاقتصادى **تنظيما اجتماعيا** . فالمجتمع البرجوازى يولى اهمية خاصة لتنظيم العلاقات بين العمل والرأسمال ،

علما بانه يفعل كل ذلك فى صالح الرأسماليين بالطبع. وتحاول الدولة البرجوازية، لدى تحقيق التنظيم الاجتماعى، اجراء مصالحة بين امرين يستحيل التوفيق بينهما فى ظل الرأسمالية - الرأسمال والعمل، وبهذا بالذات الحفاظ على نظام الاستثمار الرأسمالى. وهى تضطر احيانا الى الحد بعض الشىء من مطامع الاحتكاريين المفرطة، واجبارهم على التنازل للعمال فى حالة ما، وبهذا تخفيف او كبح النزاعات الفعلية بين العمل والرأسمال. وهى تستخدم على نطاق واسع تكتيك المناورة والديماغوجية الاجتماعية، الامر الذى لا يعيقها مع ذلك فى ممارسة الضغط على الطبقة العاملة ليس فقط بالطريقة الاقتصادية بل وغير الاقتصادية ايضا، اى الطريقة التعسفية البحتة (الجيش، الشرطة، المحاكم)، وكذلك بواسطة شبكة التأثير الايديولوجى، وتجبرها على العمل من اجل ارباح الاحتكاريين.

ان رأسمالية الدولة الاحتكارية تعقّد، بالطبع، وتصعّب النضال الثورى للطبقة العاملة، اذ يترتب على العمال، والحالة على هذا النحو، ان يتعاملوا مع القوة الموحدة التابعة للاحتكارات والدولة. ومن المستحيل على المرء ان لا يرى، فى الوقت نفسه، ان تأميم القطاع العام فى الاقتصاد الرأسمالى، والبرمجة الاقتصادية وغيرهما التى تعكس مصالح الاحتكارات الفعلية وستراتيجيتها الاقتصادية والسياسية، تشكل بحد ذاتها شهادة مقنعة على التهافت الاقتصادى والسياسى للرأسمالية. وتقرع الاشتراكية ابواب العالم الرأسمالى بكل اصرار. والحياة نفسها ومتطلبات

تطور الاقتصاد المعاصر تجبر البرجوازية على التراجع ، بدرجة معروفة ، عن «حق الملكية الخاصة» المقدس ، وعلى انشاء «اقتصاد الدولة المبرمج» . وعلى الرغم من ان هذا الاقتصاد يبقى اقتصادا رأسماليا فان مجرد نشوئه يعنى ان الرأسماليين غير ضروريين كمنظمين للانتاج ، وانهم طفيليات فى جسم المجتمع . هذا ، بالاضافة الى ان «اقتصاد الدولة» يشكل مقدمة مادية مباشرة للاشتراكية ، ذلك لانه يمكن تحويله باشد سهولة ودون اى عناء الى ملكية اشتراكيـــــة نتيجة للثورة الاشتراكية .

والتنظيم الاقتصادى والاجتماعى لا يحل على الاطلاق تناقضات الرأسمالية المعاصرة ، وخاصة تناقضـــات العمل والرأسمال المعاصرين بل على العكس تكتسب هذه التناقضات طابعا يزداد حدة وعمقا .

الجوهر اللانسانى للرأسمالية المعاصرة

يزعم ايديولوجيو وساسة الطبقة البرجوازيـــة ان الرأسمالية المعاصرة تتقدم نحو مجتمع «الخير العميم» و«الاستهلاك العالى» . وهم «يتناســـون» ، فى هذا الصدد ، تدقيـــق القول نحو اى شخص ونحو اى استهلاك وخير توجه الرأسماليـــة عنايتهـــا . فمن المعروف عامة انه يوجد فى ظل الرأسمالية الشخص المالك لوسائل الانتاج ، البرجـــوازي ، والشخص الكادح .

فالملاكون الكبار حفنة ضئيلة ، ولكنهـــم الاسياد الحقيقيون للعالم الرأسمالى . ونحوهم بالذات ، نحو

رفاههم واستهلاكهم العالى ينصب اهتمام ايديولوجيى البرجوازيـــة . ويحتـــل الملاكون الكبار المواقف المسيطرة فى الاقتصاد والحياة السياسية والروحية وتتمركز فى ايديهم القيم المادية والروحية الضخمة . وقد كتب رايت ميلز العالم الاجتماعى الاميركى ، فى كتابه «النخبة السائدة» (عام ١٩٥٩) ، يقول انه يوجد فى قمة المجتمع الاميركى ١٢٠ عائلة بدخل يربو على المليار دولار فى السنة ، و٣٧٩ شخصا بدخل يزيد على الـ ٥٠٠ الف دولار سنويا ، فى حين ان حوالى ٤٧٪ من العائلات يتراوح دخلها بين ٣ و٧,٥ الاف دولار فى العام ، وحوالى ٣٦٪ بدخل سنـــوى يقل عن ٣ الاف دولار فى السنة .

وفى عام ١٩٧٣ كان الاحتكاريون الكبار فى الولايات المتحدة الاميركية ، الذين يشكلون واحدا بالمئة من عدد السكان ، يملكون ٦٠٪ من الثروة الوطنية ؛ وفى بريطانيا كان هذا الواحد بالمئة من السكان يملـــك نصف الثروة الوطنية . وانه لأمر طبيعى ان تكون فى حوزة مالكى الرأسمال امكانيات لامحدودة من اجـــل تلبية مطالبهم التى غالبا ما تتسم بطابـــع النزوات والاهواء الجامحة . وقد فاق اصحاب الملايين فى اميركا المعاصرة بتبذيرهـــم واسرافهـــم حتى ملوك وامراء الماضى . وهم ينفقون مبالغ خيالية على انشاء وتأثيث مبانى اقامتهم ، وعلى اليخوت الفاخرة وسكك الحديد والقطارات والطائرات الخاصة ، الخ .

فمن اين ، اذن ، تاتى هذه المبالـــغ الطائلة ؟ ان الحصول عليها بالعمل الشريف امر مستحيـــل على الاطلاق : فقد حسب مثلا انه من اجـل اختزان ثروة

جماعة روكفلر او ميلون او ديبون يترتب على العامل الاميركى الحسن الاجرة ان يدخر اجرته طوال مليون عام تقريبا . ان المصدر الوحيد لممتلكات الاحتكاريين هو استثمار الكادحين ، وهو استثمار معاد للانسانية من حيث جوهره ولا يمت الى طبيعة الانسان بصلة ، ولا لغايته السامية ومكانته فى الحياة .

ان ارباح الاحتكارات تتعاظم ، اما حصة الطبقة العاملة من الدخل القومى فهى فى تقلص مستمر . ففى النصف الثانى وحده من عام ١٩٧٣ انخفضت القدرة الشرائية للعائلة الاميركية ١٢,٤٪ ، فى حين ارتفعت ارباح الاتحادات الاحتكارية عام ١٩٧٣ بنسبة ٢٧٪ وبلغت ٧٠,٥ مليار دولار . لا ريب ان حجم موارد العيش التى تتلقاها الطبقة العاملة فى عدد من البلدان الرأسمالية المتطورة (الولايات المتحدة الاميركية ، جمهورية المانيا الاتحادية ، بريطانيا ، ايطاليا ، فرنسا وغيرها) يكون مرتفعا الى حد لا بأس به من حيث التعبير المطلق او المادى كما يقال ، الامر الذى يؤمّن مستوى معيشيا رفيعا لقسم معين ، واحيانا كبير ، من الكادحين . بيد انه يجب ان لا ننسى ان مستوى الاستهلاك العالى هذا يصاحبه فقر للقسم الآخر من كادحى هذه البلدان ، وكذلك الفقر المدقع الفظيع والنقص فى التغذية والامية لدى السواد الاعظم من سكان البلدان التى تكون متخلفة فى تطورها لهذا السبب او ذاك . وحتى فى بلد غنى للغاية كالولايات المتحدة الاميركية يوجد ٢٥ مليون اميركى يعيشون فى ظروف الفقر . زد على ذلك ان اناسا فى عدد من

مناطق هذا البلد يعانون من الجوع . ثم ماذا يسعنا القول عن مستوى الاستهلاك فى البلدان الضعيفة التطور التى يقل متوسط الدخل القومى فيها ، بالنسبة للفرد من السكان ، مرات عديدة عما هو عليه فى الولايات المتحدة الاميركية ؟

ففى حين ان الدخل للفرد من السكان فى الولايات المتحدة الاميركية قد بلغ ٤٥١٠ دولارات عام ١٩٧٢ ، فقد وصل فى فولتا العليا الى ٥٢ دولارا فقط ، وفى نيجيريا الى ٦٧ ، وفى الهند الى ٧٧ وفى السودان الى ٩٠ ، الخ .

وفى الولايات المتحدة الاميركية ملايين الزنوج يتعرضون للاستثمار الفظيع ، وللاستعباد السياسى والروحى . ووفق المعطيات التقريبية وغير الكاملة حصلت احتكارات الولايات المتحدة الاميركية فى الاربعينات على ٤ مليارات دولار سنويا من الاستغلال الفاحش للزنوج .

وفى عدد من البلدان الرأسمالية المتطورة فى اوروبا الغربية يعيش نفس العيشة الحقيرة ، شأن الزنوج فى الولايات المتحدة الاميركية ، ملايين العمال المهاجرين الذين غادروا بلادهم ، وعائلاتهم واقرباءهم أحيانا ، من اجل مجرد كسب لقمة العيش . وهم يتعرضون فى بلدان اقامتهم للاستثمار الوحشى والتمييز العنصرى ، وهم محرومون من اية حقوق سياسية . ومع انهم يقومون بأشق واخطر العمل فان اجرتهم لقاءه اقل من اجرة العمال المحليين .

والحياة الانسانية الحقيقية هى مجرد حلم فقط يراود مخيلة ملايين العاطلين عن العمل الذين رمتهم

الامبريالية خارج دائرة الانتاج فحرمتهم بذلك من امكانية اظهار قدرتهم على العمل التى تعتبر اهم واعمق مظهر من مظاهر الكائن البشرى . ويوجد فى بلدان الامبريالية حوالى ١٥ مليون عاطل كليا عن العمل وعشرات الملايين من العاطلين جزئيا . فعلى سبيل المثال كان يوجد فى الولايات المتحدة الاميركية وحدها عام ١٩٧٥ (وفق احصاءات رسمية ولكنها منقصة التقدير بالطبع) ٧٨٠٠ الف عاطل عن العمل ، علما بان نسبة العاطلين عن العمل بين «الملونين» من العدد الاجمالى تفوق بمرتين نسبتهم بين «البيض» . والبطالة مرتفعة بوجه خاص فى اوساط الزنوج . فان نصيب هؤلاء المنبوذين من جانب مجتمع «الاستهلاك العالى» هو الفقر المدقع وانهيار القوى الجسدية والعجز الروحى . ويزداد التضخم باستمرار ويرتفع مستوى غلاء المعيشة . ففى غضون عشر سنوات (١٩٥٧ - ١٩٦٧) ازداد غلاء المعيشة فى الولايات المتحدة الاميركية و١١ بلدا فى اوروبا الغربية من ١٨,٧٪ الى ١٠٠٪ . وفى عام ١٩٧٣ وحده ارتفع الغلاء فى الولايات المتحدة بنسبة ١٩,٥٪ (فى حين ان اجرة العمل لم تزدد سوى ٤٪) . وتقلّ قيمة النقد وترتفع اسعار سلع الاستهلاك وتنخفض المداخيل الفعلية لدى الكادحين .

وليس لنمو الضرائب من نهاية . ففى الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا والمانيا الاتحادية وفرنسا وايطاليا تسحب الدولة ، عن طريق فرض الضرائب ، ٣٠ - ٣٥٪ من الدخل القومى ، علما بان عبء الضرائب الاساسي يقع على كاهل الكادحين . فكادحو بريطانيا ،

مثلا ، يفقدون بين ٢٥,١٪ و٣٦,١٪ من مداخيلهم على شكل ضرائب ، اما فى المانيا الاتحادية فحوالى ٣٦٪ .

وبغية الحصول على اقصى الارباح يعمد الاحتكاريون الى تشديد العمل وتعجيل وتيراته ، الامر الذى يمارس كذلك تأثيرا سلبيا على الانسان الكادح ، اذ ان جسمه تستنفد قواه وهو يشيخ قبل الاوان ، وتزداد الاصابات اثناء الانتاج وعدد الامراض المهنية وكذلك التشوشات النفسية ، وهى امور غدت فى العالم الرأسمالى كارثة اجتماعية حقيقية . ففى الولايات المتحدة الاميركية ، مثلا ، يصاب مليونا شخص سنويا بعاهات نتيجة لحوادث العمل البليغة ؛ ويحتل نصف عدد اسرّة المستشفيات مصابون بامراض نفسية ؛ علما بان الحاجة الى التطبيب لا تلبّى سوى بنسبة ٥٦٪ .

ولا تولى الرأسمالية الاهتمام اللازم بصحة الكادحين . فالمساعدة الطبية هنا لا تقدم ، كقاعدة عامة ، سوى لقاء اجرة ؛ وهى اجرة عالية جدا كما هو معلوم . فالعائلة الاميركية ، مثلا ، تنفق سنويا زهاء مقدار معاشها الشهرى فى المعدل على اجور المساعدة الطبية . ويعانى كادحو البلدان الرأسمالية من حاجة ماسة للمسكن ؛ وضمان الشيخوخة يكون هنا فى حالة يرثى لها .

والطبقات السائدة ، باحتكارها الحق فى النشاط الفكرى ، تستعبد انسان العمل فكريا ، وتقلّص امكانياته فى الوصول الى مجالات التعليم والعلم والثقافة . وهى لا تهتمّ بالتطور الفكرى للكادحين الا بالمقدار الذى يتوافق فيه ذلك مع مصالحها

الخاصة ؛ لذلك تحاول حصر تعليم اطفال العمال والفلاحين بالتعليم المهنى فقط بحيث يكون نصيبهم الوحيد هو العمل لصالح رب العمل .

ويبرز الجوهر اللاانسانى للامبريالية بوجه خاص فى ابشع مظهر من مظاهر الرأسمالية المعاصرة كاشاعة العسكرية فى الاقتصاد . ان قيما هائلة ، تصنعها ايدى وعقول اناس العمل ، تستخدم بازدياد مطرد لا من اجل تحسين معيشتهم بل من اجل انتاج ادوات رهيبة للقتل والتخريب . فالنفقات الحربية للولايات المتحدة الاميركية ، مثلا ، خلال السنوات العشرين الاولى بعد الحرب فاقت ب٤٨ مرة نفقاتها الحربية خلال العقدين اللذين سبقا الحرب العالمية الثانية . وبلغت النفقات الحربية للولايات المتحدة الاميركية خلال عشر سنوات (من عام ١٩٥٩ لغاية عام ١٩٦٨) اكثر من ٥٥١ مليار دولار (وهذا المبلغ يفوق باكثر من ١٥ مرة حجم مجمل الدخل القومى لعام ١٩٦٧ فى بلد كالهند) ، كما بلغت عام ١٩٧٢ وحده ٨٣٤٠٠ مليون دولار .

اما بالنسبة لحلف الناتو العسكرى السياسى العدوانى ككل فان نفقاته خلال ٢٠ عاما من وجوده قد بلغت رقما ضخما : حوالى ١٣٠٠ مليار دولار . وفى عام ١٩٧٢ وصلت هذه النفقات الى اكثر من ١١٤ مليار دولار ! وهذا يعنى انفاقا هائلا للطاقة والعمل ولقيم وموارد مادية ضخمة كان يمكن توجيهها نحو غايات ابداعية . والكل يعلم ان هذه المئات من مليارات الدولارات قد سُحبت من جيوب دافعى الضرائب ، اى سُلبت من الكادحين فى البلدان

الاعضاء فى حلف الناتو ، وكذلك ، من شعوب البلدان النامية التى تنهبها بلدان الامبريالية بصورة لا تعرف الرحمة . وهذه المبالغ كافية ، فى حال استخدامها ، من اجل تلبية الكثير من حاجات السكان الاقتصادية والاجتماعية كتأمين المساكن وازالة الاكواخ ، وتطبيق الخدمة الطبية المجانية والتعليم المجانى بجميع مراحله ، والقيام على نطاق واسع ببناء المدارس والمستشفيات وغيرها من المؤسسات الاجتماعية والثقافية ، وتحسين الضمان المادى فى سن الشيخوخة ، وبلوغ تقدم سريع فى تطوير العلم والتكنيك العالميين ، واستقصاء الفضاء ، وضبط المناخ ، واستثمار ثروات المحيط العالمى ، وفى الكثير غيرها من المجالات .

الا ان ذلك امر مستحيل فى ظروف الامبريالية ، اذ ان البزنس العسكرى هو اكبر واضمن بزنس لدى الاحتكارات .

ان المنجزات العلمية التكنيكية المعاصرة تفتح آفاقا لا سابق لها أمام زيادة الرفاهية المادية والمستوى الثقافى للانسان الكادح . بيد ان الاحتكارات لا تعمل فقط على عرقلة استخدام منجزات العقل البشرى لما فيه خير الانسان ، بل وغالبا ما توجهها ضد الانسان محوّلة اياها الى ادوات فظيعة للحرب الساحقة والماحقة .

وتتمركز فى ايدى الاحتكارات الكمية الاساسية من اعمال البحث العلمى العصرية المعقدة والرفيعة الثمن ؛ ومن الطبيعى ان تملك الاحتكارات ايضا نتائج هذه الاعمال التى تستخدمها من اجل تأمين

الارباح الاحتكارية والاستيلاء على الاسواق .. والسرية المطلقة فى الابحاث العلمية ، والتى يعود سببها الى الصراع التنافسى ، تخلق المصاعب بوجه تبادل الانباء العلمية ، وتوازية فى العمل ، وبهنا تؤدّى الى انفاق المبالغ وهدر جهود العلماء الابداعية بصورة غير مجدية . وتضع الاحتكارات الآلاف العديدة من الاختراعات والاكتشافات الهامة على الرف بانتظار الزيادة الضرورية فى «قيمتها التجارية» . فالانتاج الواسع النطاق لمادة النايلون ، مثلا ، لم يباشر به الا فى عامى ١٩٤٦ – ١٩٤٧ ، اى بعد مرور ١٤ عاما على اختراعه (عام ١٩٣٢) .

ينطوى استخدام العلم والتكنيك للاغراض الحربية على خطر خاص بالنسبة للانسان . ان اكثر من ثلثى العلماء والمهندسين الاميركيين وحوالى ثلاثة اخماس زملائهم البريطانيين يشتغلون فى قضايا ترتبط باغراض حربية . و٧٠٪ من الاموال المخصصة لمجمل الاغراض العلمية فى الولايات المتحدة الاميركية تنفق على ابحاث ذات طابع حربى .

وجاء فى الوثيقة الاساسية التى اصدرها مؤتمر الاحزاب الشيوعية والعمالية العالمى فى موسكو (١٩٦٩) ان الرأسمالية تستخدم الثورة العلمية التكنيكية من اجل زيادة الارباح وتشديد استثمار الكادحين .

ان الثورة العلمية التكنيكية تعجّل من عملية اضفاء الطابع الاجتماعى على الاقتصاد ، الامر الذى يؤدى فى ظروف سيطرة الاحتكارات الى نمو نطاقات النزاعات التناحرية الاجتماعية وتفاقمها . ولا تحتدم

فقط التناقضات القديمة للرأسمالية بل وتولد تناقضات جديدة ايضا . وهى بالدرجة الاولى التناقض بين الامكانيات المنقطعة النظير التى توفرها الثورة العلمية التكنيكية ، وبين العراقيل التى تضعها الرأسمالية فى طريق استخدامها لصالح المجتمع بأسره ، اذ توجه جزءا كبيرا من الاكتشافات العلمية وموارد مادية ضخمة نحو الاغراض الحربية ، وتبذر الثروات الوطنية . وهى كذلك التناقض بين الطابع الاجتماعى للانتاج الحديث والطابع الحكومى الاحتكارى لتنظيمه . وما نقصده هنا ليس مجرد نمو للتناقض بين العمل والرأسمال بل وتعميق للتناحر بين مصالح السواد الاعظم من مواطنى الامة والطغمة المالية .

وهكذا ، فان الرأسمالية المعاصرة لاانسانية من حيث جوهرها ، وهى ضد الانسان الكادح .

فاين المخرج ، اذن ؟ المخرج وحيد : **الاطاحة الثورية بالرأسمالية واقامة المجتمع الاشتراكى .** وانها لآنية اكثر من اى وقت مضى كلمات لينين النبوئية : «والحال تنظر الاشتراكية الينا الآن عبر جميع نوافذ الرأسمالية المعاصرة ، والاشتراكية ترتسم معالمها مباشرة ، عمليا ، من كل تدبير كبير يشكل خطوة الى امام على اساس هذه الرأسمالية الاحدث عهدا» * . وضرورة الاشتراكية يمليها مجمل

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤ ، ص ١٩٣ .

سير العملية التاريخيـــة المعاصرة ومتطلبات التقدم الاجتماعى والعلمى التكنيكى .

لقد شقت ثورة اكتوبر الاشتراكيـــة العظمى فى روسيا الطريق امام البشرية نحو المستقبل الاشتراكى ، وارست بداية العهد الجديد ، عهد انتقال البشرية من الرأسمالية الى الاشتراكية .

الفصل الثانى

عصرنا هو عصر انتقال البشرية من الرأسمالية الى الاشتراكية

١ – المحتوى الاساسى للعصر الراهن

المجتمع المعاصر عبارة عن لوحة معقدة للغاية من التشابك والتفاعل والنضال بين مختلف التكوينات والانماط الاجتماعية الاقتصادية ، ومختلف الطبقات والفئات الاجتماعية ، والامم والدول . ان قسما كبيرا من البشرية يبنى الاشتراكية والشيوعية . وبين البلدان غير الاشتراكية توجد بلدان ذات رأسمالية متطورة ، امبريالية ، وبلدان ما تزال فى مراحل ما قبل الرأسمالية من تطورها ، الخ . كما لا يزال ملايين الناس ،يرزحون تحت نير الاستعمار . ان المجتمع فى المرحلة المعاصرة من تطوره يتّصف بمفهوم «العصر الراهن» .

لقد بات ايديولوجيو البرجوازية الآفلة عن مسرح التاريخ ، والذين اعمتهم مصالحهم الطبقية ولا يملكون

اسلوبا علميا فى المعرفة ، باتوا عاجزين عن فهم كنه تنوُع وتعقد الاحداث الاجتماعية لزماننا . فبعضهم من يقول مباشرة ان تحديد طابع عصرنا وتعيين الاتجاه الذى تسير فيه البشرية المعاصرة امر مستحيل لان الاحداث الاجتماعية متقلبة لا تقبل التحديد كما يزعمون ، ولا تخضع لاى تقييم موضوعى ما او غير متحيز . ويحاول آخرون البرهنة على ان طابع العصر الراهن يحدَّد بالاكتشافات التكنيكية ، وخاصة باكتشاف الطاقة الذرية . وفى رأى علماء الاجتماع هؤلاء ان القنبلة الذرية (كذا !) هى مركز الصدارة للعصر الراهن ، اما بالنسبة للعصر نفسه فيطلقون عليه القاب «قرن التكنيك» و«قرن السيبرنيتيك» و«قرن القنبلة الذرية» الخ . مع العلم بانه لا يجوز ان ننسب تطور المجتمع الى التكنيك والاكتشافات التكنيكية رغم انها تلعب ، وخاصة فى ظروف الثورة العلمية التكنيكية المعاصرة ، دورا ضخما فى التطور الاجتماعى . ولدى تقييم دور التكنيك يجب ان لا يغيب عن البال ان تأثيره على العملية التاريخية لا يمارسه بنفسه بل من خلال نظام معقد من العلاقات الاجتماعية ، وبالدرجة الاولى علاقات الانتاج السائدة فى المجتمع . وهذه العلاقات والقوى الطبقية التى تقف وراءها هى التى يجب ان تؤخذ بالحسبان لدى تحليل عصرنا الراهن .

وكانت الماركسية – اللينينية ، وحدها ، القادرة على كشف طابع العصر الحديث . وقد كتب لينين يقول ان محتوى العصر الجديد للتاريخ العالمى ، والذى بدأ ، هو «القضاء على الرأسمالية وآثارها ، وارساء

اسس النظام الشيوعى ...» * .

وكان لينين يعتبر الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية لا انتقالا من دفعة واحدة بل حقبة تاريخية كاملة من الصراع بين النظامين الاجتماعيين المتعارضين . وكان محقاً فى اعتبار **الطبقة العاملة العالمية** حاملة لواء هذا العصر الجديد ، وربط بدايته بثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى التى اقامت دكتاتورية الطبقة العاملة لاول مرة فى العالم . وكان لينين على قناعة بان دكتاتورية البروليتاريا سوف تتحول من دكتاتورية وطنية ، انتصرت بادىء الامر فى بلد واحد بمفرده ، الى دكتاتورية اممية ، عالمية وبان شعوبا ودولا جديدة وجديدة ستسلك طريق التطور الاشتراكى تدريجيا .

ان التعريف اللينينى للعصر الراهن يؤكده مجمل سير تطور البشرية المعاصرة وممارسة نضال الشعوب الثورى التحررى . وهو يعكس الاحداث الحاسمة فى زماننا — انتصار الثورة الاشتراكية فى مجموعة كبيرة من البلدان ، وتحوُّل الاشتراكية الى نظام عالمى جبار ، وحالة الانهيار والازمات التى تعانى منها الامبريالية ، وتداعى النظام الاستعمارى .

ثورة اكتوبر بداية العصر الراهن

لقد دخل يوم ٢٥ اكتوبر (٧ نوفمبر حسب التقويم الجديد) من عام ١٩١٧ ، ذلك اليوم الذى اطاح فيه العمال الروس ، بالتحالف مع الفلاحين الكادحين ، بسلطة

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤١ ، ص ٤٢٥ .

البرجوازية فى روسيا واقاموا سلطتهم هم — دكتاتورية البروليتاريا ، دخل هذا اليوم التاريخ باعتباره فاتحة العصر الراهن ، عصر الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . وقد كتب لينين بهذا الصدد يقول : «. . . يحق لنا ان نفتخر ونحن نفتخر فعلا بانه كان من حظنا **البدء** ببناء الدولة السوفييتية ، **والبدء** هكذا بعهد جديد فى التاريخ العالمى ، عهد سيطرة طبقة **جديدة** مضطهدة فى جميع البلدان الرأسمالية وتسير فى كل مكان نحو حياة جديدة ، نحو الانتصار على البرجوازية ، نحو دكتاتورية البروليتاريا ، نحو تحرير الانسانية من نير الرأسمال ، من الحروب الامبريالية» * .

لقد كان اكتساب حق السعادة فى بناء المجتمع الجديد امرا شاقا للغاية . فالنضال العصيب ضد الحكم المطلق والملاكين والرأسماليين فى ازمنة ما قبل الثورة ذهب بارواح العديد من خيرة ابناء الشعب الكادح والحزب . وبذل حزب الشيوعيين الكثير من القوى والعمل من اجل رص صفوف الطبقة العاملة وجميع القوى الثورية ، وتنظيمها ، وتقويتها ، ودفعها الى النضال ضد النظام الاستثمارى . لقد اجتاز العمال والفلاحون الروس تجارب قاسية فى مدرسة النضال قبل ان يحققوا الثورة بقيادة الحزب . وكلفهم مزيدا من الجهود الكبيرة والضحايا البالغة الذود عن اعظم مكتسبات اكتوبر ، الذود عن اول دولة للكادحين فى العالم . وما زالت الجهود الباسلة للحزب الشيوعى والطبقة العاملة والشغيلة فى البلاد السوفييتية فى النضال ضد النظام

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٤ ، ص ١٤٨ .

القديم تعتبر حتى يومنا هذا مثالا ملهما لجميع المناضلين فى سبيل المستقبل الجديد ، الاشتراكى .

وثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى لم تعمل فقط على الاطاحة بنظام الاستثمار والاضطهاد ، وارساء بداية التحرر الاقتصادى والاجتماعى والسياسى للجماهير الشعبية ، وانتشال البلاد من لجة الحرب الامبريالية الدموية ، بل وهزت عالم الرأسمالية حتى جذوره .

لقد كانت ثورة اكتوبر بحد ذاتها ثورة روسية ، ثورة انتصرت فى بلد بمفرده ، وهى تعتبر ، من هذه الناحية ، شأنا داخليا من شؤون شعوب روسيا . بيد انها تخطت بعيدا حدود بلد بعينه ، ومارست تأثيرا ضخما على مجمل سير التاريخ العالمى ، وطرحت وحلت بنجاح جملة من المسائل الاجتماعية التى ما تزال تعمل على حلها فى الوقت الحاضر ايضا الطبقة العاملة والجماهير الكادحة فى البلدان اللااشتراكية ، وكانت بمثابة تأكيد عملى لصواب الماركسية - اللينينية ، وأغنت الطبقة العاملة والكادحين فى جميع البلدان بتجربة لا تقدّر بثمن ، تجربة النضال ضد الرأسمالية ، وفى سبيل الاشتراكية ، **وشقت امام البشرية الطريق نحو المجتمع الجديد ، الاشتراكى** . ووضعت ثورة اكتوبر حدا لسيادة الرأسمالية المطلقة على الارض ، وشطرت العالم الى نظامين متعارضين - الرأسمالى والاشتراكى ، فتغيّر بنتيجة ذلك كل مجرى تطور التاريخ البشرى .

ومن اجل اعطاء فكرة عن التغيرات التى شهدتها البشرية بعد ثورة اكتوبر نورد فيما يلى مقارنة عن

الوضع فى العالم فى اواسط عام ١٩٧٤ وعام ١٩١٩ (راجع ص ٥٤ – ٥٥ . **الناشر** .)

وبانتصار ثورة اكتوبر دخلت الرأسمالية مرحلة الازمة العامة المرتبطة بتفاقم جميع تناقضاتها وبتقلص دائرة الاستغلال الرأسمالى . واخذت تتسع امكانيات النضال الثورى لكادحى العالم بأسره اذ وجدوا فى شخص اول دولة للطبقة العاملة حليفا جبارا ومساعدا مأمونا .

وكان انتصار ثورة اكتوبر حافزا قويا لتطور الحركة العمالية العالمية . فبفعل تأثيرها المباشر هبّ عمال العديد من البلدان فى مختلف اصقاع الكرة الارضية الى النضال ضد مستثمريهم . وراحت الثورات تندلع فى المانيا وهنغاريا النمساوية وغيرهما من البلدان ، وانتشرت النضالات الثورية الجماهيرية للبروليتاريين فى اوروبا واميركا .

وسيرا على مثال الحزب الذى انشأه لينين وتحت تأثير انتصاره انبثقت عشرات الاحزاب الماركسية فى اوروبا وآسيا وافريقيا واميركا ، التى توحدت تنظيميا وفكريا فى الاممية الثالثة ، الشيوعية . لقد ارست هذه الاممية بداية الحركة الشيوعية المعاصرة وكانت بالنسبة لشيوعيى العالم بأسره خير مدرسة للنضال الثورى ضد البرجوازية .

وايقظت ثورة اكتوبر شعوب البلدان المستعمرة والتابعة ، فقد اجتاحتها موجة عارمة من ثورات التحرر الوطنى . وبهذا بالذات وُضعت بداية انهيار النظام الاستعمارى للامبريالية وُخلقت المقدمات من اجل تحرير الشعوب المضطهدة تحريرا تاما .

	عام	
	الاراضى	
	مليون كلم	النسبة المئوية من المجموع
١ – العالم بأسره	١٣٥,٨	١٠٠
بما فى ذلك:		
البلدان الاشتراكية	٢١,٧	١٦,٠
البلدان الاخرى	١١٤,١	٨٤,٠
٢ – الدول الامبريالية الكبرى (اميركا ، انكلترا ، فرنسا ، المانيا الاتحادية (المانيا عام ١٩١٩) اليابان ، ايطاليا) ومستعمراتها	٦٠,٣	٤٤,٤
٣ – جميع المستعمرات وشبه المستعمرات	٩٧,٨	٧٢,٠
٤ – البلدان المستعمرة وشبه المستعمراة السابقة التى غدت دولا ذات سيادة بعد عام ١٩١٩ (باستثناء الدول الاشتراكية)		

١٩١٩		عام ١٩٧٤			
السكان (ارقام تقديرية)		الاراضى		السكان (ارقام تقديرية)	
مليون نسمة	النسبة المئوية من المجموع	مليون كلم	النسبة المئوية من المجموع	مليون نسمة	النسبة المئوية من المجموع
١٧٧٧	١٠٠	١٣٥,٨	١٠٠	٣٩٤٠	١٠٠
١٣٨,٠	٧,٨	٣٥,٢	٢٥,٩	١٢٥٩	٣٢,٠
١٦٣٩	٩٢,٢	١٠٠,٦	٧٤,١	٢٦٨١	٦٨,٠
٨٥٥	٤٨,١	١١,٧	٨,٦	٥٦٣	١٤,٣
١٢٣٥	٦٩,٤	٤,٥	٣,٣	٣٧	٠,٩
		٧٩,٧	٥٨,٧	١٨٦٣	٤٧,٣

وعليه ، فنتيجة لثورة اكتوبر الاشتراكية او تحت تأثيرها المباشر تكوّنت **القوى الثورية الاساسية لعصرنا الراهن** ، و'أرسيت ، وهذا الأهم ، بداية توحيدها فى عملية ثورية عالمية واحدة تحطم وتنسف الامبريالية . ولنتحدث فيما يلى عن العملية الثورية العالمية فى المرحلة الراهنة وعن قواها المحركة الاساسية .

العملية الثورية العالمية وقواها المحركة الاساسية

ان العملية الثورية العالمية المعاصرة – عملية انتقال البشرية من الرأسمالية الى الاشتراكية – هى بمثابة تيار موحد للنضال ضد الامبريالية تصب فيه :

جهود شعوب النظام الاشتراكى التى تبنى الاشتراكية والشيوعية ؛

الحركة الثورية للطبقة العاملة فى بلدان الرأسمالية ؛

حركة التحرر الوطنى ونضال الشعوب المضطهدة ضد الاستعمار ومن اجل السيادة الوطنية والاستقلال الاقتصادى والتقدم الاجتماعى .

وتشترك فى كل حركة من هذه الحركات طبقات وفئات اجتماعية محددة ، وتحل كل واحدة منها مهماتها الملموسة وتستخدم طرقا ووسائل خاصة من اجل حلها ، الا انها تعمل جميعا على نسف دعائم الامبريالية وتجسد ، الى هذا الحد او ذاك ، تقدّم البشرية نحو المستقبل الشيوعى السعيد . **ففى وحدة**

القوى الثورية لعصرنا ضمانة نجاح القضية العظيمة ، قضية السلم والتقدم والاشتراكية .

ان شعوب بلدان النظام الاشتراكي تبني الاشتراكية والشيوعية فاتحة الطريق امام البشرية نحو المجتمع الجديد . وهي تخوض منافسة اقتصادية مع النظام العالمي للرأسمالية مبينة عمليا افضليات النظام الجديد الذي سوف تؤدي منجزاته الى ارفع مستوى معيشي للشغيلة في العالم . وهي تُعتبر تجسيدا للقوى المادية والروحية الجبارة التي تواجه الامبريالية الرجعية وتقف حارسا على السلام والاشتراكية والتقدم .

والطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية ، باستخدامها الظروف العالمية والداخلية الملائمة (تغيُّر تناسب القوى على الصعيد العالمي لصالح الاشتراكية ، الاستياء العميق لدى الجماهير الشعبية الواسعة من سياسة الامبريالية الرجعية ، الخ) ، توسّع النضال ضد تسلّط الاحتكارات الاقتصادي والسياسي ، وفي سبيل الاشتراكية والسلم وامن الشعوب ، ومن اجل اجراء تحولات ديمقراطية واسعة . وهي ، بنسفها اسس الرأسمالية من الداخل ، في عقر دارها كما يقال ، تهيىء وتعجل الهلاك النهائي للرأسمالية العالمية .

وشعوب البلدان النامية وكذلك البلدان المستعمرة والتابعة تناضل بعناد في سبيل الاستقلال السياسي والاقتصادي ومن اجل الازدهار والتقدم الاجتماعي ، وهي تعمل على تحطيم نظام الامبريالية الاستعماري ، ونسف اقرب مؤخراته ، وحرمانه من

اهم مصادر الخامات والايدى العاملة واسواق التصريف ورؤوس الجسور الحربية ومصادر «طعام المدافع» ، كما انها تعجّل عملية هلاك الرأسمالية وعملية تقدم البشرية نحو الاشتراكية .

وقد جاء فى الوثيقة الختامية لمؤتمر الاحزاب الشيوعية والعمالية الاوروبية فى برلين (عام ١٩٧٦) : «ان مواقع الامبريالية ، التى لم تتغير طبيعتها ، قد اصيبت بالضعف نتيجة للتطورات فى تناسب القوى . ويتجسد ذلك فى انها لم تعد قادرة لا على شطب المكتسبات التاريخية للاشتراكية ولا على ايقاف سير القوى التقدمية الى امام والحركة من اجل تحرر واستقلال الشعوب» * .

تقف فى قلب القوى الثورية للعصر الراهن الطبقة العاملة ووليدها ، نتاج نضالها وعملها طوال سنوات عديدة – **النظام العالمى للاشتراكية ، الذى اخذ يتحول حاليا بازدياد مطرد الى عامل حاسم للتاريخ العالمى .**

٢ – تحول نظام الاشتراكية الى عامل حاسم للتطور العالمى

لم تعد الاشتراكية ، فى الوقت الحاضر مجرد علم ونظرية . انها ممارسة وواقع ايامنا هذه ، انها مجتمع حقيقى يقام على رحاب فسيحة جدا من الكرة الارضية . والاشتراكية ترسخت فى الاتحاد السوفييتى وعدد من

---

* «فى سبيل السلم والامن والتعاون والتقدم الاجتماعى فى اوروبا» . بوليتيزدات ، ١٩٧٦ ، ص ٢٨ .

بلدان اوروبا وآسيا واميركا . ونتيجة للنضال الناجح الذى تخوضه الطبقة العاملة والجماهير الكادحة نشأ النظام العالمى للاشتراكية وهو آخذ فى التطور . وعمره ليس كبيرا ابدا ، وهو ينمـــو ، ويشتد ساعده ، ويزداد قوة . والواقع انه فى حين كان يشغل عشيـــة الحرب العالمية الثانية ١٧٪ من اليابسة فقد اصبـح يشغل حوالى ٢٦٪ منها فى الوقـت الحاضر ؛ وفى حين كان عدد سكانه آنذاك حوالى ٩٪ من سكان الارض فقد اصبح الآن ٣٢,٢٪ . ويضم النظام العالمى للاشتراكية دولا كبيرة وصغيرة تنتشر على مسافات شاسعـة فى اوروبا وآسيا واميركـــا اللاتينيـــة . وخلال فترة قصيرة تحولت اكثريتها ، والتى كانت فى الماضى ذات مستـــوى اقتصادى منخفض ، الى دول متطورة ذات صناعة حديثة ، وبلغت ازدياد ملحوظا فى المستوى المعيشى للشغيلة ، وتطورا سريعا للعلم والثقافة .

ان الطريق نحو الاشتراكية مفتوحة الآن ، فى عصر النمو الصاعد للقوى الاشتراكية ، امام اى بلـد كان بغض النظر عن مستوى تطوره ، واينما كان موقعـه الجغرافى ، وايا كان حجمه ، ومهما بلغ عدد سكانه .

طراز جديد للعلاقات بين الدول

النظام العالمى للاشتراكية عبارة عن اسرة اجتماعية واقتصادية وسياسية لشعـــوب حرة سيدة تسير فى طريق الاشتراكية والشيوعية ، وتوحدها جامعـــة المصالـح والاهداف والعرى الوثيقـــــة للتضامن الاشتراكى العالمى . انها **طراز جديد نوعيا للعلاقـات**

الاقتصادية والسياسية بين الدول ، يقوم على اساس الجامعة العميقة لمصالحها الاقتصادية والسياسية والفكرية . وتُعتبر الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج الاساس الاقتصادى للتعاون الاشتراكى . وتشكل اساسه السياسى سلطة الشعب وعلى رأسه الطبقة العاملة واحزابها الماركسية . وتعتبر العقيدة الماركسية اللينينية اساسه الايديولوجى .

والعلاقات بين البلدان الاشتراكية هى علاقات التعاون الاقتصادى والسياسى والثقافى المتنامى باطراد والمساعدة المتبادلة اللذين يقرّبان الشعوب باسم الهدف المشترك . ان المساواة التامة بين الدول كبيرها وصغيرها ، وعدم التدخل فى الشؤون الداخلية لبعضها البعض ، واحترام السيادة الوطنية وحرمة الاراضى ، والمساعدة الاقتصادية الاخوية المتبادلة ، والتعاون الوثيق فى جميع ميادين الحياة الاجتماعية – تلكم هى المبادئ الاساسية للعلاقات بين البلدان الاشتراكية . وتشكل عملية التقريب التدريجى بين الشعوب ، والجارية على اساس هذه المبادئ ، سمة هامة من سمات تطور النظام العالمى للاشتراكية .

واشكال تقريب شعوب البلدان الاشتراكية وتعاونها المتبادل متنوعة .

ففى الميدان **الاقتصادى** تساعد بلدان الاشتراكية بعضها البعض بشتى الوسائل فى انشاء صناعة عصرية ، وفى بلوغ وتيرات عالية لنمو الاقتصاد ، وفى رفع انتاجية العمل ، وعلى هذا الاساس زيادة الرفاه المادى والمستوى الثقافى للشغيلة ، وفى إعداد الاخصائيين والعاملين فى الحقول العلمية .

وأخذ يتطور فى الاعوام الاخيرة بين بلدان النظام الاشتراكى تعاون انتاجى مباشر ينعكس فى تنسيق خطط الاقتصاد الوطنى وفى تخصيص وتعاونية الانتاج ، والتى يجرى تحقيقها على اساس الطوعية التامة والمساواة . ويقوم التعاون الانتاجى المباشر سواء على اساس الاتفاقيات الثنائية ام المتعددة الاطراف من خلال مجلس التعاون الاقتصادى الذى أسس عام ١٩٤٩ ، وهو منظمة اقتصادية دولية للبلدان الاشتراكية الاوروبية . والتعاون الاقتصادى بين البلدان الاشتراكية يساعد على الاستخدام الأمثل لمواردها من الخامات والطاقة .

ويجرى حاليا بين البلدان الاشتراكية الاعضاء فى مجلس التعاون الاقتصادى تحقيق **التكامل الاقتصادى الاشتراكى** . وينحصر جوهره فى توحيد الموارد البشرية والمادية والمالية لعدد من البلدان من اجل تأمين نهوض متواصل للانتاج سواء فى كل بلد على حدة ام فى الاسرة الاشتراكية ككل . ويتسم باهمية خاصة تنسيق خطط تطوير الاقتصاد الوطنى ، وتوحيد القدرة العلمية التكنيكية الكامنة لدى بلدان المجلس ، والعمل المشترك فى إعداد واستخدام احدث التكنيك والتكنولوجيا من اجل ضمان وتائر عالية للتقدم العلمى التكنيكى وتكثيف الانتاج على هذا الاساس .

والتكامل هو تقريب واع ومبرمج لاقتصاديات البلدان الاشتراكية عن طريق اتقان ميكانيزم الروابط الانتاجية التكنيكية الشاملة والثابتة ، وتوسيع السوق المشتركة لبلدان الاشتراكية ، وتعميق وتوسيع عمليات النقد والتسليف . ان التكامل هو

طريق اشاعة الامية فى مجمل حياة البشرية الاقتصادية والسياسية والروحية التى تنبأ لينين بامكانيتها وضرورتها .

وقد هيأت التكامل الاشتراكى نجاحات البناء الاقتصادى فى بلدان مجلس التعاون الاقتصادى . ومن جهة اخرى استوجبت هذه النجاحات ، باعتبارها فى الدرجة الاولى نتيجة عمل ونضال شعوب بلدان الاشتراكية ، استوجبتها الى حد كبير علاقات التعاون والمساعدة المتبادلة فيما بينها .

ويتسع نطاق **التعاون العلمى التكنيكى** للبلدان الاشتراكية اتساعا متزايدا باستمرار . فقد انتشر التعاون بين معاهد البحث العلمى ، وإعداد وتدريب الاخصائيين ورجال العلم من احدى البلدان فى بلدان اخرى توجد فيها اكثر الشروط ملاءمة من اجل إعداد هذا الاختصاصى او العالم او ذاك . ويتيح التعاون العلمى التكنيكى تعجيل وتيرات الابحاث العلمية وتفادى الازدواجية فى العمل والاستخدام الامثل للملاكات العلمية التكنيكية والمعدات .

ويتسع **التعاون السياسى** للبلدان الاشتراكية الذى يتيح وضع نهج مشترك فى حل اهم المسائل الاجتماعية فى الحياة الدولية والداخلية على السواء ، وخوض نضال مشترك ضد الرجعية الامبريالية وفى سبيل السلم والاشتراكية والتقدم الاجتماعى . ويساعد فى ذلك تبادل الوفود الحكومية والحزبية ، والمباحثات الودية ، وتبادل المعلومات ، والاجتماعات حول مختلف القضايا .

ويتسم **التعاون العسكرى** للبلدان الاشتراكية باهمية كبيرة فى وجه الاعمال العدوانية لقوى

الامبريالية . وينعكس ذلك فى التوطيد المتواصل لمنظمة معاهدة وارسو واستكمالها ، والتى تعتبر درعا حصينا يحمى مكتسبات شعوب بلدان الاشتراكية . وفى البر والجو والبحر يجرى التدريب المتبادل لجيوش الدول الحليفة ، وتتعزز الاخوّة القتالية لقواتها المسلحة .

وتحقق بلدان الاسرة الاشتراكية **تعاونا ثقافيا** واسعا ، مما يساعد فى تطوير كل ثقافة وطنية واغناء بعضها بعضا ، كما تخوض نضالا مشتركا ضد الايديولوجيا البرجوازية ومعاداة الشيوعية .

توطيد الوحدة اكبر مهمة

يشكل **توطيد وحدة النظام الاشتراكى العالمى على اساس الاممية البروليتارية** شرطا الزاميا لنجاحات بلدان الاشتراكية بصورة متواصلة . وهذه الوحدة لا يجمعها اى جامع بمظاهر النزعة القومية الضيقة وشوفينية الدولة العظمى ، التى تلحق الضرر بالمصالح المشتركة للاسرة الاشتراكية وبمصالح الحركة الشيوعية العالمية .

وهذه المهمة ليست على الاطلاق وليدة الصدفة ، بل لها اسبابها المحددة . والحال ان تقريب الدول الاشتراكية موضوعيا لا يتحقق على الغالب دون صعوبات ومشقات .

ان تكوين وتطوير الاسرة الاشتراكية عملية مديدة ومعقدة . وهى معقدة لمجرد كون هذه الاسرة تضم بلدانا ذات مستوى متفاوت فى تطور الاقتصاد والحياة الاجتماعية والثقافة ، وذات ماض تاريخى وتقاليد

وعادات شعبية مختلفة . وهى معقدة ايضا لان المقصود هنا تكوين علاقات بين البلدان لم يعرفها تاريخ البشرية من قبل ، وكل جديد ومجهول صعب ومعقد . هذا ، بالاضافة الى انه يترتب فى اثناء تقريب الشعوب القضاء على بقايا الماضى ، وخاصة بقايا النزعة القومية البرجوازية ، وهى بقايا ذات قوة حيوية بالغة جدا . ومن هنا تبرز ضرورة تربية الشغيلة بروح الاممية البروليتارية والتضامن بين البلدان الاشتراكية .

وقد قال الامين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتى فى المؤتمر الخامس العشرين للحزب : «وبودى التأكيد بوجه خاص على اهمية الاممية البروليتارية فى ايامنا هذه . انها احد المبادئ الرئيسية للماركسية-اللينينية . ومن دواعى الاسف ان البعض قد اخذ يأوّل هذا المبدأ وكأنه لم يبق من الاممية عمليا سوى النذر اليسير . وثمة قادة ايضا يصل بهم الامر حتى الى الاقتراح بصورة سافرة بالتخلى عن الاممية . وهم يرون ان تلك الاممية التى اسسها ماركس ولينين ودادا عنها قد شاخت ، كما يدعون . وفى رأينا ان التخلى عن الاممية البروليتارية انما يعنى ، فى حال حصوله ، حرمان الاحزاب الشيوعية والحركة العمالية عامةً من سلاح ماضٍ ومجرب» * .

ومما يزيد فى ضرورة النضال من اجل وحدة النظام الاشتراكى العالمى ان الامبرياليين يسعون بجميع السبل الى تقويض هذه الوحدة وسلخ هذا البلد او ذاك

* بريجنيف . تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتى والمهمات الدورية للحزب فى ميدان السياستين الداخلية والخارجية . موسكو ، ١٩٧٦ ، ص ٣٧-٣٨ .

عن الاسرة الاشتراكيــة . تشهد على ذلك احداث عام ١٩٥٦ فى هنغاريا ، وعام ١٩٦٨ فى تشيكوسلوفاكيا كذلك ، حيث حاولت القوى المعادية للثورة والقوى التحريفية بتوجيه من الاوساط الامبريالية فى الغرب ، سلخ البلاد عن نظام الاشتراكيـــة واعادة الاوضاع الرأسمالية اليهــا فى آخر المطاف . وقد قدم الاتحاد السوفييتى وسائر بلدان الاشتراكية مساعدة عاجلة للشعب التشيكوسلوفاكى فى الدفاع عن المكتسبات الاشتراكية ، بما فى ذلك المساعدة العسكرية .

ان الوحدة والتلاحم يضاعفان قوى الاشتراكيــة . فكلما اصبحت وحدة البلدان الاشتراكية اشد متانة كلما ازداد توحيد جهودها وثوقاً فى تطوير الاقتصاد والثقافة وفى زيادة رفاه الشعوب . وبمقدار ما سيكون تعاونهــا السياسى اشد متانـــة بمقدار ما ستعرض الاشتراكية بمزيد من القناعة والسطوع افضلياتها على الرأسمالية ويزداد فعالية تأثير النظام الاشتراكى على مجمل سير التاريخ العالمى .

القوة الجبارة للتطور العالمى

لقد ولّت الى الابد تلك الازمنة التى كانت الامبريالية فيها السيد المطلق على كوكبنـــا . اما الآن فليس الامبريالية ، بل القوى المناضلة ضدها وفى سبيـــل السلم والاشتراكية والتقدم الاجتماعى ، وبالدرجـة الاولى **النظام العالمى للاشتراكيـــة ، هى التى تحدد الاتجاه الرئيسى والمحتوى الرئيسى والميزات الرئيسية للتطور العالمى** . وقد اخذ التكوين الاجتماعى الرأسمالى

الجبار فيما مضى ، وتحت الضغط الجارف من جانب الاشتراكية العالمية ، ينهار ويتلاشى تدريجيا بصورة لا مفر منها ، وان لم يكن ذلك بالسرعة المرجوة ، واخذ يحل محله تكوين جديد يجلب لكافة شعوب الارض السلم والعمل ، والحرية والمساواة ، والاخاء والسعادة .

«وليس بوسع اى انسان موضوعى المزاج ان ينكر ان تأثير البلدان الاشتراكية على سير الحوادث العالمية يزداد قوة وعمقا . وهذا خير عظيم للبشرية بمجملها ولكل من يريد الحرية والمساواة والاستقلال والسلام والتقدم» * .

ولم يعد بالامكان فى الوقت الحاضر حل اية قضية هامة ، مهما كانت ، من قضايا التطور الاجتماعى حلاً ناجحا بدون المشاركة النشيطة من جانب الاشتراكية العالمية . **ان تحوُل النظام العالمى للاشتراكية الى عامل حاسم لتطور البشرية يُعتبر السمة المميزة الاساسية للعصر الراهن** . فضلا عن انه ، مع تكاثر نجاحات النظام الاشتراكى العالمى ، سيبرز دوره بوضوح متعاظم على الدوام فى الحياة الاقتصادية والسياسية والفكرية للبشرية .

الا ان ذلك لا يعنى ابدا ان النظام العالمى للرأسمالية ينبغى الاستهانة به على الاطلاق . فالامبريالية تملك قوة اقتصادية وسياسية وعسكرية كبيرة ما تزال تتيح لها التدخل فى شؤون مختلف

---

* «وثائق المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعى السوفييتى» ، صفحة ٥ .

الشعوب والدول وفرض الانظمة الرجعية عليها وسحق قوى الثورة والتقدم . كما ان النزعة الرجعيــة لدى الامبريالية قد ازدادت حدة ، الا ان ذلك لا يعنى ان تناسب القوى فى العالم قد تغير لصالحها . بل عــلى العكس ، فان ذلك يشهد عــلى تكاثــر المصاعـب والتناقضات التى تعانى منها الرأسماليـة المعاصرة . ويدل التاريخ بصورة مقنعة على انه اية كانت الاساليب والوسائل التى تلجأ اليها الامبريالية فهى عاجزة عـن ايقاف مسيرة التقدم التاريخى والتأثير المتعاظم ابدا للنظام الاشتراكى العالمى .

وتمارس الاشتراكية تأثيرها الرئيسى على سيــر التاريـخ العالمى بنجاحاتهــا فى البناء الاقتصادى ، وبنجاحاتها فى المنافسة الاقتصادية مع الرأسمالية . وقد قال لينين : «... نحن اليوم نمارس تأثيرنــا الرئيسى فى الثورة العالمية بسياستنا الاقتصادية ... لقد انتقل النضال الى هذا المجال على الصعيد العالمى . واذا قمنا بهذه المهمــة ، كسبنا على الصعيد العالمى بصورة اكيدة ونهائية» * .

وعلى الرغم من الظروف غير الملائمة للغاية ، التى بدأ فيها الاتحاد السوفييتى المباراة مع الرأسماليــة فى المضمار الاقتصادى (التخلّف فى التطور الاقتصادى ، الخراب الذى خلّفته الحربان العالمية والاهلية ، الحصار الاقتصادى) ، تم القضاء بالجهود البطولية للشعـب السوفييتى على تخلف الاتحاد السوفييتى اقتصاديا عـن البلدان الرأسمالية المتطورة . ففى حين ان حصة البلاد السوفييتية فى الانتاج الصناعى العالمى قد بلغت عام

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٣ ، ص ٣٤١ .

١٩١٧ اقل من ٣٪ فقد وصلت فى عام ١٩٣٧ الى قرابة ١٠٪ ، لقد قطعت البلاد السوفييتية خلال ما يقرب من عقدين من السنين فى تطورها الاقتصادى طريقا ترتّب على العديد من بلدان الرأسمال ان تقطعه خلال مئات السنين وتحولت الى دولة صناعيـــــة جبارة واحرزت الاستقلال الاقتصادى الناجز .

إثر الحرب العالمية الثانية وبعد انهاض الاقتصاد الذى خربته الحرب ، انتــج الاتحاد السوفييتى فى عام ١٩٧٥ ’خمس النتاج الصناعى العالمى . ومن المهـــم التنويه بان هذه النجاحات قد تم بلوغها لا عن طريق استغلال الشعب السوفييتى وشعوب اخرى ، كما جرى ذلك فى عدد من البلدان الرأسماليـــة ، بل نتيجـــة لاستخدام مزايا الطريقة الاشتراكية فى تسيير شؤون الاقتصاد . فهل يمكن البحث عن براهين اكثر اقناعا من اجل تبيان القوة الخارقة للاشتراكية وافضلياتها على المجتمع الرأسمالى ؟

واحرزت البلدان الاشتراكية الاخرى ايضا نجاحات جدية فى البناء الاقتصادى . فنتيجة للنجاحات فى تطوير الاقتصاد اخذت حصة البلدان الاشتراكيـــة فى الانتاج العالمى تزداد باستمرار . وفى حين بلغت هذه الحصة عام ١٩٥٠ حوالى ٢٠٪ فقد وصلت عام ١٩٥٥ الى زهاء ٢٧٪ ، وفى عام ١٩٧٥ الى حوالى الـ٤٠٪ مــن الانتاج الصناعى العالمى . ومما له دلالته ان تطور الاقتصاد فى البلدان الاشتراكية يخدم زيادة رفاه الشعب باستمرار ونمو مستواه المادى والثقافى ، فى حين ان نمو الانتاج فى البلدان الرأسمالية يخدم بالدرجة الاولى مصالح حفنة ضئيلة من كبار الملاكين ويزيد فى اثرائهم .

ان الاشتراكية مثال ساطع بالنسبة لشعوب العالم في حل **المسائل الاجتماعية السياسية** . وفي واقع الحال ، اين وفي ظل اى نظام اجتماعى آخر يتم بلوغ المساواة السياسية بين جميع اعضاء المجتمع ، حيث يتمتع كل واحد منهم ، باعتباره مالك وسائل الانتاج ، بحق المساهمة في ادارة شؤون المجتمع ويحق له ان ينتخب و'ينتخب الى اية هيئة من هيئات السلطة ؟ واين وفي ظل اى نظام اجتماعى آخر يمكن حل المسألة الفلاحية المزمنة والتوصل الى جعل المزارع يكدح في الارض من اجل نفسه ومن اجل مجتمعه ؟ واين وفي ظل اى نظام اجتماعى آخر يمكن حل احدى اعقد مسائل التطور البشرى واكثرها حدة : المسألة القومية ، وبلوغ المساواة بين مختلف الشعوب الكبيرة والصغيرة ، الملوّنة والبيضاء؟

والاشتراكية مثال رائع امام العالم باسره في مجال البناء الثقافي ايضا . فالاتحاد السوفييتي ، مثلا ، الذى كان في السابق بلدا متخلفا حوالى ٨٠٪ من سكانه اميين ، تحول الى بلد ذى ثقافة طليعية وعالية للغاية . ان الاشتراكية تضع في خدمة الانسان الكادح كنوز البشرية الروحية التى لا تحصى .

وتحرز الاشتراكية الانتصار على الرأسمالية ايضا في الميدان الحاسم للنشاط البشرى : ميدان الانتاج المادى . فمن عام ١٩٧٠ لغاية عام ١٩٧٥ كان المعدل السنوى لوتائر نمو المنتجات الصناعية في البلدان الاعضاء في مجلس التعاون الاقتصادى أعلى بمرتين مما كان عليه في البلدان الرأسمالية المتطورة وشكّل على التوالى ٩,٦٪ و ٤,٦٪ . ويحتل الاتحاد السوفييتى حاليا مواقع متقدمة في الابحاث الفضائية ، وفي الفيزياء

النوويـــة ، والرياضيات ، والمعدات الالكترونيـــة واللاسلكية ، والميتالورجيا ، والعتاد الصاروخى ، وبناء الطائرات ، الخ . ولهذا اهمية غير قليلة فى عصرنا .

ان انشاء مجتمع جديد ، وخاصـــة انشاء اقتصاد اشتراكى ، امـــر معقد للغايـــة . ومن الطبيعى ان تصادف فى هذه القضيـــة الجديدة والمعقدة نواقص ومصاعب ، وليس من المستبعد وقوع اخطاء . وهى بالدرجة الاولى مصاعب ذات طابع موضوعى : تخلف الاقتصاد والثقافة الموروثين عن النظام السابـــق ، وجود محيط رأسمالى عدائى كان الاتحاد السوفييتى يتطور ضمنه ، ضرورة النضال ضد الثورة المضادة . وتعود النواقص والصعوبات الى اخطاء ذاتية ينحصر جوهرها فى تجاهل متطلبات القوانين الموضوعية للتطور الاجتماعى ، وفى نسيان مبادئ القيادة العلمية للعمليات الاجتماعية . الا ان شعوب البلدان الاشتراكية ، بقيادة الاحزاب الشيوعية ، تكتشف الاخطاء وتصححها ، وتزيل النواقص وتذلل المصاعب ، وبهذا تسيّر ادارة الانتاج والحياة الاجتماعية كلهـــا طبقـــا لمتطلبات القوانين الموضوعية . ولدى ذلك تدرك ان جبروت الاشتراكية وتأثيرها على سير التطور العالمى يتوقفان سواء عـــلى وحدة البلدان الاشتراكيـــة ام على مدى نجاح سير الامور فى هذه البلدان بالذات وعلى مدى التحقيق الناجح لخطط البناء الاقتصادى والثقافى فيها .

وفى معرض تعيين خصائص الاشتراكية العالمية فى المرحلة المعاصرة توصل مؤتمر الاحزاب الشيوعيـــة والعمالية العالمى فى موسكـــو (١٩٦٩) الى استنتاج مفاده ان العالم الاشتراكى قد دخل تلك الحقبة مـــن

تطوره التى تبرز فيها امكانية استخدام الاحتياطيات الكامنة فى النظام الجديد استخداما اكثر كمالا الى حد بعيد . ويساعد فى ذلك وضع وتطبيق اشكال اقتصادية وسياسية اكثر اتقانا تتجاوب مع حاجات ومهمات المجتمع الاشتراكى الناضج .

ان استكمال الديمقراطية الاشتراكية وانهاض القوى المنتجة والتقدم السياسى والثقافى تزيد من تأثير الاشتراكية على كادحى العالم قاطبة ، وتوطد مواقعها فى النضال ضد الامبريالية الذى يرتدى اهمية عالمية .

ويبدى النظام العالمى للاشتراكية مساندة متنوعة النواحى **للنضال الثورى الذى تخوضه الطبقة العاملة فى بلدان الرأسمال** . وهو يشكل قوة حاسمة فى النضال المعادى للامبريالية . ان كل نضال تحررى يجد مساندة لا تعوض بشىء من جانب هذا النظام وبالدرجة الاولى من جانب الاتحاد السوفييتى .

انها مساندة معنوية تتجسد فى التضامن العميق مع النضال البطولى للطبقة العاملة واستحسانه والاعجاب به والتعاطف معه . وهى ايضا مساندة مادية مباشرة تكمن فى تقديم مساعدة مالية وغذائية وغيرها للكادحين الذين يعانون من تعسف الامبرياليين والطوارئ الانتاجية والكوارث الطبيعية الخ . ومثل هذه المساندة تمنح الطبقة العاملة وحلفاءها قوة فى نضالهم الشاق ، وتبعث الثقة فى الانتصار القادم ، وتتيح الشعور على الدوام بالدعم الودى من جانب رفاقهم الطبقيين .

وترفع شعوب البلدان الاشتراكية صوت الاحتجاج الغاضب ضد السياسة الرجعية للاوساط الامبريالية الحاكمة ، وضد ملاحقة الاحزاب الشيوعية وسائر

المنظمات التقدمية والشخصيات التقدميـــة ، وضد القوانين المعادية للعمال والمعادية للديمقراطية عامة .
وقد نددت البلدان الاشتراكيـــة تنديدا حازما بنظام فرنكو فى اسبانيا وبالنظام العنصرى فى جمهورية جنوب افريقيا وبالانقلاب الفاشى فى شيلى .
ويحظى كادحو البلدان الرأسمالية ، الذين يهبّون للنضال ، بمساندة مأمونـــة من جانب النظام العالمى للاشتراكية فى النضال ضد تصدير الثورة المضادة من طرف الرجعية العالمية .
و'تعتبر بلدان الاشتراكية خصما عنيدا للاستعمار ، واوثق نصير **لنضال التحرر الوطنى** الذى تخوضـــه الشعوب المضطهدة ، ونصيرا لتكافؤها الوطنى واستقلال دولها . **ان النظام العالمى للاشتراكية** ، بوقوفه ضـــد السيادة الاستعمارية للامبريالية وبمساندتـــه نضال الشعوب فى سبيل الاستقلال بجميع الوسائل ، **يشكل عاملا جبارا لنهوض حركة التحرر الوطنى وانهيار النظام الاستعمارى للامبريالية** .
ولقد اقتنعت شعوب افريقيا وآسيا واميركا اللاتينية من تجربتهـــا الخاصـــة بان لهـــا فى شخص الاتحاد السوفييتى والنظام العالمى للاشتراكية صديقا وفيـــا وحليفـــا موثوقـــا . وفى حين ان الامبرياليين كانوا يستطيعون سابقا سحق حركة التحرر الوطنى للشعوب المضطهدة دونما اى عائق ، فهـم الآن مضطرون لان يأخذوا بالحسبان القوة المتعاظمة للاشتراكية العالمية التى تساعد الشعوب قولا وعملا ، وصولا الى المساعدة المسلحة ، ليس فقط فى احراز الاستقلال بل وفى الذود عنه ، وفى التطور فى طريق السلم والتقدم . وساعـــد

الاتحاد السوفييتي وبلدان الاشتراكية شعب مصر فى صد العدوان البريطانى الفرنسى الاسرائيلى عام ١٩٥٦ ، كما ساعدت الشعب الكوبى فى ردع الهجوم القرصنى لامبرياليى الولايات المتحدة الاميركية وصنائعها عام ١٩٦١ . وكانت بمثابة عائق جبار فى طريق نشر العدوان الاسرائيلى ضد الشعوب العربية عام ١٩٦٧ .

ويقدم النظام العالمى للاشتراكية المساعدة للبلدان المتحررة فى تعزيز قواتها المسلحة الوطنية التى تحمى العمل السلمى للشعوب المتحررة وسيادتها واستقلالها ، الامر الذى يمكّنها من مواجهة العدوان الامبريالى بصورة باجحة .

ويساعد الاتحاد السوفييتي وسائر بلدان الاشتراكية الدول الفتية ذات السيادة فى انشاء الاقتصاد الوطنى ، وفى تطوير العلم والتكنيك والتعليم والثقافة ، فتساعدها بهذا على ازالة التخلف الموروث عن الاستعمار وعلى تحررها الناجز من نير الاحتكارات الاجنبية . ومن عام ١٩٤٦ لغاية عام ١٩٧٤ وبالمساعدة السوفييتية الفنية جرى فى البلدان النامية بناء ٣٩٣ منشأة ضخمة منها ٢٥٣ فى آسيا و١٤٠ فى افريقيا .

وتقدم البلدان الاشتراكية للبلدان النامية مساعدة لا تقدر بثمن فى اعداد الملاكات الوطنية فى مجال الاقتصاد والثقافة والعلم والتكنيك . ان التطور الاقتصادى للدول الفتية ذات السيادة تحفزه تجارتها المتبادلة المنفعة مع البلدان الاشتراكية .

ومن الهام بمكان التنويه بان المساعدة التى تقدمها البلدان الاشتراكية ، والتى لا ترافقها اية شروط او تنازلات كانت فى المجال السياسى ، لا تعنى تدخلا فى

الشؤون الداخلية للبلدان الناميــة . وفى هذا يكمن الفارق الجذرى بين مساعدة البلدان الاشتراكيـــة ومساعدة البلدان الرأسمالية ، وخاصة الولايات المتحدة الاميركية ، التى تعتبر بمثابة اداة استعباد اقتصادى وسياسى لشعوب الدول الوطنية الفتية .

وقد جاء فى تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى المقدم الى المؤتمر الخامس والعشرين للحزب ما يلى : «ان حزبنا يقدم وسيظل يقدم الدعم للشعوب التى تحارب من اجل حريتها . ولا يبحث الاتحاد السوفييتى فى هذا السبيل عن اية منافع لنفسه ولا يسعى وراء الامتيازات ولا يعمـل من اجل السيطرة السياسية ولا يطمع وراء قواعد حربية . انما نعمل كما يأمرنا ضميرنا الثورى ومعتقداتنا الشيوعية» * .

النظام العالمى للاشتراكية
والنضال من اجل السلم

يمارس النظام العالمى للاشتراكية تأثيرا كبيرا على حل المسألة الرئيسيــة لعصرنـــا – **مسألة الحرب والسلم** . ان النضال فى سبيل السلم ينبـع من ذات طبيعة المجتمع الاشتراكى . فهنا تم القضاء على الاساس الاقتصادى للحرب – الملكيــة الخاصة ، ولا وجود للقوى الاجتماعية التى لها مصلحة فى شن الحروب وفى نهب واستعباد الشعوب والدول الاخرى . والاشتراكية هى الخلق والابداع ، والخلــق والابداع مستحيلان

---

* «وثائق المؤتمـــر الخامس والعشرين للحزب الشيوعى السوفييتى » ، ص ١٢ .

بدون النضال فى سبيل السلم وضد قوى التدمير والخراب . ولهذا السبب بالذات تخوض البلدان الاشتراكية نضالا عنيدا من اجل السلم والتعايش السلمى .

لقد صمتت طلقات الحرب العالمية الثانية منذ زمن بعيد ، بيد انه ما تزال تندلع ، تارة هنا وطورا هناك وبنتيجة دسائس الامبرياليين ، بؤر ما يسمى بالحروب المحلية ، الضيقة النطاق ، والتى تنطوى كل واحدة منها على خطر اندلاع حريق حربى عالمى . لذا تطمح بلدان الاشتراكية الى اطفاء هذه البؤر الخطرة فى مهدها وتتخذ كافة الاجراءات من اجل حسم المسائل المتنازع عليها بين الدول عن طريق المفاوضات . وهى تساعد الشعوب فى الوقت نفسه على صد هجوم الامبرياليين العدوانى بكل الوسائل . ان المساندة والمساعدة المتعددة الوجوه لشعب فيتنام البطل . الذى تعرض لهجوم قرصنى من جانب امبرياليى الولايات المتحدة الاميركية واحرز انتصارا تاريخيا نتيجة لنضاله العنيد ، تعتبران شهادة ساطعة على ذلك .

وبمبادرة الاتحاد السوفييتى تم التوصل الى اتفاقيات حول تحريم التجارب النووية على الارض وفى الجو وتحت الماء ، وحول عدم اطلاق اجهزة فضائية تحمل سلاح الابادة الجماعية ، وحول عدم انتشار السلاح النووى . وقد لقيت جميع هذه الاتفاقيات استحسانا حارا وتأييدا من جانب الشعوب المحبة للسلام . وتقف فى طليعة النضال من اجل السلام بلدان الاشتراكية والاحزاب الشيوعية والعمالية . والدليل الساطع على ذلك البرنامج الشامل للنضال فى سبيل السلم وأمن

الشعوب الذى اقره المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعى السوفييتى والذى ايدتــه سائــر بلدان الاشتراكية والحركة الشيوعية العالمية . وقد نص هذا البرنامج على تصفية البؤر الحربية فى جنوب شرقى آسيا وفى الشرق الاوسط ، والامتناع عن استخدام القوة فى العلاقات بين الدول ، وتأمين عقد وانجاح المؤتمر الاوروبى العام بهدف إحداث انعطاف نحــو الانفراج والسلم فى هذه القارة ، وعقد معاهدات تحرّم السلاح النووى والكيميائى والجرثومى ، وتنشيــط النضال فى سبيل ايقاف سباق التسلح ، الخ .

وقد اطلقت القوى المحبة للسلام فى كوكبنا على هذا البرنامج تسمية برنامج السلام . فقد وضع حد للعدوان الاميركى فى فيتنام وعقــد كل من الاتحاد السوفييتى وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا معاهدة مع جمهورية المانيا الاتحادية ، وتحسنت علاقات الاتحاد السوفييتى مــع الولايات المتحدة الاميركية وخاصة عقدت اتفاقية هامة حول تحديد الاسلحة الاستراتيجية ، وتتطور العلاقات الاقتصادية والعلميــة التكنيكيــة والثقافية بين الشرق والغرب . وقد قابل الرأى العام العالمى وجميع القوى التقدمية بارتياح هذه وغيرها من النتائج العمليــة لتحقيق برنامج السلام .

وكانت نتائج المؤتمر الاوروبى العام للامن والتعاون المنعقد فى هلسنكى صيف عام ١٩٧٥ ، نتائج تاريخية . وقد ثُبّت فى وثيقته الختاميــة رسوخ حدود بلدان اوروبا لما بعد الحرب ومبادئ العلاقات فيما بينها ، ورُسمت الاجراءات بشأن تطوير تعاونها فى مختلف مجالات الحياة الاجتماعية .

ونتيجة لجهود الاتحاد السوفييتي وسائر بلدان الاشتراكية وجميع القوى المحبة للسلام فى العالم اخذت تتجلى بوضوح متزايد الاتجاهات نحو الانفراج والانعطاف من «الحرب الباردة» باتجاه التعايش السلمى بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة . ان الاتحاد السوفييتى ممتلئ عزما على القيام بكل ما يتوقف عليه من اجل تنفيذ ما اتفق عليه فى هلسنكى تنفيذا كاملا وعلى السعى وراء جعل الانفراج عملية دائمة التطور ولردف الانفراج السياسى بانفراج عسكرى وارسائه على اساس فعال متين .

والدليل المقنع على ذلك قرارات المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعى السوفييتى حيث جرى اتخاذ برنامج النضال اللاحق فى سبيل السلم والتعاون الدولى ومن اجل حرية واستقلال الشعوب .

ويتضمن هذا البرنامج ، الى جانب تعميق وتطوير التدابير التى اقرها المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعى السوفييتى (نزع السلاح ، تقليص وتحديد الاسلحة الاستراتيجية ، تخفيض القوات المسلحة والتسلح ، الخ) ، اجراءات هامة جديدة حول توطيد سلم الشعوب وامنها . ومن بينها : السعى لعقد معاهدة عالمية حول عدم استخدام القوة فى العلاقات الدولية ، والشروع بالعمل على ضمان الامن فى آسيا بالجهود المشتركة لدول هذه القارة . وقد اثارت هذه الاجراءات ايضا اهتماما كبيرا وتأييدا من جانب شعوب كوكبنا .

ويشكل النظام العالمى للاشتراكية ، الذى يقف بثبات الى جانب السلم والتعايش السلمى ، عقبة كأداء فى طريق المطامع العدوانية للامبريالية . وبنشوء

الاشتراكية نشأت لاول مرة فى تاريخ البشرية القوة المادية التى تساعد على حل اهم المسائل الدولية بالطرق السلمية . **ان النظام العالمى للاشتراكية حصن جبار للسلم ولأمن الشعوب .**

٣ - الحركة العمالية الثورية فى بلدان الرأسمال

الميزات الاساسية لنضال الطبقة العاملة الثورى

على الرغم من تأكيدات محامى الرأسمالية الزاعمة بـ«اضمحلال الطبقات» وبـ«الانسجام الاجتماعى» انتشرت فى العالم الرأسمالى **معركة ضارية بين العمل والرأسمال ، وحركة ثورية جبارة للطبقة العاملة .**

لقد بات الوضع الآن اكثر ملاءمة من اجل نضال الطبقة العاملة فى البلدان الرأسمالية . فان اصابة الرأسمالية بالضعف نتيجة لأزمتها العامة ، وتوطد قوى الاشتراكية فى العالم وخاصة التأثير الثورى لنظام الاشتراكية العالمى ، واتساع القاعدة الاجتماعية للحركة الثورية داخل بلدان الرأسمال ذاتها ، تهيىء امكانيات جديدة امام الحركة العمالية . هذا ، بالاضافة الى ان الحركة العمالية نفسها اكتنزت تجربة نضال ضخمة ضد الرأسمالية واعوانها فى صفوف الطبقة العاملة ، وغدت اكثر نضوجا من الناحية الايديولوجية ، وتمتاز بروح تنظيمية عالية وبروح كفاحية شديدة . واخذت سمعة الاحزاب الشيوعية ترتفع فى اوساط الكادحين ، ويزداد دور النقابات . وتحت قيادة منظماتها تصد الطبقة

العاملة بحزم تعسف البرجوازية ، وتبدى شجاعة وصمودا وانضباطا متعاظما ووحدة اعمال فى النضال الثورى .

وتستخدم الطبقة العاملة فى هذا النضال اكثر الوسائل تنوعا : الاضرابات والمظاهرات ، الاجتماعات الحاشدة والمؤتمرات ، القاء الكلمات فى البرلمان والكتابة فى الصحافة والتحدث من الاذاعة ، الخ .

واكتسبت الحركة الاضرابية - هذه الوسيلة القديمة والمجربة لنضال الكادحين ضد الرأسماليين - اكتسبت فى الوقت الحاضر نطاقا واسعا تنظيميا على وجه خاص . ويكفى القول ان عدد المضربين فى منطقة انتشار الرأسمالية المتطورة وحدها بلغ ٢٢٥ مليونا خلال اعوام ١٩٦٩ - ١٩٧٣ مقابل ١٦٤ مليونا فى الاعوام الخمسة السابقة لها .

ويشكل الجمع بين اشكال النضال الاقتصادية والسياسية اهم ميزة من ميزات الحركة العمالية المعاصرة . فقد اخذت مطالب العمال تتخطى بازدياد مطرد الحدود الاقتصادية وتكتسب طابعا سياسيا .

فى السابق كانت شعارات يوم العمل من ثمانى ساعات والاعتراف بحقوق المنظمات النقابية وتطبيق الضمان الاجتماعى الخ ، الشعارات السائدة فى المطالب التى يتقدم بها المضربون . اما الآن ، والى جانب هذه المطالب ، فان الطبقة العاملة تقف الى جانب تحقيق مطالب اكثر اهمية . فهى تناضل من اجل توسيع الحقوق السياسية للشعب بأسره وتعمل على حفظ وتوسيع الديمقراطية وتقف ضد سباق التسلح وفى سبيل السلم والتقدم الاجتماعى . ويحتل مكانا هاما فى نشاطات الطبقة العاملة النضال من اجل تأميم اهم فروع

الاقتصاد واشاعة الديمقراطية فى ادارتها . وتوجه الطبقة العاملة وطليعتها الثورية — الاحزاب الماركسية ضربتها الرئيسية **ضد الاحتكارات الرأسمالية** — حصن الرجعية والعدوان ، والمذنبة الرئيسية فى سباق التسلح ووضع الكادحين المزرى .

ومن اهم ميزات الحركة الثورية المعاصرة للطبقة العاملة **توسيع قاعدتها الاجتماعية** ، والاتجاه نحو انشاء جبهة موحدة لنضال القوى التقدمية ضد الاحتكارات الرأسمالية التى تستثمر استثمارا جائرا ليس العمال وحسب بل والجمهور الاساسى من الفلاحين والحرفيين وصغار التجار والفئات الدنيا والمتوسطة من الموظفين والمثقفين الكادحين .

وظلم الاحتكارات يدفع الفلاحين الى توحيد صفوفهم وخوض النضال فى سبيل الارض وفى سبيل حقوقهم . فقد حصلت اضرابات فلاحية شديدة خلال الاعوام الاخيرة فى فرنسا وايطاليا واليونان والمانيا الاتحادية وغيرها من البلدان . ويستخدم الفلاحون فى نضالاتهم بصورة واسعة اساليب النضال البروليتارية (اضرابات ، مسيرات ، تظاهرات ، الخ) . ويساند العمل الفلاحين بشتى الوسائل فى نضالهم ، ولا يندر ان تعمل المنظمات العمالية والفلاحية كتفا لكتف ، وتهبّ لمساعدة بعضها البعض . ويطالب العمال ، سوية مع الفلاحين ، باجراء الاصلاح الزراعى الجذرى ، ويسعون لتحقيق شعار : «الارض لمن يحرثها !» .

ان تعزيز تحالف العمال والفلاحين اهم شرط للنضال ضد الاحتكارات وسلطتها .

والان ، وقد اخذ العلم يتحول الى قوة منتجة مباشرة ،

فان أعدادا متزايدة دائما من فئة المثقفين تتدفق الى صفوف العاملين بالاجرة . فالاحتكارات تعرقل الطموح الابداعى للمثقفين وتستغل قسمهم الاكبر استغلالا جائرا . وتتشابك المصالح الاجتماعية للمثقفين الكادحين مع مصالح الطبقة العاملة . ويغدو اتحاد العاملين بادمغتهم وسواعدهم قوة متزايدة الاهمية فى النضال من اجل السلام والديمقراطية والتقدم الاجتماعى .

وتشكل الشبيبة قوة اجتماعية هامة فى جملة من بلدان الرأسمالية . وقد اخذت الشبيبة العاملة والجماهير الواسعة من الطلبة ، التى لا ترى لها من آفاق مستقبل فى ظل الرأسمالية ، تناضل بنشاط متزايد ضد سياسة الطبقات السائدة .

والسمة المميزة للعصر الراهن اشتراك النساء بصورة جماهيرية فى الصراع الطبقى وفى الحركة المناوئة للامبريالية ، وخاصة فى النضال من اجل السلم .

وتغدو جماهير المؤمنين ، التى تقرّبها من الطبقة العاملة الاهداف المشتركة للنضال ضد تسلط الاحتكارات ، قوة نشيطة فى النضال المعادى للامبريالية ومن اجل التحويلات الاجتماعية . الا انه من الضرورى التنويه بان القوة المحركة والمعبئة الرئيسية للنضال الثورى فى بلدان الرأسمالية هى **الطبقة العاملة** .

الصلة الوثقى بين المهمات الديمقراطية والمهمات الاشتراكية

لقد اظهرت التجربة التاريخية بشكل لا يدحض محدودية وشرطية الديمقراطية البرجوازية التى هى فى الواقع دكتاتورية البرجوازية ، دكتاتورية الاقلية –

الاغنياء – على الاكثرية – الكادحين . بيد ان الطبقة العاملة لا يمكنها ان تقف موقفا لامباليا من الديمقراطية البرجوازية طالما ان امكانيات النضال الثورى للطبقة العاملة تتسع فى ظروف الديمقراطية ولو ديمقراطية مبتورة ،برجوازية . والعكس بالعكس ، ففى الظروف المعادية للديمقراطية – الارهاب ، والقوانين الطارئة ، ونظام السلطة الفردية ، الخ – يسهل كثيرا على الاحتكاريين استغلال الكادحين ، ومكافحة النشاطات الثورية التى تقوم بها الجماهير ، وانتهاج سياستها الرجعية .

ان انعدام الديمقراطية وقيام ردة سياسية يشكلان ليس فقط عقبة فى تطور الحركة الثورية بل انتهاك الكرامة الانسانية للكادحين وتطاولا على ابسط الحريات والحقوق . ولهذا السبب بالذات تخوض الطبقة العاملة ، الى جانب فئات الشعب الاخرى ، نضالا حاسما فى سبيل الديمقراطية . وهى تنهض الجماهير للنضال ضد محاولات الاحتكاريين تصفية الحريات الديمقراطية وضد انبعاث اى شكل كان من اشكال الفاشية . **ان الجمع بين نضال الطبقة العاملة فى سبيل الاشتراكية وبين الحركة الديمقراطية العامة من اجل السلم والاستقلال الوطنى والديمقراطية يشكل احدى اهم ميزات الحركة العمالية المعاصرة .**

ومن بين المطالب الديمقراطية التى تناضل فى سبيلها حاليا الطبقة العاملة فى البلدان الرأسمالية نذكر : اشاعة الديمقراطية العامة فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية وفى كافة المؤسسات الادارية والسياسية والثقافية ؛ تأميم اهم فروع الاقتصاد وبث الديمقراطية فى ادارتها ؛

تحسين ظروف معيشة الكادحين – العمال والمستخدمين ، وحماية مصالح الفلاحين والبرجوازية المتوسطة والصغيرة من تعسف الاحتكارات ؛ النضال من اجل الاستقلال الوطنى ؛ النضال فى سبيل السلم واستخدام الاقتصاد والعلم والتكنيك للاغراض السلمية ولصالح الكادحين .

وفى سير النضال من اجل الديمقراطية يقوّض تأثير القوى الرجعية وخاصة الاحتكارات ، وبهذا يجرى تمهيد الطريق نحو الثورة الاشتراكية . وفى النضال من اجل الديمقراطية تنظّم الطبقة العاملة صفوفها وتكتنز التجربة وتوحّد حولها اكثرية الشعب ، وبهذا يتشكل الجيش السياسى للثورة الاشتراكية . ولهذا السبب بالذات فان النضال الديمقراطى العام ضد الاحتكارات لا يُبعد الثورة الاشتراكية بل يقرّب حدوثها . **ان النضال من اجل الديمقراطية جزء مكون للنضال فى سبيل الاشتراكية .**

اشكال تحقيق الثورة الاشتراكية

فى العصر الراهن ، عصر تقدم البشرية نحو الاشتراكية ، ترتدى اهمية كبرى مسألة الاشكال الملموسة لانتقال مختلف البلدان الى الاشتراكية . فما هى ، إذنْ ، هذه الاشكال ، وعلى اى شىء تتوقف ؟

يزعم خصوم الاشتراكية العلمية ، فى سعيهم الى الانتقاص من افكارها النبيلة واثارة الشك نحوها من جانب الجماهير الشعبية ، بان انتصار الاشتراكية يرتبط دائما وفى جميع الظروف بالعنف المسلح والحروب . بيد ان الطبقة العاملة هى اكثر الطبقات انسانية

واكثرها حبا للكائن البشرى فى زماننا . وهى تسعى الى صيانة منجزات الثقافة البشرية واغنائهـا ، ورفـع مستوى تطور القوى المنتجة ، والمحافظة على الناس ، على الكادحين . لذا ، فان للطبقة العاملة والجماهيـر الكادحة مصلحة فى الاستيلاء السلمى على السلطة ، فى الانتقال السلمى من الرأسمالية الى الاشتراكية . ومنذ اكثر من مائة عام مضت ، وردا على سؤال : «هل مـن الممكن القضاء على الملكية الخاصة بالطرق السلمية ؟» اجاب انجلس بقوله : «كان يمكن التمنى بان يحصـل ذلك عـلى هذا النحو . ولو حدث لكان الشيوعيون ، بالطبع ، آخر من يعارض هذا الامر» * . وكتب لينين يقول ان الطريق السلمى «اسهل طريق على الشعب وانفع ما يكون له» ، طالما انه يحافظ على قيم مادية ضخمـة وعلى جماهير الناس . وهو «اقل الطرق ايلاما ولهذا كان ينبغى ان نناضل من اجله باكبر قوة» * * .

فى الواقع يتوقف اختيار السبُل نحو الاشتراكية لا على رغبات شخصيات منفردة ، بل يتوقف بالدرجـة الاول على **التناسب الموضوعى بين القوى الطبقية فى هذا البلد او ذاك** . فاذا غدت قوى الطبقة العاملة والكادحين متفوقة بصورة مطلقة على قوى البرجوازية ، واذا فضلت هذه الاخيرة ، وقد اقتنعت بعدم جدوى المقاومة ، ان تبقى على قيد الحياة وتخلت عن السلطة للبروليتاريا ، عندهـا يكون الانتقال السلمى الى الاشتراكيـة امرا ممكنا .

---

* ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ٤ ، ص ٣٣١ .

* * لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٤ ، ص ١٢ .

الا ان التجربة التاريخية تدل على ان البرجوازية ، شأن اى طبقة اخرى لفظها التاريخ ، عاجزة عن تقييم تناسب القوى بصورة متبصرة . وبيأس المحكوم عليه تستخدم جميع الوسائل الممكنة من اجل اطالة امد وجودها . واهم هذه الوسائل هى السلاح ، الذى تستخدمه البرجوازية ، عامة ، فى كل مرة تتعرض فيها سيطرتها للخطر ، وعندما يمس المضطهدون سلطتها وامتيازاتها . فقد اغرقت فى بحر من الدم ، مثلا ، كومونة باريس . ولم يسلّم الملاكون العقاريون والرأسماليون الروس ايضا بانتصار الكادحين فى اكتوبر ١٩١٧ . فاثاروا حربا اهلية مدمرة ، واستنجدوا برأسماليى الدول الاجنبية الذين حاولوا بالحديد والنار اعادة الاوضاع الرأسمالية الى البلاد السوفييتية . وقد صدت الطبقة العاملة وجميع الكادحين فى الجمهورية السوفييتية الفتية بحزم ، تحت قيادة الحزب الشيوعى ، هجوم البرجوازية المسلح ، وذادوا عن مكتسبات اكتوبر بقوة السلاح .

ويدل التاريخ وتجربة تطور الحركة الثورية للطبقة العاملة ، بصورة مقنعة ، على ان امتلاك اساليب النضال المسلح شرط الزامى للاطاحة بالدولة البرجوازية . اما مسألة ما اذا كانت سوف تنشأ ضرورة استخدام السلاح ضد البرجوازية ، فذلك امر آخر . فى ذلك الزمن ، الذى كانت فيه البرجوازية تسيطر تاما على العالم بأسره ، وعندما كانت تشعر بكل قوتها وقادرة على التوحد من اجل الصراع ضد الشعوب المضطهدة الثائرة ، كان السلاح ، فى الواقع ، اهم وسيلة للاستيلاء على السلطة من جانب الطبقة العاملة . وليس من قبيل

الصدفة ان لينين ، رغم عدم رفضه مبدئيا لامكانية استيلاء البروليتاريا على السلطة بالطرق السلمية ، كان يعتبر هذه الامكانية ضعيفة الاحتمال ونادرة للغاية .

اما الآن فقد تغير الوضع . فتناسب القوى الجديد بين الرأسمالية والاشتراكية ، والذى نشأ فى الميدان الدولى بعد الحرب العالمية الثانية ، قد وسّع الى حد كبير امكانيات الانتقال السلمى الى الاشتراكية . فبالطريق السلمى بالذات تحقق الانتقال الى الثورة الاشتراكية فى عدد من بلدان اوروبا وآسيا .

ويمكن ان يكون استخدام البرلمان احد طرق الاستيلاء السلمى على السلطة من قبل البروليتاريا فى حال وجود ظروف مطابقة . فبالاستناد الى اكثرية الشعب وبالنضال الحاسم ضد الانتهازيين تستطيع الطبقة العاملة فى جملة من البلدان الرأسمالية تحويل البرلمان الى اداة تخدم الشعب الكادح ، وبتحطيم مقاومة القوى الرجعية خلق الشروط من اجل التقدم نحو الاشتراكية .

ومن السذاجة الاعتقاد بان الطبقة العاملة تستطيع الاستيلاء على السلطة والاحتفاظ بها لمجرد تحقيق انتصار فى الانتخابات البرلمانية . فيصبح المرء على ثقة بان نتائج التصويت لن تدوسها البرجوازية باقدامها ، وبانه ستتم المحافظة عليها وتعزيزها وتطويرها من اجل التحويلات الاشتراكية لجميع نواحى الحياة الاجتماعية ، عندما يغدو الانتصار فى البرلمان مدعما بالقوة الحقيقية للطبقة المستعدة للذود عن منجزات هذا الانتصار بجميع الوسائل ، بما فيها قوة السلاح .

ولا ينبغى النظر الى امكانية الطريق السلمى نظرة مطلقة ، ولا يجوز اعتبار الاقرار بها تخليا من جانب البروليتاريا عن الطريق المسلح للاستيلاء على السلطة السياسية . ويجب ان لا يغيب عن البال ان البرجوازية ما تزال تسيطر على القسم الاكبر من العالم ، وان فى ايديها السلاح الذى تستطيع ان تستعمله ، وغالبا ما تستعمله ، ضد الطبقة العاملة والكادحين . لذا ، يجب على الطبقة العاملة ان تتحلى باليقظة ، يجب عليها ان تكون مستعدة لاستخدام اكثر اشكال النضال اختلافا - غير السلمية والسلمية . **ان امتلاك كافة اشكال النضال ، وحسن استعمال تلك الاشكال التى تتجاوب اكثر من غيرها مع الوضع الملموس ، ومعرفة استبدال احد الاشكال بآخر بصورة سريعة - ذلك هو الشرط المبرم لانتصار الطبقة العاملة فى الثورة الاشتراكية .**

٤ - الحركة الشيوعية المعاصرة

الحركة الشيوعية اكثر قوى عصرنا نفوذا

تشكل **الحركة الشيوعية العالمية** ، وهى اكثر الحركات عددا واقواها نفوذا فى ايامنا هذه ، القوة القائدة للنضال الثورى الذى تخوضه الطبقة العاملة .

ان التاريخ لم يعرف حركة سياسية اخرى كان من نصيبها هذا القدر الكبير من التجارب القاسية كما هى الحال بالنسبة لحركة الشيوعيين . فلا النفى والسجون القيصرية ، ولا الزنزانات ومعسكرات الاعتقال الفاشية ،

ولا اعمال التعذيب الرهيبة وجرائم القتل الفظيعة استطاعت قهر ارادة الشيوعيين وثقتهم الراسخة فى صواب قضيتهم وتصميمهم الراسخ على النضال فى سبيلها . كما ان التاريخ لا يعرف حركة سياسية اخرى نمت بهذه السرعة الفائقة واتسعت واحرزت انتصارا بعد آخر كالحركة الشيوعية .

منذ ما يزيد عن مائة عام انشأ مؤسسا الشيوعية العلمية اول منظمة فى العالم للشيوعيين الثوريين تضم فريقا غير كبير من المناضلين ، اما الآن فان الاحزاب الشيوعية والعمالية تعمل فى اكثرية بلدان العالم وتضم فى صفوفها عشرات الملايين من ابناء وبنات الشعب الكادح . وغدت الحركة الشيوعية العالمية اقوى حركات العصر نفوذا ، فى حين ان نفوذها يتسع ويتعاظم باستمرار .

وتتواجد الاحزاب الشيوعية وتناضل فى ظروف مختلفة ، وتمثل امامها مهام مختلفة .

ان الاحزاب الشيوعية والعمالية فى البلدان الاشتراكية احزاب حاكمة . فتحت قيادتها خلعت شعوب هذه البلدان عن كاهلها النير الرأسمالى وهى تحقق الآن مهمة كبيرة وصعبة ، مهمة بناء الاشتراكية والشيوعية . وهى تقوم بعمل ابداعى ضخم ، وتحل مهمات معقدة فى تطوير الاقتصاد الوطنى وبناء علاقات اجتماعية جديدة وتربية الجماهير بالروح الشيوعية ، وتؤمن الدفاع عن مكتسبات الاشتراكية ؛ هذا بالاضافة الى ما تقدمه من مساعدة شاملة لشعوب العالم غير الاشتراكى فى نضالها الثورى . ويتسم العمل الخلاق الذى يقوم به شيوعيو وكافة كادحي البلدان الاشتراكية باهمية تاريخية

لانه يعزز المواقع الدولية للاشتراكية ويزيد من قوة جاذبية افكارها فى العالم باسره .

وتناضل **الاحزاب الشيوعية للبلدان الرأسمالية** فى ظروف شاقة ، وسرية فى الغالب ، فى ظروف الملاحقات والارهاب من جانب الرجعية البرجوازيـــة . وما تزال امامها مهمة قيادة شعوب بلدانها نحو الانتصار عـــلى المستثمرين ، نحـــو الثوره الاشتراكيـــة . وهى ، بترؤسها نضال الجماهير ضد الاحتكارات ، تعمـــل فى خضم معارك طبقية ضارية على تكوين الجيش السياسى للثورة ، وتناضل فى سبيل توسيع نفوذها على الجماهير ومن اجل مصالح الطبقة العاملة وجميـــع الكادحين . والشيوعيون هم انشط المناضلين فى سبيل وحدة الطبقة العاملة ، وهم يقفون ضد السياسة الخائنة للانتهازيين اليمينين الموجهة نحو الدفاع عن الرأسمال وشـــق صفوف الطبقة العاملة .

واخذت تتقوى **الاحزاب الشيوعية للبلدان النامية فى آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية** ، التى ولدت فى معمعان ثورات التحرر الوطنى ، وتمارس تأثيرا متزايدا باطراد على حياة الدول الفتية ذات السيادة ، وتشترك بنشاط فى النضال ضد الاستعمار والاستعمار الجديد . وتكمن مهمتها الاساسية فى الانجاز الناجح لثورة التحرر الوطنى ، وتدعيم الاستقلال الوطنى وقيادة الشعوب نحو التقدم والاشتراكية والسلام .

وعلى الرغم من تمايز الاهداف والمهمات الملموسة تعمل الاحزاب الشيوعيـــة من اجل قضيـــة **مشتركة** واحدة : **انها توجه حركة البشرية المعاصرة من الرأسمالية الي الاشتراكية** .

وقد قامت الاحزاب الشيوعية ، باستنادها الى الماركسية – اللينينية وبتعميمها تجربة النضال الطبقى للبروليتاريا التى يربو عمرها على المائة عام ، قامت بصورة جماعية فى مؤتمراتها العالمية لاعوام ١٩٥٧ و١٩٦٠ و١٩٦٩ و١٩٧٦ بصياغة الخط العام للحركة الشيوعية والعمالية العالمية المعاصرة ، الذى انعكست فيه اهدافها الاساسية . **انه خط النضال الطبقى والثورة الاشتراكية** ، خط بناء الاشتراكية والشيوعية .

كانت الاحزاب الشيوعية وما زالت **عدوة للاستعمار** . وهى تساند دون تحفظ حركة التحرر الوطنى ، وتعمل على انجاز الثورة الديمقراطية المعادية للامبريالية واحراز الاستقلال الوطنى الحقيقى وولوج طريق التطور اللارأسمالى .

ويتجلى الشيوعيون ، اينما وحيثما وجدوا ، كمناضلين نشيطين ضد الرجعية الامبريالية وفى سبيل الحريات الديمقراطية وحقوق الكادحين . وهم يعتبرون الحركات الديمقراطية المعادية للامبريالية حليفة لهم فى النضال ضد الرأسمالية ومن اجل الاشتراكية والتقدم الاجتماعى .

والحركة الشيوعية اكثر الحركات انسانية فى عصرنا الراهن . وليس من وليد الصدف ان يعتبر النضال فى سبيل السلم والتعايش السلمى بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة ، ومن اجل المحافظة على ارواح الملايين من الناس ، ومن اجل صيانة ما ابدعه عمل الناس من قيم مادية وروحية من اكبر مهماتها . ومن اجل حل هذه المهمة يوحد الشيوعيون جهود كافة القوى المحبة للسلام والمعادية للامبريالية .

تعزيز وحدة الحركة الشيوعية العالمية مهمة من الدرجة الاولى

يكتسب النضال من **اجل وحدة الحركة الشيوعية والعمالية العالمية** اهمية ضخمة فى ظروف احتدام الصراع الايديولوجى بين القوى الاشتراكية والقوى الامبريالية فى المرحلة المعاصرة من تطور البشرية .

مما يزيد فى حيوية هذا النضال انه ما تزال توجد فى حركة الشيوعيين العالمية حتى الآن مصاعب وخلافات جدية . اما اسبابها فمتنوعة للغاية .

ومن هذه الاسباب تفاوت درجات النضوج والاعداد النظرى والتنظيمى لدى مختلف الفصائل ، ومرد ذلك بالدرجة الاولى الى النمو العاصف للحركة الشيوعية والعمالية .

ومنها ايضا تمايز المهمات الماثلة امام الاحزاب واصالة المواقف من حلها ، ويعود ذلك الى خاصية التطور التاريخى لهذا البلد او ذاك ، والى سمات الطابع النفسى والاخلاق والعادات والتقاليد لدى الشعوب .

ومنها كذلك استمرارية مختلف انواع الاباطيل ، وخاصة القومية ، المرتبطة بسياسة الطبقات المستثمرة التى غرست الحقد والبغضاء بين الشعوب والدول خلال قرون عديدة .

ومنها السياسة الغادرة للقوى الامبريالية التى تسعى بجميع الوسائل الى دق اسفين فى العلاقات بين مختلف فصائل الشيوعيين ، والنشاط الانشقاقى الخائن الذى يقوم به الانتهازيون من كل صنف ولون .

يعلّق خصوم الماركسية والاشتراكية العلمية آمالا

خاصة على النزعة القومية ، على العناصر القومية المتطرفة التى يحاولون بواسطتها شق الحركة الشيوعية العالمية . وقد كتب لينين يقول ان البرجوازية تستخدم اسلوب «**تفريق** العمال عن طريق التبشير بمختلف الافكار والتعاليم البرجوازية التى تضعف نضال الطبقة العاملة .

ومن بين هذا النوع من الافكار نزعة التعصب القومى المتفننة التى تبشر بتقسيم وتشتيت البروليتاريا بواسطة اكثر الذرائع لياقة وحسن إخراج ...» *. وفى هذا الصدد يتسم باهمية شديدة خاصة فى الظروف المعاصرة **الجمع الصحيح بين المهمات القومية والاممية الماثلة امام مختلف فصائل جيش الشيوعيين العظيم .**

بيد ان الماركسيين – اللينينيين ، الى جانب كونهم امميين ، يعتبرون وطنيين حقيقيين لبلادهم مفعمين بالشعور العميق بواجبهم الوطنى . فهم يناضلون فى سبيل تحرير شعبهم من نير الرأسمال ، الا انهم لا يفصلون ما هو وطنى عما هو اممى . وهم يخضعون الخاص للعام اذ يدركون ان النضال من اجل تحرير طبقة«هم» العاملة قد يتكلل بالنجاح فى حال تضافر جهود مشتركة لكل الفصائل الوطنية من عمال وشيوعيى جميع البلدان .

ان الخلافات وسط شيوعيى العالم جدية ، بيد انه يمكن ويجب ازالتها – والحال ان بلوغ وحدة الحركة الشيوعية العالمية يشكل شرطا هاما للنجاح فى النضال ضد الرأسمالية وفى سبيل الاشتراكية والشيوعية . وهذه الخلافات فى المسائل النظرية والسياسية يمكن

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٥ ، ص ١٤٤ .

تذليلها **على الاساس المبدئى للماركسية – اللينينية والامية البروليتارية فقط .**

وقد اشار لينين الى ان الممارسة و«تطور الحياة السياسية نفسها» هما اهم وسيلة لتذليل الخلافات والتناقضات فى الحركة الشيوعية . وتُستنفد هذه الخلافات ، فى كثير من الاحيان ، «بانتقال الذين يحللون ويفكرون بصورة غير صحيحة انتقالا فعليا الى طريق النضال الصحيحة ، بتأثير دروس الحياة ، تحت ضغط سير الاحداث نفسه الذى يجبر على ولوج الطريق الصحيحة ، ويطرح جانبا بكل بساطة المحاكمات الخاطئة وينتزع التربة من تحتها ، ويجعلها خالية من كل مضمون ، فارغة ، لا تهم احدا» . وكان لينين يطالب «**بالتحقق** سلفا فى اكثر ما يمكن من الاحوال من القرارات التكتيكية المتخذة على اساس الاحداث السياسية الجديدة» * .

ان اساس العلاقات المتبادلة بين الاحزاب الشيوعية هو مبادئ الامية البروليتارية ، والتضامن والمساندة المتبادلة ، واحترام الاستقلالية والتكافؤ فى الحقوق ، وعدم التدخل فى شؤون بعضها البعض . فالاستشارات الثنائية ، واللقاءات الاقليمية ، والمؤتمرات العالمية ، وتبادل التجربة من جميع النواحى – تلكم هى اشكال التعاون بين الاحزاب الشقيقة .

وكان اجراء مؤتمر الاحزاب الشيوعية والعمالية الاوروبية فى برلين (عام ١٩٧٦) مرحلة هامة فى طريق تلاحم الحركة الشيوعية العالمية . وقد اعلن المؤتمر

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ١١ ، ص ١٣٣ .

ان الاحزاب الشيوعيــة سوف تطور التعاون الاممى والتضامن عـلى اساس افكار ماركس وانجلس ولينين العظيمة . ورفع عاليـا رايــة وحدة وتلاحم الاحزاب الشقيقة واظهر استعدادها - كل حسب وسائله واساليبه وانطلاقا من الظروف الملموسة - لاسداء قسطهـا فى القضية العامة للنضال من اجل بلوغ الاهداف النبيلة .

وانها لكبيرة الآن اكثر من اى يوم مضى مسؤولية الشيوعيين المشتركة عن القضية الامية للنضال ضد الرأسمال العالمى وعن انتصار قضيــة الاشتراكيــة والشيوعية على الارض . وانهـا لكبيرة بوجــه خاص مسؤولية الاحزاب الشيوعيــة والعماليـــة للبلدان الاشتراكية ، هذه الاحزاب التى اؤتمنت على قيادة اقامة وتطوير المجتمع الجديد ، الاشتراكى ، الذى تثبّت على قسم ملحوظ من الكرة الارضية . فمساندة وتعزيــز وحماية مكتسبات الاشتراكية ، التى تم احرازها بالجهود البطولية والعمل المتفانى لكل شعب ، هى واجب اممى مشترك لجميع البلدان الاشتراكية .

الحزب الشيوعى السوفييتى هو حزب امميين . وهو ، اذ ينظر الى بناء الشيوعية فى الاتحاد السوفييتى كاسمى واجب اممى لديه ، يعتبر نفسه ، فى الوقت ذاته ، واحدة من فصائل الجيش الاممى لشيوعيى العالم . وهو يساعد بشتى الوسائل على تطوير الحركة الثوريــة فى بلدان الرأسماليــة واذكاء نضال التحرر الوطنى . والحزب الشيوعى السوفييتى مدافـع مثابر عـن المكتسبات الاشتراكية فى البلدان الاخرى . وتشهد بذلك بالذات المساعدة الاممية لشعوب تشيكوسلوفاكيا فى المحافظة على مكتسبات الاشتراكية ، التى قدمها لهـا الاتحاد

السوفييتي سوية مع البلدان الاشتراكية الشقيقة صيف عام ١٩٦٨ .

ويولى الحزب الشيوعى السوفييتي اهمية ضخمة لتربية الناس السوفييتيين بروح الاممية والوطنية والاستعداد للدفاع بكل ما اوتوا من قوة عن قضية الاشتراكية فى الاتحاد السوفييتي وفى بلدان النظام الاشتراكى العالمى ، وعن قضية الطبقة العاملة والكادحين فى العالم بأسره . وهو يخوض نضالا لا هوادة فيه ضد جميع مظاهر ايديولوجيا التعصب القومى ، والشوفينية ، والنزعة المحلية الضيقة والانفصالية ، ويصون كحدقة العين اعظم انجاز للاشتراكية – صداقة شعوب الاتحاد السوفييتي .

٥ – حركة التحرر الوطنى

انهيار النظام الاستعمارى للامبريالية

ان الاستعمار ، الذى كان ينوء تحت نيره الى زمن غير بعيد اكثر من نصف سكان العالم ، هو احدى احلك الصفحات فى تاريخ البشرية . فهلاك عدد لا يحصى من الناس ، والاستغلال الوحشى ، والفقر المدقع والجوع ، والامراض والامية ، ذلك هو المصير الذى فرضه الامبرياليون على شعوب البلدان المستعمرة . ويكفى القول ان الاستعماريين نقلوا من افريقيا وحدها لغرض الاستعباد وأفنوا اكثر من ١٠٠ مليون شخص ! وكان استغلال الشعوب المستعبدة يجرى وما يزال يجرى من اجل هدف واحد أحد هو ابتزاز الربح الرأسمالى الاقصى – ذلكم هو الاستعمار .

وكان من الطبيعى تماما ان لا تطيق الشعوب صبرا على سيادة المستعمرين . فقد خاضت ، وما تزال ، نضالا متفانيا ضد الضوارى الامبريالية وفى سبيل الحرية والاستقلال الوطنى .

وقد اعطت ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى فى روسيا عام ١٩١٧ زخما شديدا لحركة التحرر الوطنى ، اذ ايقظت هذه الثورة الشعوب المضطهدة ، وألهمتها للنضال ، وجذبتها الى التيار العام للحركة الثورية العالمية . وعلى اثر انتصار ثورة اكتوبر بدأت ازمة النظام الاستعمارى للامبريالية . واصبح الاتحاد السوفييتى – اول بلد للاشتراكية فى العالم – مثالا وسندا موثوقا فى نضال الشعوب التحررى .

وفى حين ان الامبريالية قد سحقت الاستقلال الوطنى والحرية لأكثرية الشعوب وكبلتها بأغلال العبودية الاستعمارية الوحشية فان نشوء الاشتراكية يدشن بداية عهد تحرر الشعوب المضطهدة . فقد اخذت موجة ثورات التحرر الوطنى العارمة تجرف النظام الاستعمارى ، وتقوّض اسس الامبريالية . وراحت تنشأ دول فتية ذات سيادة محل المستعمرات وشبه المستعمرات السابقة .

لقد تغير وجه آسيا بصورة جذرية حيث تحررت من التبعية الاستعمارية او شبه الاستعمارية شعوب الصين والهند واندونيسيا وغيرها من البلدان . واخذت الانظمة الاستعمارية تنهار فى افريقيا ايضا . وترفرف حاليا الأعلام الوطنية للعشرات من الدول ذات السيادة على اراض شاسعة من القارة الافريقية . ففى الاعوام التى اعقبت الحرب العالمية الثانية نشأت اكثر من ٧٠

دولة مستقلة محل العالم الاستعمارى القديم ، علما بان اكثريتها قد كسبت حريتها فى السنوات الـ١٠ – ١٥ الاخيرة . وأخذت اميركا اللاتينية تنهض للنضال ضد الامبريالية والاستعمار ، حيث ساد امبرياليو الولايات المتحدة الاميركية دون منازع طوال عشرات السنين .

ولم يعد بعيدا ذلك الزمن الذى سيقضى فيه الى الابد على الاستعمار ، هذه الظاهرة المشينة فى التاريخ البشرى . ان تطهير كوكبنا كليا من فظائع الاستعمار ، والقضاء على آخر بؤره ، وعدم السماح بانبعاثه فى اشكال جديدة مموهة – ذلك هو مطلب العصر الراهن .

ان حركة التحرر الوطنى جزء مكون من العملية الثورية العالمية الواحدة للعصر الجارى . وهى ترتدى اهمية كبيرة فى تطور البشرية . فبنسفها الامبريالية وبتحطيمها اقرب مؤخراتها تساعد على تقدم البشرية من الرأسمالية نحو الاشتراكية . وتقدّر الاحزاب الشيوعية والعمالية انهيار الاستعمار بمثابة الظاهرة التالية ، من حيث الاهمية التاريخية ، بعد قيام النظام العالمى للاشتراكية .

بيد ان النضال ضد الاستعمار لم ينته بعد ابدا . فالامبرياليون يحاولون بجميع الوسائل اعادة الاوضاع الاستعمارية ، ويسعون ليس فقط الى الابقاء على استغلال الدول الفتية ذات السيادة بل والى تشديد هذا الاستغلال ايضا . وما يزال عشرات الملايين من الناس (شعوب جنوب افريقيا وروديسيا الجنوبية وغيرهما من البلدان) يرزحون تحت نير الاضطهاد الاستعمارى . لقد كانت الامبريالية وما تزال العدو الرئيسى لحركة التحرر الوطنى . لذا ، فان الشعوب المحبة للحرية فى

العالم بأسره مفعمة بالعزم على النضال ضد الامبريالية وفى سبيل الحرية والاستقلال الحقيقيين . ان النضال ضد الاشكال الجديدة للاضطهاد الاستعمارى وضد الاستعمار الجديد هو مهمة ذات شأن امام شعوب افريقيا وآسيا واميركا اللاتينية .

والاستعمار الجديد عبارة عن توسّع اقتصادى وعسكرى سياسى وايديولوجى من جانب الامبرياليين على حساب الشعوب التى تحررت من النير الاستعمارى او تناضل فى سبيل تحررها .

وفى حال احتفاظ الدول الامبريالية باشرافها على اقتصاد هذا البلد او ذاك تسعى بشتى الاساليب الى تشديد استغلالها الاقتصادى . وعلى الرغم من ان غالبية بلدان آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية قد حظيت باستقلالها السياسى فان العديد منها ما يزال فى تبعية اقتصادية للدول الامبريالية . فان قسما ملحوظا من المؤسسات والجزء الاعظم من الموارد الطبيعية لهذه البلدان متمركزان فى ايدى الاحتكارات الاجنبية ، الامر الذى يتيح لها الحصول كالسابق على ارباح هائلة من استثمارها للبلدان التابعة اقتصاديا .

وتدفع الدول الوطنية الفتية سنويا للامبرياليين اتاوة ضخمة تتراوح بين ١٤ و١٨ مليار دولار . وينبغى ان تضاف الى ذلك خسائرها الضخمة من جراء التجارة غير المتكافئة . والحال ، ان سلع التصدير من البلدان النامية هى المنتجات الغذائية والمواد الخام التى تنخفض اسعارها باستمرار فى السوق العالمية ، فى حين انها تشترى من البلدان الرأسمالية المتطورة منتجات صناعية مرتفعة الثمن . وهذا الفارق الضخم

المتعاظم ابدا فى اسعار المواد الخام والبضائع الصناعية يشكل مصدرا لارباح الرأسماليين الخيالية . فمن اجل استيراد جرار ، مثلا ، اصبح يقتضى الآن تصدير كمية من اكياس الطحين او الخامات تفوق بمرتين عما كان عليه الحال منذ بضع سنوات خلت .

وتعتبر الاحلاف العسكرية السياسية العدوانية (السنتو ، السياتو ، وغيرهما) ، والتى اقحم فيها الامبرياليون جملة من بلدان آسيا وافريقيا ، اداة للاستعباد وشكلا جديدا للاستغلال ، الاستعمارى بطبيعته ، للبلدان الضعيفة التطور .

ولا يتورع الامبرياليون ، فى صراعهم ضد الشعوب المتحررة ، حتى عن تصدير الثورة المضادة ، وعن التدخل المسلح المباشر فى الشؤون الداخلية للدول المتحررة .

ويشن الاستعمار الجديد عدوانا ايديولوجيا ضد قوى التقدم والاشتراكية والسلم . وقد وضعت الايديولوجيا البرجوازية الرجعية فى خدمة محاولات الامبرياليين المثابرة فى الابقاء على استغلال البلدان النامية وتشديده .

طابع ثورة التحرر الوطنى وقواها المحركة

ان ثورة التحرر الوطنى اعلى مرحلة من مراحل نضال التحرر الوطنى .

ان المسألة الرئيسية لكل ثورة ، بما فى ذلك ثورة التحرر الوطنى ، هى مسألة سلطة الدولة . والدليل

الاساسى على ثورة التحرر الوطنى هو انتقال سلطة الدولة من الاحتكارات الاجنبية او عملائها الى القوى الوطنية للشعب المضطهد سابقا .

لقد كانت الامبريالية تسود دون منازع فى الاقتصاد والحياة السياسية للبلدان المستعمرة ، وكانت تخنق كل مظهر من مظاهر الاستقلال السياسى والاقتصادى . وكانت الاحتكارات الاجنبية المسيطرة هنا تكبح بشتى الوسائل تطور الاقتصاد مضفية عليه طابعا احادى الجانب ، مشوها .

وثورات التحرر الوطنى هى بالدرجة الاولى ثورات **معادية للامبريالية** طالما انها موجهة ضد الامبريالية التى استعبدت شعوب البلدان المستعمرة والتابعة اقتصاديا ، وحولتها الى ذيل زراعى خامى تابع لها ، واخضعتها سياسيا ساحقة بكل قسوة كل طموح الى الاستقلال السياسى ، وحارمة الشعوب ابسط الحقوق والحريات الديمقراطية . بيد ان تصفية نير الاحتكارات امر مستحيل بدون القضاء على بقايا الاقطاعية والعلاقات العشائرية وما قبل الاقطاعية التى كان يشكل حاملوها السند الاجتماعى الرئيسى للامبريالية داخل البلدان المستعمرة والتابعة . ولهذا بالذات ترتدى ثورات التحرر الوطنى **طابعا معاديا للاقطاعية** ايضا . وترتدى هذه الثورات ، اخيرا ، **طابعا ديمقراطيا** ، اذ ان احراز الاستقلال الاقتصادى والسياسى لا يمكن تحقيقه بدون مشاركة الجماهير الشعبية الواسعة ، بدون اشاعة الديمقراطية فى كل الحياه الاجتماعية .

وتوجد فى البلدان المستعمرة والتابعة ، ولو بأعداد متفاوتة واوضاع مختلفة ، طبقة عاملة وطبقة فلاحين

وبرجوازية وطنية وبرجوازية صغيرة فى المدن وفئة مثقفين (مدنيين وعسكريين) وطلاب واقطاعيون وبرجوازية موالية للامبريالية .

وجميع هذه الطبقات والقوى الاجتماعية ، باستثناء البرجوازية الموالية للامبريالية واغنى الاوساط الاقطاعية ، تعانى من نير الاحتكارات الاجنبية ، لذا فهى تشارك الى هذا الحد او ذاك فى ثورة التحرر الوطنى وتُعتبر قواها المحركة . ان كل طبقة وفئة اجتماعية تمتاز ، طبعا ، باختلاف فهمها لمهمات الثورة التى تتوخى فيها ، عدا الاهداف الوطنية العامة ، اهدافها الاجتماعية الخاصة .

وتشكل **الطبقة العاملة** ، التى يتنامى عددها باستمرار ، احدى القوى المحركة الاساسية للثورة . وينبغى فى هذا الصدد ان نأخذ بالاعتبار ان عدد الطبقة العاملة وتلاحمها التنظيمى ومستوى وعيها ليست مماثلة فى مختلف البلدان . بيد ان البروليتاريا فى جميع البلدان التابعة دون استثناء ، وبفعل مكانتها الموضوعية فى المجتمع ، تعتبر اكثر القوى الاجتماعية ثورية واكثرها مصلحة فى ايصال ثورة التحرر الوطنى حتى نهايتها . وهذا امر مفهوم فالتخلص من نير الاحتكارات الاجنبية وبث الديموقراطية فى مجمل حياة المجتمع والدولة يخلقان امكانيات مؤاتية من اجل النضال فى سبيل تحقيق الهدف التاريخى للبروليتاريا - الاشتراكية .

وفى سير نضال التحرر الوطنى ترسّخ الطبقة العاملة صفوفها وتنظّم نفسها وتكتسب تجربة سياسية ، ويرتفع وعيها الطبقى ويتكوّن ويتعزز تحالفها مع الفئات غير البروليتارية من الكادحين . وتنشأ وتتقوى

منظماتها النقابية والنسائية والشبابية وغيرها . ان ثورات التحرر الوطنى هى بمثابة مدرسة جيدة للبروليتاريا من اجل المعارك الاجتماعية المقبلة فى سبيل الاشتراكية .

وتعتبر **طبقة الفلاحين** اكثر الطبقات عددا ، لا بل القوة المحركة الاساسية لثورات التحرر الوطنى فى عدد من البلدان . وهى ذات مصلحة حيوية فى القضاء على ملكية الاحتكارات والاقطاعيين المحليين وشيوخ القبائل للارض ، والحصول على امكانية العمل فى هذه الارض والتمتع بثمار عملها . والفلاحون هم ، بالطبع ، قوة معادية للامبريالية وللاقطاعية ، وذات مصلحة فى القضاء على السيطرة السياسية والاقتصادية للرأسمال الاجنبى ، وكذلك سيطرة طبقة الاقطاعيين والملاكين العقاريين وشيوخ القبائل ، وفى اجراء اصلاح زراعى .

اما تلك الفئة من البرجوازية ، التى لها مصلحة فى التنمية الاقتصادية للبلاد ، والتى تشارك مشاركة نشيطة فى ثورة التحرر الوطنى ، وعلى الاخص فى النضال من اجل الاستقلال السياسى ، فقد اصبحت تعرف باسم **البرجوازية الوطنية** ، تمييزا لها عن البرجوازية الموالية للامبريالية ، اللاوطنية (والتى يطلقون عليها احيانا لقب الكومبرادور) ، والتى تخون المصالح الوطنية العامة نظرا لارتباطها الوثيق بالاحتكارات الاجنبية .

ان البرجوازية الوطنية ، اذ تقف فى ثورة التحرر الوطنى الى جانب مصالحها الطبقية الخاصة وبالدرجة الاولى الى جانب تنمية الاقتصاد الوطنى الرأسمالى والى جانب سيطرتها السياسية فى المجتمع ، تعبّر فى الوقت نفسه

عن بعض المصالح الوطنية العامة ايضا طالما انه ليس باستطاعتها بلوغ اهدافها الطبقية الا بشرط التحرر من سيطرة الامبريالية الاجنبية والاقطاعية المحلية . ان المطامح المعادية للامبريالية وللاقطاعية لدى البرجوازية الوطنية تؤدى الى تلاقى مصالحها بمصالح الامة جمعاء وجماهير الشعب الواسعة . الا ان هذه البرجوازية تخاف فى الوقت نفسه من ثورية الطبقة العاملة والفلاحين اذ انها ترى فيهم خطرا على مصالحها الاستغلالية ، لذا تسعى الى حصر الثورة فى الاطارات الضيقة لمصالحها وكبح تطورها وتوجيهه فى الطريق الرأسمالى .

ويوجد فى البلدان المستعمرة والتابعة ، وخاصة فى بلدان افريقيا ، ما يسمى **بالفئات الوسطية ، فئات البرجوازية الصغيرة** (اصحاب الصناعات اليدوية ، الحرفيون ، التجار الصغار واكثريتهم من تجار المفرّق ، وغيرهم) . وهى فئات كثيرة العدد وذات نفوذ .

وهذه الفئات متناقضة للغاية من حيث طبيعتها الاجتماعية . فهى ، من جهة ، ذات ملكية رغم انها ، كقاعدة عامة ، غير كبيرة على الاطلاق ، وهذا يقرّبها ، الى حد ما ، من البرجوازية ، وهى مضطرة ، من جهة اخرى ، للعمل ولكسب عيشها بايديها ، الامر الذى يجعلها قريبة جدا من العمال ، ولاسيما من الفلاحين . هذا ، بالاضافة الى ان الفئات الوسطية ، شأن سائر الكادحين ، تتعرض لاستغلال جائر من جانب الامبرياليين الاجانب والاغنياء المحليين ، على حد سواء . وطبيعى ان تكون الاكثرية الساحقة لممثلى هذه الفئات الوسطية ذات موقف راديكالى ، وان تشارك فى ثورة التحرر الوطنى ، وان تكون ذات مصلحة فى انتصارها الناجز .

وتلعب فئة **المثقفين الوطنية الديمقراطية** – رجال العلم والثقافة ، قسم من الموظفين ، الجماعة التقدمية من الضباط ، الطلاب ، المستخدمون ، وغيرهم – دورا هاما ، واحيانا قياديا ، فى ثورة التحرر الوطنى . ودورها كبير بوجه خاص فى تلك البلدان التى لم تتكون فيها الطبقة العاملة بعد كقوة مستقلة فى حين ان البرجوازية الوطنية ما تزال اما ضعيفة واما تنهج سياسة موالية للامبريالية ، كما يحصل ذلك فى اكثرية البلدان الافريقية . وليس من النادر ، فى هذه الظروف ، ان يقف ممثلو المثقفين على رأس الثورة والدولة .

تلكم هى بخطوطها العامة القوى المحركة لثورة التحرر الوطنى . اما تناسب ودور هذه القوى فى الثورة فليسا مماثلين فى مختلف البلدان بفعل الاختلافات فى تاريخها وفى مستويات تطورها الاجتماعى الاقتصادى . ومع تطور الثورة يأخذ هذا التناسب فى التغير فى كل بلد بمفرده ايضا .

لذا ، ينبغى اتخاذ موقف **تاريخى ملموس** لدى تحليل القوى المحركة للثورة فى هذا البلد اوذاك مع اخذ الظروف الداخلية والعالمية بعين الاعتبار .

احراز الاستقلال الاقتصادى
مرحلة جديدة فى تطور الثورة

يعتبر احراز **الاستقلال السياسى** والتحرر من السيطرة السياسية للامبريالية مضمون المرحلة الاولى ، الاولية ، لثورة التحرر الوطنى . ففى هذه المرحلة ، التى تم انجازها بنجاح فى جملة من البلدان النامية ، يجرى تحقيق انتقال سلطة الدولة من البرجوازية الامبريالية

الاجنبية والطغمة الاقطاعية المحلية وشيوخ القبائل الى القوى الوطنية للامة . ان احراز الاستقلال الوطنى وقيام الدول الوطنية ذات السيادة فى آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية يشكلان اهم نتيجة سياسية لانهيار النظام الاستعمارى للامبريالية .

بيد ان احراز الاستقلال السياسى ليس المهمة الوحيدة لثورة التحرر الوطنى . فمن المهم بمكان ترسيخ المكتسبات المحرزة والقضاء الى الابد على التبعية للاحتكارات الاجنبية ، الامر الذى لا يمكن تحقيقه بدون احراز **الاستقلال الاقتصادى** .

ولم يضن الامبرياليون بالجهود من اجل تأبيد سيادتهم فى البلدان المستعمرة والتابعة ، وربطها الى الابد بالنظام السياسى والاقتصادى الخاص بهم ؛ وكانوا يحبطون اقل محاولة من جانب الشعوب المضطهدة لتنمية الاقتصاد الوطنى ، وخاصة الصناعة .

وقد القت الامبريالية فى غياهب التأخر الشديد بالعشرات من بلدان افريقيا وآسيا واميركا اللاتينية التى ما يزال مستوى تطور اقتصادها حتى الآن منخفضا جدا ، باستثناء بلدان معدودة . ففى عام ١٩٧٣ تم فى البلدان النامية حيث يعيش ٧١٪ من سكان العالم غير الاشتراكى انتاج ٧٪ من مجموع المنتجات الصناعية فى العالم .

ومن الطبيعى تماما ان شعوب البلدان النامية لا تستطيع استخدام الموارد الطبيعية الهائلة لما فيه مصلحتها هى ، والعمل من اجل نفسها ، من اجل شعبها ، وليس باسم ارباح الامبرياليين الاجانب الا بعد تحرير اقتصادها من ضغط الاحتكارات الاجنبية . إلا ان ثمة

طريقا واحدا فقط من اجل ذلك – **طريق تنمية اقتصادها الوطني** . وليس بمقدور شعوب البلدان المتحررة ، فى حال بقائها تابعة اقتصاديا للامبريالية ، ان تسلك طريق التقدم الاجتماعى الاقتصادى . زد على ذلك ان التبعية الاقتصادية تشكل تهديدا دائما وجديا لاستقلالها السياسى .

وكما اكد بريجنيف فى خطابه بدورة تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٦ للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتى فان الاتحاد السوفييتى يتخذ خطوات نشيطة «فى دعم المطالب العادلة للبلدان النامية في آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية بشأن اعادة بناء **العلاقات الاقتصادية الدولية** على اسس المساواة فى الحقوق ، وبشأن ازالة كافة اشكال استغلال الدول الرأسمالية للشركاء الاضعف منها فى «العالم الثالث»» («البرافدا» في ٢٦ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٦) .

ان احراز الاستقلال الاقتصادى يعتبر محتوى المرحلة الجديدة ، الثانية ، فى تطور ثورة التحرر الوطنى .

ويعتبر **التأميم** احدى اكثر الوسائل جذرية للتحرر من التبعية الاقتصادية ، وهو انتقال المشاريع الصناعية ، والنقليات ، ووسائل الاتصال ، والبنوك ، ومؤسسات التجارة والخدمات ، والمدارس ودور التعليم العالى الى ملكية الدولة . وتكون نتيجة التأميم انشاء القطاع العام فى الاقتصاد .

ولما كانت الظروف فى احيان كثيرة لا تسمح لهذه الدولة النامية او تلك بان تؤمم على الفور ملكية الاحتكارات الاجنبية بكاملها ، او على الاقل جزءا هاما منها ، تقوم الدولة ، الى جانب التأميم ، ولفترة معينة

من الزمن ، بفرض اشرافها المحدد على نشاط هذه الاحتكارات ، وتحد من امكانيات استغلالها لسكان البلاد ومواردها الطبيعية . وغالبا ما يجرى انشاء مؤسسات مختلطة تعود ملكيتها فى الوقت نفسه الى الدولة والرأسمال الخاص بما فى ذلك الرأسمال الاجنبى .

ويرتدى انشاء **اقتصاد وطنى عالى التطور والتصنيع** اهمية كبيرة فى كسب الاستقلال الاقتصادى .

ان التصنيع يؤمّن اعادة بناء جميع فروع أقتصاد البلدان الضعيفة التطور ، بما فى ذلك الزراعة ، على اساس تكنيكى حديث ، وبلوغ انتاجية عمل رفيعة . وهو يصلح قاعدة لتعزيز دفاع البلاد ، واساسا لتقدم العلم والتكنيك والثقافة . ومن خلال التصنيع وحده يمكن ازالة التخلف الموروث عن الماضى للبلدان المتحررة وانقاذها من القيام بالدور المشين ، دور الملحلقات الزراعية الخامية للبلدان الامبريالية واحراز الاستقلال الحقيقى . ان التصنيع شرط ضرورى لرفع مستوى حياة الشعب .

وتبرز امام البلدان النامية ، فى المقام الاول ، ضرورة تأمين اللباس والغذاء لجميع الناس ، وتوفير العمل والمسكن لهم ، وتقديم الخامات للمؤسسات القائمة وبصورة أولى تلك التى ما تزال قيد البناء . وتنتصب مهمة تنمية الصناعة الحديثة بهذا الشكل او ذاك وبهذه الدرجة من الحدة او تلك امام شعوب هذه البلدان ، اذ انه من غير الممكن احراز الاستقلال الحقيقى بدون حلها . وليس بمستطاع بلد غير كبير تطوير جميع فروع الصناعة الحديثة ، لذا فان تخصيص وتعاونية

انتاج البلدان النامية يكتسبان اهمية كبيرة فى تنمية التصنيع ، الامر الذى يستلزم تعزيز وحدة هذه البلدان وتوسيع روابطها الاقتصادية وتطوير التجارة سواء فيما بينها ام مع البلدان الاخرى وبالدرجة الاولى مع بلدان الاشتراكية .

وتقوم جملة كاملة من البلدان المتحررة بالخطوات الاولى فى طريق التصنيع . فهى تعمل ، باستخدامها الموارد الداخلية ومساعدة البلدان الاخرى وخاصة الاشتراكية ، على انشاء القاعدة الطاقية والفروع العصرية للصناعة ، وتطور بالدرجة الاولى تلك الفروع التى تتسم باهمية كبيرة خاصة بالنسبة للبلاد وتساعد على احرازها الاستقلال الاقتصادى .

ويشكل حل **المسألة الزراعية** لصالح الشعب واجراء تحويلات زراعية عميقة جزءا مكونا هاما من برنامج احراز الاستقلال الاقتصادى للبلدان المتحررة . ويكمن جوهر هذه المسألة فى تصفية العلاقات الاقطاعية وما قبل الاقطاعية فى الزراعة ، والقضاء على الملكية ما قبل الاقطاعية والاقطاعية والاجنبية للارض ، وتوفير امكانية العمل على هذه الارض امام الفلاحين ، وتقديم مساعدة لهم فى تدبير الشؤون الزراعية .

ان الطرق الملموسة للتحويلات الزراعية يمكن ان تكون ، كما تدل التجربة المكتنزة حتى الآن ، طرقا مختلفة . ففى جملة من البلدان المتحررة تجرى اصلاحات زراعية عميقة موجهة نحو الحد من مقاييس ملكية الارض الى درجة كبيرة ، ونحو تسليم الاراضى ، المصادرة من كبار الملاكين العقاريين والامبرياليين الاجانب ، الى الفلاحين للانتفاع بها . واكثر اشكال التحويلات

الزراعية جذرية هو **اشاعة التعاون** فى الزراعة التى بدأت تباشيرها تظهر فى بعض البلدان المتحررة .

ويجدر التنويه بان المسألة الزراعية فى العديد من البلدان المتحررة ما تزال بعيدة عن الحل ، ولهذا السبب يبقى حلها احدى اكبر مهمات ثورة التحرر الوطنى .

النضال لاختيار طريق تطور البلدان المتحررة

يعتبر اختيار طريق تطور الشعوب المتحررة مسألة هامة وحادة يرتبط حلها بالتصادم والصراع بين القوى الاجتماعية طالما ان مختلف الطبقات والاحزاب تقترح حلولا مختلفة لهذه المسألة . فالقوى الرجعية ، بما فيها وبالدرجة الاولى البرجوازية الكبيرة وملاكو الاراضى ، تسعى الى توجيه تطور الامة فى الطريق الرأسمالى والمحافظة على امتيازاتها وعلى الملكية الخاصة والاستغلال . وتستند الرجعية فى ذلك الى المساندة الاقتصادية والعسكرية من جانب الامبريالية .

وتسعى القوى التقدمية للمجتمع ، وبالدرجة الاولى الطبقة العاملة والفلاحون الكادحون ، الى توجيه البلد النامى فى طريق الاستقلال الحقيقى والازدهار والتقدم .

ان شعوب البلدان المتحررة تكره الرأسمالية . فما تزال طرية جدا فى ذاكرتها ويلات الرأسمالية ، وقد دفعت ثمنا باهظا للغاية لقاء حريتها . وقد دلت تجربة التاريخ على ان الرأسمالية والامبريالية هما الحروب الدموية والنهب الاستعمارى ، وهما الاستغلال والبطالة والجوع والفقر المدقع .

والرأسمالية هى عدو الديمقراطية والتقدم . ولهذا السبب بالذات ترفض الشعوب الرأسمالية بكل قوة اية كانت الألبسة الجذابة التى تخلعها عليها جهود حماتها الايديولوجيين ، ومهما كانت برّاقة النعوت التى يطلقونها عليها («الرأسمالية الشعبية» ، «مجتمع الرخاء العميم» وغيرهما) .

والشعوب تقف ضد الرأسمالية والى جانب **طريق التطور اللارأسمالى** . فما الذى يعنيه هذا الطريق ، وما هى الافضليات التى يوفرها للشعوب المتحررة ؟

طريق التطور اللارأسمالى

لقد اثبت لينين امكانية انتقال البلدان المتخلفة سابقا الى الاشتراكية دون المرور بالمرحلة الرأسمالية عامة او بمرحلة الرأسمالية المتطورة صناعيا ، علما بانه ربط هذه الامكانية بقيام وتطور الاشتراكية فى بلدان اخرى اكثر تطورا حيث البروليتاريا مدعوة لتقديم مساعدة شاملة للشعوب المتخلفة فى تطورها الاقتصادى والسياسى . وقد كتب لينين يقول : «... يمكن للبلدان المتأخرة ، ان تنتقل الى النظام السوفييتى والى الشيوعية عبر درجات معينة من التطور ، متجنبة مرحلة التطور الرأسمالى» * .

وقد تحققت حاليا الاحكام اللينينية حول امكانية التطور اللارأسمالى فى البلدان المتخلفة . فمن اصل ٦٥ مليونا من السكان غير الروس ، الذين كانوا يقطنون

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤١ ، ص ٢٤٦ .

روسيا عام ١٩١٧ ، كان ٢٥ مليونا من الذين يعيشون فى الاطراف المستعمرة بآسيـــا الوسطى ما يزالون موجودين فى مراحل التطور ما قبل الرأسمالية ويحافظون ليس فقط على اسلوب الانتاج الاقطاعى بل وعلى نمط الحياة العشائرية ايضا . ولم يمض سوى نصف قرن حتى تحولت هذه الاطراف بمساعدة الشعوب الشقيقة ، وبالدرجـة الاولى الشعـــب الروسى ، الى جمهوريات اشتراكية مزدهرة ذات صناعة وزراعة وثقافة عاليـة التطور . كما ان منغوليـا ، التى كانت فى الماضى بلدا شبه مستعمر ، قد اجتازت الطريق من التخلف الاقطاعى الى الاشتراكية ووضعت نصب عينيها مهمـة التحول ، بمساعدة الاتحاد السوفييتى وسائر البلدان الاشتراكية ، وفى القريب العاجل الى دولة صناعية زراعية متطورة .

ان تجربة الجمهوريات السوفييتية فى آسيا الوسطى ، وتجربة منغوليا ، تدل بشكل ساطع على ما يستطيع ان يبلغه بمساعدة الشعوب الشقيقة شعب كان متخلفا فى الماضى وتحرر من نير الاستعمار والاستثمار . وهذه التجربة تعلّم حاليا الشعوب المحتررة فى آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية كيف وبأى طريق يمكن تحاشى الآلام الفظيعة للتطور الرأسمالى . وتعلّم هذه التجربـة ان الطريق نحو الاستقلال الحقيقى والتقدم بالنسبة لهذه الشعوب هو الطريق اللارأسمالى .

ومن المعلوم ان الانتقال الى الاشتراكية يتحقـــق بنتيجة الثورة الاشتراكية التى يلزمها توفير مقدمات مادية وطبقية معينة (مستوى مطابق للتطور الاقتصادى ، وجود طبقة عاملة متقدمة ونشيطة سياسيا يقودها حزب ماركسى ، وغير ذلك) . وهذه المقدمات تنضج عادة فى

مرحلة التطور الرأسمالية ، ولذا فان الانتقال المباشر الى الثورة الاشتراكية امر ممكن فى البلدان الرأسمالية المتطورة .

والامر على خلاف ذلك فى البلدان ما قبل الرأسمالية التى تشكل اكثريتها الدول النامية الفتية . فهنا لم تنضج بعد المقدمات من اجل حل مهمات الثورة الاشتراكية ، لذا فمن اجل الانتقال الى الاشتراكية تلزم فترة تحضير معينة تنشأ اثناءها بالذات الظروف المادية والطبقية للانتقال الى الاشتراكية . وهذه الفترة ، التى يتم اثناءها **تحضير التحولات الاشتراكية الحاسمة** ، تشكل السمة اللازمة للتطور اللارأسمالى .

والعمليات الاجتماعية الاقتصادية (تطور الاقتصاد وما يستلزمه من اعادة تجميع القوى الطبقية لصالح الجماهير الكادحة ، وبالدرجة الاولى الطبقة العاملة) التى تجرى فى هذه الفترة الاولى هى عمليات مماثلة الى درجة ما للعمليات المميزة للتطور الرأسمالى . الا انها تجرى ، فى ظروف طريق التطور اللارأسمالى ، بصورة اسرع بكثير ، علما بان الجماهير الشعبية (وهذا الأهم) تتخلص هنا من معظم الآلام التى تعانيها فى ظروف التطور الرأسمالى . زد على ذلك انه يجرى منذ هذه المرحلة الاولى من التطور اللارأسمالى والى جانب التحولات ذات الطابع البرجوازى الديمقراطى ، تحقيق تحولات ذات طبيعة اشتراكية (الحد من الرأسمال الخاص والاستغلال ، وضع بعض وسائل الانتاج تحت اشراف الشعب والادارة ، تخطيط الاقتصاد ، الخ) ، رغم انها لا تمارس بعد تأثيرا حاسما ولا تحدد الصورة الاجتماعية الاقتصادية للمجتمع ككل .

وانه لأمر مفهوم ان يكون تناسب التحولات البرجوازية الديمقراطية والاشتراكية فى المرحلة الاولى من الطريق اللارأسمالى ووزنها واهميتها فى تطور المجتمع غير مماثلة فى مختلف البلدان ، اذ ان ذلك يتوقف على مستوى تطورها الاقتصادى والاجتماعى وعلى التناسب بين القوى الطبقية . هذا ، بالاضافة الى ان وجود تحولات اشتراكية ، ايا كان عمقها وشكلها ، يشكل علامة ضرورية من علائم الطريق اللارأسمالى . اما غياب هذا النوع من التحولات فيعنى ان المجتمع يتطور وفق الطريق الرأسمالى الاعتيادى .

وفى اعقاب المرحلة الاولى ، التى تَغْلب فيها التحولات البرجوازية الديمقراطية ، تحل مرحلة جديدة ، مرحلة التحولات الاشتراكية الحاسمة فى كافة مجالات الحياة الاجتماعية ، مرحلة الانتقال المباشر الى الاشتراكية . وتأخذ التحولات الاشتراكية باكتساب اهمية حاسمة ، والطريق اللارأسمالى بالترسخ ، ويسلك المجتمع نهائيا طريق التطور الاشتراكى . انه يجرى **تحول ثورة التحرر الوطنى الى ثورة اشتراكية** .

ان سرعة حلول هذه المرحلة تتوقف على مدى قوة اشتراك الجماهير الشعبية فى الثورة ، وعلى عمق التحولات الديمقراطية فى حياة المجتمع والدولة التى يجرى تحقيقها فى ظروف التطور اللارأسمالى ، وعلى مدى سرعة تنامى دور الطبقة العاملة وتوطيد تحالفها مع الفلاحين ، وعلى مدى سرعة تحول النواة القيادية للثورة الى معبّر عن مطامح الجماهير الكادحة وانتقالها الى مواقع الاشتراكية العلمية .

وعليه ، فان المحتوى الاجتماعى الاقتصادى للطريق

اللارأسمالى ككل هو انجاز ثورة التحرر الوطنى وخلق المقدمات المادية والطبقية من اجل بناء الاشتراكية ، ومن ثم تحويل ثورة التحرر الوطنى الى ثورة اشتراكية.

واعرابا عن ارادة الجماهير الشعبية وتوقها الشديد الى الاشتراكية وطموحها الى حياة جديدة سعيدة اعلن زعماء عدد من البلدان المتحررة عن عزم شعوبهم على سلوك طريق التطور اللارأسمالى ، ويجرى فى هذه البلدان تحقيق اجراءات ذات طابع لارأسمالى ، نذكر منها : انشاء القطاع العام فى الاقتصاد عن طريق التأميم ؛ التطبيق التدريجى لمبدأ التخطيط فى تنمية الاقتصاد الوطنى وبنائه بواسطة التصنيع ؛ التحولات الزراعية وخاصة انشاء التعاونيات للفلاحين ؛ ازاحة الرأسمال الاجنبى تدريجيا من الاقتصاد ؛ الحد من استغلال ونفوذ الطبقات المستثمرة على الحياة السياسية .كما يجرى انتاج سياسة خارجية مستقلة معادية للامبريالية واقامة علاقات ودية وتعاون مع بلدان الاشتراكية ، الخ .

ويولى اهتمام جدى لرفع مستوى معيشة الشعوب وثقافتها ، ولتطوير التعليم ورعاية الصحة واعداد الملاكات التكنيكية والعلمية .

وتعانى حركات التحرر الوطنى مصاعب وتناقضات جدية ، وفى بعض الاحيان تخلى انتصارات القوى التقدمية المكان لانتصار الرجعية ، والوضع فى جملة من البلدان غير مستقر على الاطلاق . وكل ذلك مرتبط ، بالدرجة الاولى ، بالتخلف الاقتصادى والثقافى للعديد من البلدان النامية وبالارث الثقيل الذى خلّفه الاستعمار . والطابع الزراعى للاقتصاد ، والاحادى الجانب كقاعدة ، وتعبيته

للرأسمال العالمى غالبا ما يكبلان ايدى القوى التقدمية ويحرمانها من امكانية انتاج سياسة مستقلة مثابرة . وتصطدم السياسة التقدمية المنتهجة بمقاومة ضارية من جانب القوى الرجعية المحلية – ممثلى شيوخ القبائل ، والاقطاعيين ، والبرجوازية التى تعتمد على الرأسمال الاجنبى ، والعسكرية الرجعية . يضاف الى ذلك التدخل الفظ من جانب الامبرياليين الاجانب الذين لا يتورعون فى صراعهم ضد القوى التقدمية عن اللجوء الى التدخل المسلح .

واخيرا ، الامر الأهم : ان حركات التحرر الوطنى كثيرا ما تكون محرومة من الدور القيادى للطبقة العاملة التى هى اكثر القوى ثورية فى العصر الراهن والقادرة على تحريك الثورة الى امام باصرار ومواظبة . فالطبقة العاملة فى احدى البلدان النامية قليلة العدد وضعيفة من الناحية التنظيمية ، وهى ما تزال فى بلدان اخرى فى طور التكون وتخطو خطواتها السياسية الاولى ، وليس لها من وجود حتى الآن فى غيرها من البلدان . بيد ان الطبقة العاملة ، مع تطور الصناعة القائمة فى جميع البلدان النامية رغم اختلاف درجات تكثيفها تنشأ وتتطور ، ويتنامى دورها فى المجتمع ، ويقوم ويتوطد تحالفها مع الفئات غير البروليتارية وخاصة مع الفلاحين .

وفى هذا ضمانة لكون الدول الفتية ذات السيادة سوف تنطلق على الدرب الاشتراكى عاجلا ام آجلا بمساعدة البلدان التى انتصرت فيها الاشتراكية . والطبقة العاملة هى التى تجسد بالذات انتقال البشرية المعاصرة من الرأسمالية الى الاشتراكية . وهذا امر حتمى بنفس الدرجة سواء بالنسبة للبلدان الاشتراكية حيث الطبقة

العاملة تقود شؤون الدولة ، ام بالنسبـــة للبلدان الرأسمالية المتطورة حيث تشرف الطبقة العاملة عـلى النضال الثورى للكادحين ضد الرأسمال ، ام بالنسبة للبلدان النامية حيث الطبقة العاملة مدعوة الى كسب الدور القيادى فى نضال الشعوب من اجل مستقبلهـــا الاشتراكى .

الفصل الثالث

طريق الانتقال من الرأسماليـة الى الاشتراكيـــــــة

١ - القوانين العامة والاشكال الخاصة لبناء الاشتراكية

تبنى الاشتراكية على اساس منجزات انتاج وتكنيك الرأسمالية وعلمها وثقافتها ، يبنيها اناس نشأوا وتربوا فى ظروف الرأسمالية . ومع ذلك فالاشتراكية هى مجتمع جديد نوعيا .

وفى حين ان اقتصاد الرأسمالية وعلاقاتها الاجتماعية وثقافتها الروحية ، القائمة على الملكيـــة الخاصـــة والاستغلال ، تخدم مصالح حفنة ضئيلة للغاية مـــن الناس : مالكى وسائـــل الانتاج ، فان الاشتراكية ، القائمة على الملكيـــة الاجتماعيـــة وعلاقات التعاون والمساعدة المتبادلة بين الناس ، هى مجتمع الشغيلة ومن اجل الشغيلة . وبناء الاشتراكية ليس امرا ممكنا ، بطبيعة الحال ، بدون اجراء تحولات نوعية جذرية لجميع

نواحى الحياة الاجتماعية . ومن المهم التنويه هنا بان اجراء هذه التحولات يواجه مقاومة ضارية من جانب الطبقات المستثمِرة المخلوعة ، وبالدرجة الاولى البرجوازية .

ومن اجل القضاء على مقاومة المستثمِرين والقيام بتحولات اشتراكية جذرية فى الاقتصاد والعلاقات الاجتماعية والحياة الثقافية ، ومن اجل وضع ذلك فى خدمة الانسان الكادح ، لا بد من مرحلة انتقالية من الرأسمالية الى الاشتراكية .

المرحلة الانتقالية من الرأسمالية الى الاشتراكية هى تلك المرحلة التى يكون فيها قد اطيح بالبرجوازية بينما الرأسمالية لم تصف بعد نهائيا والطبقات المستثمرة التى فقدت السلطة لم تكف عن صراعها ضد الطبقة العاملة المنتصرة ، المرحلة التى تجرى فيها تحولات اشتراكية جذرية بينما الاشتراكية لم تبن بعد .

وقد كتب لينين يقول : «ان حالة الانتقال ... من القديم الى الجديد هى حالة نمو هذا الجديد» * . والمرحلة الانتقالية هى بالذات مرحلة اقامة الاشتراكية ونموها ، مرحلة الصراع بين الرأسمالية المحتضرة والاشتراكية التى ترسخ اقدامها .

ان تجربة بناء الاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى والبلدان الاخرى تتيح التأكيد بان القوانين الاساسية لانشاء مجتمع جديد ترتدى اهمية دائمة غير مؤقتة . فهذه القوانين تتكرر بالضرورة وستتكرر لاحقا فى ظل ظروف مطابقة فى جميع البلدان التى تسلك طريق البناء

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٦ ، ص ١٥٤ .

الاشتراكى . وهى تكتسب بذلك معنى القوانين العامة للانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . ومن بين هذه القوانين : الثورة الاشتراكية ودكتاتورية البروليتاريا ممارسة بهذا الشكل او ذاك ، الدور القيادى للحزب الشيوعى ، التأميم الاشتراكى والتصنيع ، انشاء انتاج يتطور بصورة مبرمجة وقائم على الملكية الاجتماعية والمنجزات المعاصرة للعلم والتكنيك ، اشاعة التعاون فى الزراعة ، الثورة الثقافية ، التحولات الاشتراكية للعلاقات القومية (فى البلد المتعدد القوميات) على اساس مبادئ الامية البروليتارية والصداقة والتعاون بين الشعوب .

وهذه القوانين العامة فى نفس الوقت لا تتجلى بتماثل على الاطلاق فى مختلف البلدان . فكل بلد ، يبنى الاشتراكية ، يملك ظروفا خاصة به تمتاز عن ظروف البلدان الاخرى : مستوى تطور الاقتصاد والثقافة ، التاريخ الخاص ، الظروف الطبيعية واحتياطيات الثروات الباطنية ، تناسب القوى الطبقية ، تقاليد الشعب وخصائصه القومية الخ . هذا ، بالاضافة الى تمايز الظروف الدولية التى يقوم ابانها هذا البلد او ذاك ببناء الاشتراكية . لذا ، ففى كل بلد ميزات خاصة للانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . وكتب لينين يقول : «ستصل جميع الامم الى الاشتراكية ، ان هذا امر محتوم . ولكنها لن تصل جميعها على صورة واحدة ، فستحمل كل منها امرا تتفرد به الى هذا الشكل او ذاك اشكال الديمقراطية ، الى هذا المظهر او ذاك من مظاهر دكتاتورية البروليتاريا ، الى هذه السرعة او تلك فى تحويل مختلف وجوه الحياة الاجتماعية على اسس

الاشتراكية» * . ان خصائص بناء الاشتراكية فى هذا البلد او ذاك تتناول لا جوهر التحولات الاشتراكية بل اشكال وطرق ومواعيد ووتائر وفعالية هذه التحولات . وهى لا تبطل القوانين العامة باى حال من الاحوال .

ان خصوم الاشتراكية العلمية والشيوعية ، والقوى التحريفية والمعادية للاشتراكية ينكرون وجود قوانين عامة ويشددون على الخصائص القومية لتطور مختلف البلدان . وهم يخترعون مختلف «الموديلات» (النماذج) للاشتراكية ، وينفون الطابع الاممى للماركسية-اللينينية وللاشتراكية العلمية . ويوجهون رؤوس حرابهم ضد دكتاتورية البروليتاريا والدور القيادى للطبقة العاملة وطليعتها الحزب الشيوعى ، فى البناء الاشتراكى . وتشهد على ذلك الاحداث المعروفة فى تشيكوسلوفاكيا (عام ١٩٦٨ وبداية عام ١٩٦٩) حيث حاولت القوى المعادية للاشتراكية والقوى الانتهازية اليمينية ابعاد الحزب الشيوعى والدولة الاشتراكية عن قيادة المجتمع ، واطلاق «تلاعب» القوى السياسية ، وخلق معارضة سياسية ، وتقويض اسس الاشتراكية . وقد صد شغيلة تشيكوسلوفاكيا بمساعدة البلدان الاشتراكية الشقيقة القوى المعادية للاشتراكية .

ونتحدث فيما يلى بالتفصيل عن وحدة القوانين العامة لبناء الاشتراكية واشكاله المتنوعة فى مختلف البلدان .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٠ ، ص ١٢٣ .

٢ - دكتاتورية البروليتاريا والدور القيادى للحزب الشيوعى هما الشرط الحاسم لبناء الاشتراكية

تشكل دكتاتورية البروليتاريا والدور القيادى للحزب الشيوعى الشرط الحاسم لبناء المجتمع الاشتراكى . ان دولة دكتاتورية البروليتاريا والدور القيادى للطبقة العاملة وطليعتها - الحزب الشيوعى ، هما اهم قانون لبناء الاشتراكية .

تنبثق دولة دكتاتورية البروليتاريا بنتيجة الثورة الاشتراكية الناجحة والتحطيم الجذرى لماكنة الدولة البرجوازية . وهى تعتبر طراز دولة جديد نوعيا وتختلف جذريا عن جميع الدول السابقة من حيث طبيعتها الطبقية بالدرجة الاولى ، ومن حيث الدور المطلوب منها القيام به ، وكذلك من حيث اشكال تنظيم الدولة .

لقد كانت جميع انماط الدولة السابقة اداة بيد الطبقات المستثمِرة ، اداة لسحق الكادحين ، وكانت تضع نصب عينيها هدف ترسيخ النظام الاستثمارى وتأبيد انقسام المجتمع الى مضطهِدين ومضطهَدين . اما دكتاتورية البروليتاريا فهى سلطة الطبقة العاملة التى تقضى على الرأسمالية بالاشتراك مع جميع الكادحين وتخلق مجتمعا جديدا : مجتمعا بدون طبقات متناحرة وبدون استثمار .

فما هى ، اذن ، المهمات الاساسية التى تحققها دكتاتورية البروليتاريا ؟

في غضون المرحلة الانتقالية لا يتوقف الصراع الطبقي . فالطبقات المستثمِرة وبالدرجة الاولى البرجوازية لا تستطيع ، وقد غدت محرومة من السيادة السياسية ، التسليم بهزيمتها وبفقدان السلطة والامتيازات ، لذا تبدى مقاومة ضارية بوجه السلطة الجديدة . وعليه فان دكتاتورية البروليتاريا ضرورية قبل كل شيء من اجل تحطيم مقاومة الطبقات المستثمرة المخلوعة ، واحالة وسائل الانتاج الى الشعب ، والذود عن المكتسبات الثورية من تطاولات الاعداء الداخليين والخارجيين ، وترسيخها .

تلك هي **المهمة الاولى لدكتاتورية البروليتاريا** ، والمتعلقة بالعنف تجاه المستثمِرين .

بيد ان سحق البرجوازية ليس هدفا بحد ذاته لدى البروليتاريا . فمهمتها الرئيسية تنحصر في بناء الاشتراكية ، المجتمع الاشتراكي ، وبالدرجة الاولى الاقتصاد الاشتراكي . وتكمن صعوبة تحقيق هذه المهمة في ان الثورة الاشتراكية تبدأ في ظروف عدم وجود اشكال جاهزة للنموذج الاشتراكي . والدولة البروليتارية بالذات مدعوة الى ادارة الحياة الاقتصادية للمجتمع ، وخلق نمط جديد للاقتصاد ، اقتصاد الاشتراكية القائم على الملكية الاجتماعية ، وخلق نمط جديد للعلاقات الاجتماعية ، وتربية الشغيلة بروح الاشتراكية . ولا يقتصر الامر على انجاز بناء المجتمع الاشتراكي وتوجيهه وفق خطة موضوعة مسبقا ، بل وعلى الدفاع عن مكتسباته بوجه تطاولات العناصر الرجعية داخل البلاد والعدوان المحتمل من جانب الامبريالية العالمية .

تلك هى **المهمة الثانية** ، الانشائية التوجيهية ، **لدكتاتورية البروليتاريا** .

تبنى الطبقة العاملة المجتمع الجديد ، الاشتراكى ، لا بمفردها بل بتحالف وثيق مع الجماهير الكادحة غير البروليتارية ، وبالدرجة الاولى الفلاحين . ولدى ذلك تعيد الطبقة العاملة تربية هذه الجماهير ابان النضال ضد البرجوازية وبناء الاشتراكية . وتلك مهمة صعبة جدا ، اصعب واكثر حساسية بكثير من النضال ضد البرجوازية . فهنا يتطلب الامر عملا تربويا مديدا متعبا واقناع فئات الشغيلة غير البروليتارية بافضليات الاشتراكية . وفى غمرة هذا العمل تتربى الطبقة العاملة هى ايضا وتحقق انعطافا عميقا فى حياة المجتمع الروحية .

تلك هى **المهمة الثالثة** ، التربوية **لدكتاتورية البروليتاريا** .

وبالاضافة الى هذه المهمات ، التى تُعرف بالمهمات الوطنية التى تحل فى اطار البلد المعنى ، تقوم دكتاتورية البروليتاريا بمهمة اممية هامة ايضا : فهى تساعد بجميع الوسائل ، وقبل كل شىء بمثال البناء الاقتصادى الناجح على النضال الثورى لكادحى البلدان الرأسمالية ، وتقدم لهم مساندة سياسية ومادية ومعنوية . وبهذا بالذات تساعد دكتاتورية البروليتاريا لكل بلد بمفرده على تطوير العملية الثورية العالمية والقضاء على الرأسمالية واقامة الاشتراكية فى العالم بأسره . وفى ظروف وجود النظام الاشتراكى العالمى تنظم دولة دكتاتورية البروليتاريا وتؤمن علاقات التعاون والمساعدة المتبادلة للبلدان الشقيقة والدفاع المشترك عن المكتسبات الاشتراكية .

ان دكتاتورية البروليتاريا **نمط اعلى للديمقراطية وجديد نوعيا** . انها ديمقراطية من اجل اكثرية الشعب العظمى . والطراز الجديد نوعيا للديمقراطية فى ظروف دكتاتورية البروليتاريا ينبع من نفس طبيعة الدولة البروليتارية ، من الاهداف والمهمات التى تضعها نصب عينيها . وبمساندة جماهير الشعب الواسعة فقط تستطيع البروليتاريا وضع حد لاستثمار الانسان للانسان ، وفوضى الانتاج ، والازمات الاقتصادية ، والبطالة وفقر الجماهير ، وتأمين تطور مبرمج متواصل للاقتصاد بوتائر عالية ورفع مستوى معيشة الشعب باستمرار . لذا ، فان تحالف الطبقة العاملة مع فئات الكادحين غير البروليتارية فى المدينة والريف ، وبالدرجة الاولى مع الفلاحين ، وفى ظل الدور القيادى للطبقة العاملة ، يشكل الاساس والمبدأ الاعلى لدكتاتورية البروليتاريا ، واكمل واشمل تعبير عن الديمقراطية الحقيقية للدولة البروليتارية .

ودكتاتورية البروليتاريا هى بداية عهد السلطة الشعبية الحقة . ولنقارن ، من اجل تأكيد ذلك ، وعلى سبيل المثال ، بين تركيب الهيئات العليا للسلطة فى جمهورية المانيا الديمقراطية وجمهورية المانيا الاتحادية .

فى المجلس الشعبى الحالى بالمانيا الديمقراطية ٤٣,٨٪ من العمال ، و ١٥,٤٪ من الفلاحين والعمال الزراعيين ، و ٢٠,٤٪ من المستخدمين ، و ٢٠,٢٪ من المثقفين ، و ٠,٢٪ من ممثلى مختلف المهن الاخرى .

وفى برلمان المانيا الاتحادية لا يوجد عامل انتاجى او فلاح واحد ، فى حين يضم ٦٦٪ من ممثلى الرأسمال و ٣٤٪ من الموظفين العاملين فى خدمتهم .

ودكتاتورية البروليتاريا عبارة عن مجموعة من المنظمات الحكومية وغير الحكومية (الحزبية والاجتماعية) فى البلاد . ويقع فى مركز هذه المجموعة الحزب الشيوعى الذى يضطلع بقيادة بناء الاشتراكية . فاعتمادا على معرفة قوانين التطور الاجتماعى يقود الحزب ، من خلال المنظمات الحكومية والاجتماعية خلال الفترة الانتقالية ، النضال ضد الطبقات المستثمرة وتحقيق التحولات الاشتراكية . وعلاقات الحزب الواسعة بالجماهير الشعبية ، والتى نشأت فى غمرة النضال ضد الرأسمالية ، تتحول الى وحدة الحزب والشعب . ففى وحدة الحزب والشعب ضمانة نجاح قضية بناء المجتمع الاشتراكى .

لقد كانت مسألة مكان الحزب الشيوعى فى نظام دكتاتورية البروليتاريا والبناء الاشتراكى ، وما تزال موضع صراع حاد بين الماركسية-اللينينية والانتهازية التى تنكر الدور القيادى للحزب فى بناء الاشتراكية والشيوعية . ونحو ذلك تتجه ، مثلا ، جهود النزعة التحريفية «اليسارية» ، التى تحاول ، فى الحقيقة ، تصفية حزب الطبقة العاملة باحلال حزب الثورية البرجوازية الصغيرة محله . والى هذا يدعو ايضا انتهازيو المذهب اليمينى . فهم يحالون ، تحت شعارات زائفة حول الدفاع عن الديمقراطية والحرية بوجه «دكتاتورية الحزب» الموهومة وتحت شعار «اشاعة الليبيرالية» و«اشاعة الديمقراطية» فى النظام الاشتراكى ، التشهير بحزب الشيوعيين وابعاده عن قيادة المجتمع .

لقد كانت تجربة نصف قرن من تطور البلاد السوفييتية وتجربة عدد من بلدان الاشتراكية الاخرى بمثابة اختبار عملى وتأكيد لصحة التعاليم اللينينية

حول الدور القيادى للحزب ، وبينتا بشكل مقنع انه بدون قيادة الحزب الشيوعى لا يمكن بناء المجتمع الاشتراكى واقامة الديمقراطية الحقة ، الاشتراكية .

ان وجود دكتاتورية البروليتاريا والدور القيادى للحزب الماركسى فى الدولة ، كما سبق ان رأينا لتوّه ، يشكلان اهم قانون للانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . بيد ان اشكال دكتاتورية البروليتاريا ، وفقا للظروف التاريخية الملموسة لتطور هذا البلد او ذاك ، يمكن ان تكون مختلفة . ففى البلاد السوفييتية تحققت دكتاتورية البروليتاريا على شكل مجالس سوفييت ، وفى جملة من بلدان الاشتراكية الاخرى على شكل ديمقراطية شعبية . وخلافا لمجالس السوفييت تتسم الديمقراطية الشعبية فى بعض البلدان (بلغاريا ، جمهورية المانيا الديمقراطية ، بولونيا وغيرها) بتعدد الاحزاب وباستخدام الاشكال البرلمانية التقليدية (مجلس الدولة فى هنغاريا ، البرلمان فى بولونيا ، وغيرهما) ، وبوجود جبهة شعبية (وطنية) – منظمة جماهيرية تضم اكثر فئات الشعب اختلافا وتحقق بناء الاشتراكية بقيادة الحزب الشيوعى . هذا ، بالاضافة الى ان الديمقراطية الشعبية لا تحجب الحقوق السياسية عن ممثلى الطبقات المستثمرة والعناصر غير الكادحة باستثناء مجرمى الحرب وشركائهم .

والفروقات بين مجالس السوفييت والديمقراطية الشعبية لا تغير من جوهر السلطة السياسية طالما ان هذه السلطة ، فى الحالتين ، تعود الى الطبقة العاملة .

ولا ريب ان التاريخ يمكن ان يوفر فى المستقبل اشكالا اخرى ايضا لدكتاتورية البروليتاريا . وطرق اقامة دكتاتورية البروليتاريا يمكن ان تكون مختلفة ايضا (سلمية او غير سلمية) . ففى البلاد السوفييتية ، مثلا ، اقيمت دكتاتورية البروليتاريا بقوة السلاح . فهنا اندلعت حرب اهلية . وسبب ذلك ان البرجوازية المطاح بها لم تقف فقط ضد السلطة الجديدة بقوة السلاح بل طلبت المساعدة من الامبرياليين الاجانب ومهدت السبيل لتدخلهم المسلح . ولم يبق امام الطبقة العاملة فى هذه الظروف سوى ان تنهض والسلاح بيدها من اجل الدفاع عن مكتسباتها .

وكان الامر مغايرا فى البلدان الاشتراكية الاوروبية فالقوى الاساسية المعادية للثورة (الفاشيون والعناصر الرجعية المرتبطة بهم) كانت قد سحقت هنا فى غمار الحرب العالمية الثانية ، لذا لم يكن لدى البرجوازية المطاح بها ما يكفى من القوى من اجل ابداء مقاومة مسلحة بوجه السلطة الجديدة . ولم يجازف الامبرياليون الاجانب كذلك فى شن تدخل مسلح ضد البلدان المتحررة لان هذه البلدان كانت تحت حماية الجيش السوفييتى الجبار . لذا جرت اقامة دكتاتورية البروليتاريا فى هذه البلدان بدون حرب اهلية . الا ان الصراع الطبقى يتخذ هنا ايضا فى بعض الاحيان اشكالا حادة للغاية ، وتضطر الطبقة العاملة للجوء الى السلاح واستخدام المساعدة ، بما فيها المساعدة المسلحة ، التى يقدمها لها اشقاؤها الطبقيون فى سائر البلدان الاشتراكية (كما حدث فى هنغاريا عام ١٩٥٦ ، وفى تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨) .

ويتبين مما ذكر اعلاه ان دكتاتورية البروليتاريا لا ترفض رفضا قاطعا جميع الاشكال السابقة ، وخاصة البرلمانية ، لتركيب الدولة ، ولا تقضى على جميع الاحزاب والمنظمات غير الشيوعية . هذا فضلا عن انها تضعها فى خدمة مصالح الشغيلة . والحزب الشيوعى ، بوصفه القوة القائدة للمجتمع ، لا يرفض التعاون مع كافة الاحزاب والمنظمات التى تساعد على اجراء التحولات الاشتراكية . الا انه يقف فى الوقت نفسه ضد المعارضة السياسية للقوى الموجهة ضد اعادة بناء المجتمع على اسس اشتراكية . ويصون الحزب الشيوعى بصرامة وحدة صفوفه رافضا وجود تكتلات وتجمعات تناهض نهجه العام ، نهج الاشتراكية .

ان خصائص تقدم مختلف البلدان نحو الاشتراكية تدل بقناعة على انه لا توجد فى الثورة كليشهات محددة لجميع الازمنة ، وان الثورة هى قضية ملموسة ، حية ، خلاقة .

٣ – التحويلات الاقتصادية

التأميم الاشتراكى

الاقتصاد هو اساس الحياة الاجتماعية ، ولهذا السبب تكتسب التحولات الاقتصادية ، وبالدرجة الاولى تحويل الملكية الرأسمالية الخاصة لوسائل الانتاج الاساسية الى ملكية عامة ، اشتراكية ، اهمية حاسمة فى المرحلة الانتقالية . ويعتبر التأميم الاشتراكى اهم وسيلة لاقامة الملكية الاجتماعية .

التأميم الاشتراكى هو مصادرة وسائل الانتاج الاساسية من البرجوازية واحالتها الى ملكية الدولة

البروليتارية ، عنينا بها : المعامل ، المحطات الكهربائية ، النقل البحرى وبالسكك الحديد ، المؤسسات الزراعية والتجارية الضخمة ، الخ . وبهذا يقضى على الملكيـــة الرأسمالية الكبرى بالطريقة الثورية وتنشأ الملكيـة الاشتراكية لعموم الشعب . ويرتدى اهمية كبيرة خاصة تأميم الصناعة الضخمة والبنوك والتجارة الخارجية ، لان الدولة فى هذه الحالة تستولى على الهيئات الاقتصادية الحاسمـــة التى تمكنهـــا من التأثير على تطور البلاد الاقتصادى لما فيه مصلحة الشغيلة ، وتنظيم ادارة الاقتصاد والعمليات الاجتماعية الاخرى ، وتحقيـــق الانتاج المبرمج وحساب وتوزيع المنتجات ، وتأمين استقلال البلاد الاقتصادى عن الرأسمالية .

وبنتيجة التأميم ينشأ فى اقتصاد البلاد **نمط اشتراكى** قائم على ملكية الشعب بأسره ، نمط يتسم بعلاقات انتاجية للتعاون والمساعدة المتبادلة ، وكذلك باشكال التوزيع حســـب العمـــل . ويجرى فى نطاق النموذج الاشتراكى القضاء على الاستغلال ، وتذليل التناقض ، الذى سبق ان تحدثنا عنـــه ، بين الطابع الاجتماعى للانتاج والشكل الخاص للتملك ، وهو التناقض الملازم للمجتمع الرأسمالى ، وتأخذ عفوية التطور تخلى المكان تدريجيا للاسس الموجهة المبرمجة . وتكتسب الدولة البروليتارية فى المؤسسات الانتاجية المؤممة اساسا اقتصاديا متينا يأخذ فى الاتساع والتوطد بمقدار التقدم نحو الاشتراكية .

ووفقا للظروف الملموسة فان التأميم يمكن ان يتحقق بصورة مباشرة او غير مباشرة من خلال جملة من المراحل الانتقالية .

وتشكل **رأسمالية الدولة** احدى المراحل الانتقالية نحو التأميم . واشكال رأسمالية الدولة يمكن ان تكون مختلفة ، منها الامتيازات ، وتأجير المؤسسات الانتاجية لارباب عمل خاصين ، والمؤسسات الانتاجية المختلطة العائدة للدولة وللملاك على السواء الخ . ومع ذلك فهى ذات طبيعة اجتماعية اقتصادية واحدة : انها مؤسسات تعمل باشراك الرأسمال الخاص ولكنها موجودة دائما تحت اشراف الدولة البروليتارية ، تنفذ مطالبها ، وتستخدمها الدولة ، فى آخر المطاف ، لصالح بناء الاشتراكية .

وثمة اشكال انتقالية اخرى نحو التأميم هى مختلف انواع الاشراف العمالى الذى تحققه فى المؤسسات الانتاجية الرأسمالية جماعات عمل الشغيلة والمستخدمين العاملة فيها . ويقوم الشغيلة بالاشراف على تنظيم وادارة الانتاج ، وعلى قبول وصرف العمال والمستخدمين ، وعلى نوعية المنتجات وتوزيعها ، وعلى نظام الاجور ، الخ . واثناء تنفيذ عملية الاشراف العمالى يجتاز الشغيلة مدرسة جيدة لادارة الانتاج والتوزيع ، ويكتسبون خبرات التمويل والحساب ، الخ . وقد التجأ شغيلة روسيا الى انواع مختلفة للاشراف على المؤسسات الرأسمالية . واستخدم تجربتهم واغناها شغيلة البلدان الاشتراكية الاخرى . فقد نظموا مجالس عمالية ، ولجانا انتاجية-معملية ، ولجانا معملية-مصنعية كانت بمثابة خطوة هامة فى الطريق نحو التأميم .

يجرى كذلك فى المرحلة الانتقالية تأميم (كامل او جزئى) للارض التى تعود لكبار الملاكين العقاريين . ففى الاتحاد السوفييتى ، مثلا ، اممت كل الارض وسلم

قسمها الاكبر الى الفلاحين للانتفاع بها الى الابد وبدون مقابل . اما القسم الآخر فقد استخدمته الدولة من اجل تنظيم المؤسسات الزراعية التابعة للدولة (السوفخوزات) . وفى بلدان اخرى امم قسم من الارض ، اما القسم الآخر فقد جرى تمليكه للفلاحين .

ان التأميم ، وهو حتمى بالنسبة لجميع البلدان التى تشرع بسلوك طريق الاشتراكية ، يتحقق على نحو متمايز فى مختلف البلدان . ففى الاتحاد السوفييتى تم التأميم فى مهل قصيرة جدا : خلال بضعة اشهر فقط (كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٧ - حزيران (يونيو) ١٩١٨) . ولم تحظ الاشكال الانتقالية ، وخاصة رأسمالية الدولة ، بانتشار واسع نظرا لكون البرجوازية لم ترغب فى غرس هذه الاشكال وكانت تعرقل بشتى الطرق اجراءات السلطة السوفييتية . اما فى بلدان الديمقراطية الشعبية فقد استمرت عملية التأميم بضع سنوات . فقد جرت فى هذه البلدان قبل كل شىء ، مصادرة المؤسسات العائدة لاعوان المحتلين الفاشيين ، ثم اخذ التأميم يتناول تدريجيا المؤسسات الاخرى ايضا . وانتشرت هنا على نحو واسع مختلف اشكال رأسمالية الدولة ، وخاصة المؤسسات المختلطة . وفى عدد من البلدان دفعت تعويضات للملاكين السابقين عن مصادرة مؤسساتهم ، بينما لم تدفع اية تعويضات فى البلاد السوفييتية .

اشاعة التعاون فى الزراعة

ان انتصار الاشتراكية التام فى الاقتصاد الوطنى وانشاء الاقتصاد الاشتراكى يفترضان بالضرورة اجراء تحولات فى اقتصاد صغار الفلاحين المنتجين .

فبأية طريقة ، اذن ، يجرى تثبيت الملكية الاشتراكية فى القرية ، فى الزراعة ؟

قد يبدو للمرء ان الامر على ابسط ما يكون : مجرد الاقدام على تأميم الاستثمارات الصغيرة بجعلها ملكا للدولة . الا ان القيام بذلك لا يمكن السماح به بأى حال من الاحوال اذ ان الملاك الصغير ، الفلاح ، لا يعتبر مستثمرا رغم انه صاحب ملكية . انه شغيل كادح يكسب رزقه بعمله وعرق جبينه ، ولا يجوز ، بالطبع ، مصادرة ملكيته شأن ملكية الرأسمالية الكبير والملاك العقارى . بالاضافة الى ذلك ينبغى ان تؤخذ بالحسبان نفسية الفلاح الذى امتزج مع قطعة ارضه .

كما ان الفلاحين القليلى الاراضى والمحرومين منها والعمال الزراعيين انما يشاركون فى الثورة بنشاط على امل الحصول على الارض وان يصيروا اصحابا اكثر غنى ورفاها . والثورة المنتصرة لا يمكن ان تخيب آمالهم . وابان الثورة يجرى عادة تمليك قسم ملحوظ من اراضى كبار الملاكين السابقين (الملاكين العقاريين والرأسماليين) لاولئك الذين يعملون فيها ، اى للعمال الزراعيين والفقراء والفلاحين المتوسطى الحال ، فيحصل بنتيجة ذلك لا تكبير الاستثمارة بل على العكس زيادة تفتيتها . لذا فان عدد صغار المنتجين فى الزراعة لا ينقص بعد الثورة بل يزداد على العكس .

والطريقة الوحيدة الممكنة لتغيير وجه الريف على نحو اشتراكى فى هذه الظروف هى **اشاعة التعاون فى الزراعة . فالاستثمارات الصغيرة الخاصة فى الريف تتوحد طوعا فى استثمارات جماعية ضخمة تدعى تعاونيات .**

واهم ميزة من ميزات التعاونيات هى تعميم العمل ووسائل الانتاج الاساسية . ويمكن للتعاونيات ان تتخذ اشكالا مختلفة وفقا لدرجة تعميم العمل والادوات . وقد اعطت تجربة اشاعة التعاون فى الزراعة فى الاتحاد السوفييتى وسائر بلدان الاشتراكية ثلاثة اشكال اساسية للتعاونيات :

١- جمعية فلاحة الارض . وهذا يعتبر الشكل الاول ، الادنى ، للتعاونيات . فوسائل الانتاج والارض هنا لا يجرى تعميمها ، بل يعمم العمل وحده : يتوحد الفلاحون من اجل القيام بصورة مشتركة بهذه الاعمال الزراعية او تلك .

٢- تعاونية تعمم فيها وسائل الانتاج والعمل ، بينما تبقى الارض ملكا للفلاحين . وتوزع المداخيل طبقا لذلك : قسمها الاكبر يوزع حسب العمل ، والقسم الاصغر وفقا لمساحة الارض العائدة لعضو فى التعاونية .

٣- المزرعة التعاونية . هنا تعمم الارض والعمل ووسائل الانتاج ، بينما يعتبر التوزيع حسب العمل الشكل الاساسى للتوزيع . وهذا الشكل للتعاونية يطلق عليه فى الاتحاد السوفييتى اسم **كولخوز** (تعاونيات زراعية) .

وبنتيجة اشاعة التعاونيات تصفّى فى الزراعة تدريجيا الملكية الصغيرة الخاصة وتتطور الملكية الاشتراكية ، الاجتماعية . وهذه الملكية تشبه ، من حيث جوهرها ، الملكية الاشتراكية للدولة طالما انها تستبعد الاستثمار وتؤمن مبدأ التوزيع حسب العمل . الا ان الملكية التعاونية لا تعود للشعب بأسره ، كما هى الحال بالنسبة لملكية الدولة ، بل لفريق من الناس اعضاء التعاونية .

انها ملكية اشتراكية لجماعة من الناس .

وتعميم العمل ووسائل الانتاج فى ظل اشاعة التعاون لا يعنى القضاء على الاستثمارة الشخصية . اذ يبقى ملكا لعضو التعاونية البيت والادوات المنزلية وماشية اللحوم والحليب وبعض ادوات العمل التى تتيح لـه العمل فى استثمارته الشخصية الموضوعة تحت تصرفـه (او ملكيته) والملحقة ببيته .

وخطة اشاعة التعاون فى الزراعة فى الاتحاد السوفييتى طرحها لينين . ويعتبر المبدأ الاساسى لهذه الخطة مبدأ انضمام الفلاح بصورة طوعية الى التعاونيات . وكان لينين وحـزب الشيوعيين يعارضان غرس التعاونيات بالطريقة الادارية الاكراهية رغم رغبة الفلاحين ، وقد نوهامرارا بان اجتذاب الفلاحين الى التعاونيات ينبغى ان يجرى بطريقة الاقناع والتبيين الواضح لافضليات الاقتصاد التعاونى على الاقتصاد الصغير الخاص .

وتنص الخطة اللينينية لاشاعة التعاون الاشتراكية على الطابع التدريجى للتحولات الاشتراكية فى الريف ، والانتقال من الاشكال الدنيـا للتعاونيات الى الاشكال العليا منهـا ، وتطالب بان تؤخذ بالحسبان الظروف الملموسة (الجغرافية ، الاقتصادية ، القومية ، الخ) ، وتقضى لتطبيق الدائب لمبدأ الديمقراطيـة فى ادارة شؤون التعاونيات والجمع بين المصالح الشخصيـة والمصالح الاجتماعية .

وكان لينين يولى اهتمامـا خاصا لتقديم مساعدة للتعاونيات من جانب الدولة البروليتارية ، ولتوطيـد وتطوير تحالف الطبقة العاملة والفلاحين . والدولـة

البروليتارية ، بتقديمها المساعدة للتعاونيات فى التزود بالآلات الزراعية وفى استخدام منجزات العلم الزراعى ، وفى تنظيم معالجة الارض والرى وغيرها من الاجراءات ، وبتطويرها الشامل للتجارة الحكومية والتعاونية بين المدينة والقرية ، انما تساعد على انماء الانتاج الزراعى وتحسين معيشة الفلاحين . والفلاحون اذ يحسون بالمساعدة والمساندة اليومية من جانب الطبقة العاملة القابضة على زمام السلطة يغمرهم شعور من الاحترام العميق والثقة نحوها ويغدون مشاركين نشيطين فى بناء الاشتراكية .

وتحدث اشاعة التعاونيات تأثيرا طيبا للغاية على تطور الانتاج الزراعى . فهى تكبر الاستثمارة وتفسح فى المجال امام استخدام اكمل الآلات الزراعية ومنجزات العلم وتخلق الامكانية أمام الاستخدام الاكثر صوابا للقوة العاملة ووسائل الانتاج الموحدة . هذا ، بالاضافة الى ان الزراعة ، نتيجة لقيام الملكية الاشتراكية ، تغدو قابلة للادارة ايضا وتُجتذب الى دائرة التخطيط والتوجيه على نطاق الدولة بأسرها . اما القيام عن وعى بتوجيه الاستثمارات الصغيرة الفردية التى تتطور بصورة عفوية وتخطيط نشاطها فامر غير ممكن عمليا . ونتيجة لاشاعة التعاون يأخذ انتاج المنتجات الزراعية فى الازدياد . من ذلك على سبيل المثال انه اذا اخذنا المنتوج الزراعى الاجمالى فى روسيا عام ١٩١٣ كأساس مئوى ، فقد شكل هذا المنتوج فى عام ١٩٤٠ فى الاتحاد السوفييتى (بانتهاء عملية اقامة التعاونيات) ١٤١٪ . وفى الوقت نفسه انخفض الى حد كبير عدد السكان الريفيين بسبب نمو الصناعة نموا عاصفا .

وبالاضافة الى التعاونيات الزراعية (الكولخوزات) يجرى فى الريف تنظيم مؤسسات زراعية حكومية ضخمة : سوفخوزات ، وهى ملك للشعب بأسره .

وبتجميع الاستثمارات الفلاحية فى تعاونيات ، وبتنظيم السوفخوزات ينتهى التمايز (التقسيم) الاجتماعى للفلاحين الى فقراء ومتوسطين واغنياء (كولاك) ، ويقضى على امكانية وجود ، ناهيك عن انبعاث ، العناصر الرأسمالية الخاصة فى الريف : الكولاك ، والتجار الخاصين . اما الفلاحون فيتحولون من طبقة برجوازية صغيرة الى طبقة اشتراكية . وبهذا بالذات تقام وتتوطد الاشتراكية فى الريف ، فى الزراعة . ويكف الانتاج الاشتراكى عن البقاء بوصفه مجرد احد الانماط ويتحول ، من حيث الجوهر ، الى نظام اقتصادى اشتراكى موحد يشمل جميع الفروع ، ويتم تحقيق الانتصار الاقتصادى الناجز للاشتراكية .

واشكال التحولات الاشتراكية ليست مماثلة فى مختلف البلدان . ففى تشيكوسلوفاكيا ، مثلا ، نشأت اربعة اشكال للتعاونيات الزراعية يمتاز احدها عن الآخر بدرجة تعميم وسائل الانتاج والعمل . وفى كوبا ، حيث ينتشر بصورة واسعة للغاية انتاج قصب السكر وغيره من المزروعات فى المزارع ، جرى انشاء استثمارات حكومية ضخمة : المزارع الشعبية ، والتى تبلغ حصتها حاليا اكثر من ثلاثه ارباع محصول قصب السكر ، وكل انتاج المحاصيل المستخدمة فى الصناعة ، ونصف عدد رؤوس الابقار .

التصنيع الاشتراكى

يعتبر **التصنيع الاشتراكى ، اى انشاء صناعة ضخمة عصرية قائمة على احدث منجزات العلم والتكنيك** ، شرطا هاما للغاية واساسا لبناء الاشتراكية وخاصة فى البلدان ذات التطور الصناعى الضعيف او غير الكافى .

ويشكل التصنيع ، اى تطوير الصناعة الثقيلة ، اسّ اسس المجتمع الاشتراكى الذى يقام فى الفترة الانتقالية من الرأسمالية الى الاشتراكية . وقد كتب لينين يقول : «ان القاعدة المادية للاشتراكية لا يمكن ان تكون الا الصناعة الآلية الضخمة التى من شأنها ان تعيد ايضا تنظيم الزراعة» * .

ويؤمن التصنيع الاشتراكى تقدما علميا تكنيكيا متواصلا فى الاقتصاد وزيادة دائمة فى انتاجية العمل ورفع مستوى تجهيزه بالمعدات وتحسين ظروف النشاط العملى . وهو يضمن اعادة بناء جميع فروع الاقتصاد الوطنى على احدث اساس تكنيكى ، وتقدم العلم والتكنيك والثقافة ، وبلوغ استقلال البلاد الاقتصادى والسياسى وتوطيده وتعزيز قدرتها الدفاعية .

ويرتدى التصنيع اهمية **اجتماعية سياسية** كبيرة ايضا . فهو يوطد الملكية الاجتماعية فى المجال الحاسم من الاقتصاد ، ويؤمن ازاحة العناصر الرأسمالية فى المدينة وانتصار النمط الاشتراكى فى الصناعة . وبنمو الصناعة الضخمة تنمو الطبقة العاملة ويزداد دورها واهميتها فى الحياة الاجتماعية وتأثيرها على

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٤ ، ص ٩ .

الطبقات والفئات الاجتماعية الاخرى . وهذا يعنى انه بتطوير التصنيع تتوسع وتتوطد ليس فقط القاعدة الاقتصادية بل للدولة البروليتارية وقاعدتها السياسية ايضا وتترسخ مواقع القوى الاجتماعية الاشتراكية .

ومن الهام بمكان ان نشير الى ان التصنيع الاشتراكى واشكاله وطرائقه تمتاز جذريا عن التصنيع الرأسمالى . فالتصنيع الرأسمالى يتحقق على حساب استثمار الكادحين ونهب شعوب البلدان الاخرى الاقل تطورا ، او على حساب ابتزاز اتاوة حربية من الشعوب المهزومة . اما التصنيع الاشتراكى فيجرى بالدرجة الاولى على حساب التراكمات الداخلية الحاصلة بنتيجة رفع انتاجية العمل ، واتباع التخطيط فى الاقتصاد ، واشد اشكال التوفير صرامة ، والاستخدام الرشيد للمواد والايدى العاملة والموارد المالية .

واهداف التصنيع الاشتراكى مغايرة ايضا من حيث المبدأ . ففى حين ان هدف التصنيع الرأسمالى هو حصول الرأسماليين على اكثر ما يمكن من الارباح فان التصنيع الاشتراكى يخضع فى نهاية المطاف لهدف انسانى ، هدف خدمة الانسان الكادح وتلبية حاجاته ، هدف تطوير هذا الانسان من جميع النواحى .

وليس التصنيع بالقضية السهلة طبعا . فهو يتطلب جهود عمل ضخمة من جانب الشعب ومبالغ كبيرة ، وهو يرتبط فى احيان كثيرة بمصاعب وحرمانات معروفة . وكان الامر صعبا بوجه خاص بالنسبة للناس السوفييتيين الذين كانوا اول من شق الطريق نحو الاشتراكية امام البشرية . فلقد كانت البلاد متخلفة ومخربة بنتيجة الحرب العالمية الاولى والحرب الاهلية .

وكانت محاطـــة باعداء حاولوا بجميع الوسائل – من الحصار الاقتصادى حتى التدخل العسكرى – عرقلـــة البناء الاشتراكى . وكانت روسيا السوفييتية محرومة من امكانيـــة الحصول على قروض ، اذ ان الامبرياليين اعتادوا تقديم الاموال فقط كبديـل لفقدان الاستقلال السياسى ، الامر الذى لم يكن بوسع العمال والفلاحين ، بالطبع ، الموافقة عليه . فهم لم يطردوا رأسمالييهم كى يقعوا فى عبودية رأسماليين اجانب .

لم يكن ثمة سوى خيار واحد : اعتماد على النفس ، على ارادة وطاقة وعمل الشعب الثورى . لقد كان الناس السوفييتيون فى وضع صعب ، وترتب عليهم احيانـا ان يحرموا انفسهم من اشياء كثيرة ، الا انهم صمدوا ، وانشأوا صناعة ممتازة وما يزالون يطورونها ويتقنونها .

لقد غير التصنيع وجـــه البلاد السوفييتية بصورة جذرية . فقد انشئت من جديد فروع صناعية كاملة ، وغطت البلاد شبكة كثيفة من المصانـــع والمعامـــل والمحطات الكهربائية الضخمة . وتضاعف عموما الانتاج الصناعى الاجمالى ٧,٧ مرات عام ١٩٤٠ بالمقارنة مع عام ١٩١٣ ، وانتاج وسائل الانتاج ١٣,٤ مرة ، والطاقـة الكهربائية اكثر من ٢٤ مرة ، والصناعة الكيميائيـــة ١٦,٩ مرة ، وبناء المكائن ومعالجة المعادن ٢٩,٦ مرة . وبنتيجة التصنيع اصبحت البلاد ، التى كانت تستورد المكائن من الخارج ، تنتج بل وتصدر ماكنات ومعدات عصرية . واتاحت نجاحات التصنيع انشاء زراعة تعاونية ضخمة ، وتزويدها بالآلات الزراعية الحديثة ، ورفـع مستوى حياة الشعب ، وتعزيز دفاع البلاد .

واحرزت بلدان النظام الاشتراكى الاخرى كذلـك

نجاحات جدية فى طريق التصنيع . فقد اخذ الانتاج الصناعى ينمو فى هذه البلدان ، وتتطور بوجـــه خاص الفروع التى تشكـــل اساس الاقتصاد الوطنى وتؤمن التقدم التكنيكى (انتاج الطاقة الكهربائية ، بناء المكائن ، الانتاج الكيميائى ، وغيرها) وقد بلغت حصة هذه الفروع فى منتجات مجمل صناعة البلدان الاعضاء فى مجلس التعاون الاقتصادى ٤٥٪ عام ١٩٧٢ ، الامر الذى يطابق تقريبا مستوى اكثر الدول الرأسمالية تطورا .

وكانت ظروف بناء الاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى ، وخاصة واقع ان هذا البناء كان يجرى تحقيقه فى بلـــد واحد محاط بدول امبريالية معادية ، تتطلب من الناس السوفييتيين تسريع وتائر التصنيع وتطوير كافة فروع الصناعة الاساسية . والحال انه ، بالقضاء على التخلف وبانشاء صناعة حديثـــة وبتعزيز دفاع البلاد على هذا الاساس ، بذلك فقط كان يمكن الوقوف بوجه قوى الامبريالية العدوانية . وعطفا على ذلك ، كما سبـــق القول ، ترتـــب عـــلى الناس السوفييتيين ان يقاسوا مصاعب وحرمانات جدية . اما بلدان الديمقراطية الشعبية فى اوروبا الشرقية فقد خلصت من هذه المصاعب الى حد كبير . فلم يكن ثمة من ضرورة الى تسريع وتائر التصنيع وتطوير كافة فروع الصناعة اذ انه كانت لديها امكانية استخدام افضليات التوزيع الاشتراكى للعمل وتجربة الاتحاد السوفييتى ، والاعتماد على مساعدته وعلى مساعدة البلدان الاشتراكية الاخرى .

وعلى العموم ينبغى القول انه ليس الزاميا فى الظروف الراهنـــة ان يعمد كـــل بلد ، وبصورة اولى اذا كان صغيرا يسلك طريق الاشتراكيـــة ، يعمد الى انشاء

وتطوير مجموع الفروع الحديثة للصناعة . انه امر غير قابل للتحقيق وعديم الجدوى . فاليوم ، وقد تطور كثيرا تخصص الانتاج وتقسيمه ، وقد ولجت بلدان الاشتراكية طريق التكامل الاقتصادى ، اصبحت لدى كل بلد بمفرده امكانية تركيز اهتمامه على فروع معينة ، على تلك الفروع التى يملك الخامات الضرورية والملاكات ، الخ ، من اجل تطويرها . اما منتجات الفروع الاخرى فباستطاعته الحصول عليها من بلدان الاشتراكية الاخرى ، وبصورة جزئية من البلدان الرأسمالية ايضا .

ان مسألة التصنيع بالنسبة للبلدان المتطورة صناعيا ليست بنفس المقدار من الحدة كما هى الحال بالنسبة للبلدان الزراعية . بيد انه تمثل امامها ايضا فى المستقبل مهمة الاتقان اللاحق للصناعة وتطويرها على اساس احدث منجزات العلم والتكنيك .

٤ – اعادة تنظيم العلاقات القومية

تشكل **اعادة تنظيم العلاقات القومية اشتراكيا** ، على اساس مبادئ الاممية البروليتارية ، احدى اهم مهمات المرحلة الانتقالية . ويتسم حل هذه المهمة بمغزى خاص بالنسبة للبلد المتعدد القوميات حيث توجد ، الى جانب الامة السائدة ، امم خاضعة ، مضطهدة . وهكذا بالذات كان الحال فى روسيا القديمة التى كانت تقطنها عشرات من الشعوب الكبيرة والصغيرة .

ان المجتمع الرأسمالى ، القائم على الملكية الخاصة والاستثمار ، هو فى الوقت نفسه مجتمع القهر القومى

واستعباد امم لامم اخرى . وانطلاقا من ذلك فان مهمة الثورة الاشتراكيـــة لا تنحصر فى القضاء على القهـــر الاجتماعى ، الطبقى وحسب بل وعلى القهر القومى ايضا الذى يعتبر مرافقا دائما للقهر الطبقى . والاشتراكية ، بقضائها الى الابد على الاستثمار والتناحر الطبقى ، تضع حدا للاضطهاد القومى وللعداء القومى ، وتؤمن ازدهارا حقيقا وثقة متبادلة وتقاربا بين الشعوب .

وقـــد كتـــب ماركس وانجلس فى «بيـــان الحزب الشيوعى» : «بمقدار ما سيتم القضاء على استثمار فرد لآخر ، بنفس المقدار سيتم القضاء على استثمار امـــة لاخرى .

ومع انهيار تناحر الطبقات داخل الامم تنهار كذلك العلاقات العدائية بين الامم» * .

وقد صاغ لينين البرنامج الملموس لحل المسألـــة القومية ، برنامج ازدهار وتقارب الامم . اما المبادىء الاساسية لهذا البرنامج فهى : **اشاعة ديمقراطة كاملة فى الحياة الاجتماعية ، اقامة مساواة تامـــة فى الحقوق لجميع الاجناس والامم ، منح الامم حق تقرير المصير وصولا الى انشاء دول مستقلة ، التلاحم الامى للطبقة العاملة لجميع قوميات البلاد** . وساعد البرنامج القومى اللينينى ، المفعم **بالاحترام للشعوب** كبيرها وصغيرها وبالاهتمام العميق لاعز آمالها وامانيها ، على تلاحم عمال وفلاحى روسيا المتعددة القوميات فى تحالف لا ينفصم بقيادة الطبقة العاملة ، تحالف باعتباره احد اهم عوامل انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى .

---

* ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ٤ ، ص ٤٤٥ .

وقد نادى «بيان حقوق شعوب روسيا» الذى اقرته الحكومة السوفييتية (١٥ تشرين الثانى (نوفمبر) عام ١٩١٧) ، بتصفية الاضطهاد القومى واقامـــة المساواة السياسية والحقوقية للامم والاقوام العديدة فى البلاد . ولكن كان من المستحيل ان تقتصر مسألة تحرير الامم على تصفية الاضطهاد القومى واقامــة مساواة الامم فى الحقوق السياسية والقانونية . فقد كان الامر الرئيسى يكمن فى القضاء على تخلفها الاقتصادى والثقافى المزمن الذى ورثته عن روسيا الحكم المطلق . وقد حلت الدولة الاشتراكية السوفييتية هذه المهمة الصعبــــة بنجاح ايضا . فهى لم تكتف بمنح الامم المضطهدة سابقا الحق فى التطور المستقل بل وساعدتهـــا على ازالة التخلف وبلوغ ذرى شاهقة فى تطوير اقتصادها وثقافتهـــــا القومية .

بعد تعمير الاقتصاد الوطنى الذى خربتـــه الحرب الامبريالية والحرب الاهليـــة سلك الحزب الشيوعى والحكومة السوفييتية على الفور نهجا موجها نحو تصنيع الجمهوريات القومية . وبفضل العناية الدائمة من جانب الحزب والحكومة والمساعدة النزيهة من قبل الامــم الاخرى ، وبالدرجة الاولى الشعب الروسى ، نشأت فى الجمهوريات المتخلفة سابقا فروع صناعية جديدة وامنت وتائر تطور عالية لم يسبق لهـــا مثيل . كما تغيرت جذريا ايضا الزراعة فى الجمهوريات القومية . فقد غدت زراعة تعاونية مجهزة باحدث المعدات .

وعلى اساس تطور الاقتصاد نمـت فى الجمهوريات السوفييتية ملاكات وطنية كفوءة وفئــة مثقفين كبيرة العدد . وتم القضاء على التخلف الثقافى . وقامت شعوب

الاتحاد السوفييتي ليس فقط باعمق انقلاب في الحياة الاقتصادية بل وباعظم ثورة ثقافية ايضا .

وغدت كافة جمهوريات الاتحاد السوفييتي جمهوريات يحسن فيها الجميع القراءة والكتابة ، فقد انشئ فيها عدد كبير من المدارس ودور التعليم العالى ومؤسسات البحث العلمى والثقافة . وازدهرت فيها ثقافة جديدة ، اشتراكية المضمون وقومية الشكل .

وهكذا ، فان الاطراف القومية السابقة لدى روسيا قد تحولت اثناء بناء الاشتراكية من مناطق متخلفة اقتصاديا وثقافيا تزود روسيا القيصرية بالمنتجات الزراعية والمواد الخام الى دول اشتراكية متقدمة ذات سيادة تملك صناعة عالية التطور وزراعة عالية المردود وطبقة عاملة وفئة مثقفين خاصة بها . وتحولت الشعوب المتأخرة سابقا الى **امم اشتراكية** ، جديدة نوعيا ، توحدها جامعة المصالح الاقتصادية والسياسية والروحية فى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية . وقد ترسخت فى ايديولوجيا هذه الامم بشكل متين ايديولوجيا الاممية البروليتارية .

وبنتيجة انتصار الاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى نشأ **كيان تاريخى جديد من الناس : الشعب السوفييتى** . انه كيان قائم على التغيرات الموضوعية العميقة فى الانتاج وحياة البلاد الاجتماعية والروحية ، وعلى نشوء وتطور الامم الاشتراكية ، وعلى جامعة مصالحها الاقتصادية والسياسية ، وعلى الايديولوجيا الماركسية-اللينينية الواحدة .

ومما يزيد فى اهمية منجزات الاتحاد السوفييتى فى حل المسألة القومية ان العديد من الاقوام التى كانت تقطن

روسيا قد ولجت طريق التطور الاشتراكى متجاوزة مرحلة الرأسمالية . ففى غضون حياة جيل واحد استطاعت اجتياز الطريق من العلاقات الاقطاعية وحتى ما قبل الاقطاعية الى الاشتراكية .

ان الحل الناجح للمسألة القومية فى الاتحاد السوفييتى لصالح الشعوب – وهى احدى اكثر مسائل تطور البشرية تعقيدا وحدة – يشكل مظهرا ساطعا لانتصار افكار الاشتراكية العلمية ، افكار الاممية البروليتارية .

وقد دلت تجربة البناء القومى فى الاتحاد السوفييتى بصورة مقنعة على ان الثورة الاشتراكية وحدها تخلق الشروط من اجل القضاء التام على الاضطهاد القومى ، ومن اجل التوحيد الطوعى لشعوب حرة ومتساوية فى الحقوق فى دولة واحدة ، ومن اجل الازدهار الحقيقى للامم والتقريب فيما بينها . وتستخدم هذه التجربة حاليا وتغنيها دول النظام العالمى للاشتراكية التى تحل على اساسها المسألة القومية سواء داخل كل بلد بمفرده ام فى نطاق اسرة الامم الاشتراكية ككل .

وتتسم هذه التجربة الثمينة باهمية كبيرة كذلك سواء بالنسبة لشعوب الدول الوطنية الفتية ذات السيادة التى تحررت من النير الاستعمارى ، ام بالنسبة لتلك الشعوب التى تخوض النضال فى سبيل تحررها من الاستعمار . وتشكل نجاحات شعوب الاتحاد السوفييتى بالنسبة اليها مصدر الهام وقوة فى نضالها الشاق ضد الامبريالية والاستعمار . انها ترى فى حاضر الامم الاشتراكية مستقبلها هى .

٥ – الثورة الثقافية

الثورة الثقافية ، باعتبارها قانونا هاما من قوانين بناء الاشتراكية ، **ليست الا خلقا لثقافة جديدة ، بروليتارية من جيث جوهرها الطبقى ، اشتراكية ، محل الثقافة القديمة ، البرجوازية** . ولدى ذلك ، فان الطبقة العاملة المنتصرة ، بخلقها الثقافة الجديدة ، لا تتنكر للثقافة البرجوازية بشكل قاطع ، بل تتقبل افضل منجزاتها وتراجعها بصورة انتقادية ثم تضعها فى خدمة الشعب بأسره . فباستيعاب ارث الماضى الثقافى ومراجعته بعين ناقدة ، بذلك فقط يمكن خلق الثقافة الجديدة للاشتراكية .

فما الذى نعنيه بتقبل منجزات ثقافة الماضى ومراجعتها بصورة انتقادية ؟ ان ذلك يعنى ان المجتمع الجديد يضع فى خدمته منجزات الفكر العلمى والتكنيكى وتلك المؤلفات الادبية والفنية التى تتميز بروح تقاليد تحررية وديمقراطية وتعكس عمل الشعب ونضاله بشكل ماهر وبراعة فنية رفيعة ، وافضل نماذج اللغة الادبية والاشكال والاساليب الكلاسيكية لتصوير الواقع .

الا ان خلق ثقافة اشتراكية حقة لا يعنى مجرد اقتباس وتقليدا اعمى لمنجزات ثقافة الماضى ، بل يفترض انتقاء دقيقا لكل ما يخدم قضية الاشتراكية ، ونبذ مختلف انواع الآراء الرجعية ، والاستخدام الحاذق لتجربة الماضى فى الظروف الجديدة . فالناس السوفييتيون ، مثلا ، يمجدون اليوم ايضا الادب العبقرى لتولستوى ودوستويفسكى ويتعلمون لديهما معرفة الكتابة بمهارة عن هذه او تلك من نواحى الحياة

الاجتماعية ، والاستشفاف عميقا فى مكنونات النفس البشرية . الا انهم لا يستطيعون ان يتقبلوا روح التصوف واللاعقلانية لدى دوستويفسكى وتعاليم تولستوى حول عدم مواجهة الشر بالعنف .

والى جانب استيعاب ثقافة الماضى ومراجعتها بصورة انتقادية تفترض الثورة الثقافية استخدام تجربة ومعارف فئة المثقفين القدماء التى خدمت اكثريتها الساحقة الطبقات السائدة ، واعادة تربيتها واجتذابها الى المشاركة النشيطة فى البناء الاشتراكى . وتأخذ فى التكون **فئة مثقفين شعبية جديدة** يشكل جمهورها الاساسى العمال والفلاحون الذين تلقوا تعليمهم فى ظل السلطة الجديدة ، السوفييتية .

يؤلف **النهوض بالتعليم والتحصيل الشعبى** احدى اكبر مهام الثورة الثقافية . فالدولة البروليتارية تنشىء شبكة كثيفة من مدارس التعليم العام ودور التعليم الثانوى التخصصى والعالى ومختلف انواع المدارس المهنية-التكنيكية ، التى تفتح ابوابها على مصراعيها امام شغيلة المدينة والقرية .

ان الح مهمة لدى الثورة الثقافية هى **توطيد الايديولوجيا الاشتراكية ، الماركسية-اللينينية ،** وتنظيم مجمل حياة المجتمع الروحية على اساسها ، وتربية الناس وتحويلهم الى بناة نشيطين للاشتراكية ، وازالة النفسية والاخلاق الجشعة والامزجة والآراء البرجوازية الصغيرة من وعى الناس .

والثورة الثقافية ضرورية فى البلد المتطور ثقافيا والبلد المتخلف على حد سواء . فحتى فى البلد الرأسمالى الاكثر تطورا يعانى قسم كبير من السكان ، اى الشغيلة ،

كقاعدة عامة ، من عدم الحصول على امكانية التمتع بمنجزات الثقافة ، اما نصيبهم فهو العمل من اجل مصالح الطبقة السائدة . وتعمد الطبقة السائدة ، وهى تحتكر لنفسها ممارسة النشاط الثقافى والعمل الفكرى ، تعمد احيانا كثيرة الى حصر التطور الثقافى للكادحين بذلك الحد الادنى الذى يعتبر ضروريا للقيام بوظائف انتاجية معينة . اما بالنسبة للبلدان المتخلفة فضرورة الثورة الثقافية تتجلى فيها بوضوح اكثر . يضاف الى ذلك انه فى جميع البلدان بلا استثناء تمثل مهمة تأمين انتصار الايديولوجيا الاشتراكية على الايديولوجيا البرجوازية ، مهمة التربية الشيوعية للكادحين .

ولا يجوز تصور الثورة الثقافية على انها عمل ما مفاجىء ، دفعة واحدة ، سريع الجريان . انه عملية تدريجية تتطلب حقبة من الزمن تتراوح فى امتدادها ، وعملا متعبا ومثابرا ، وتنظيما بارعا . ويستحيل حل مسائل التحويل الثقافى للمجتمع بمجرد اصدار مراسيم ، بجرّة قلم بسيطة . فمن المهم بمكان هنا ان تدرك الجماهير الشعبية ضرورة النمو الثقافى ، وان يستخدم طموحها الى المعارف والثقافة على اكمل وجه وبالاتجاه المطلوب . ومن اجل خلق ثقافة اشتراكية جديدة لا بد كذلك من وجود قاعدة مادية متينة . وتنشأ هذه القاعدة ابان التحويل الاشتراكى للاقتصاد ، ابان التأميم والتصنيع واقامة التعاونيات .

ان الدولة البروليتارية تؤمم وتضع تحت تصرف الشعب بأسره كافة مؤسسات الثقافة ، جميع وسائل التأثير الروحى على الناس : المسارح ، المتاحف ، دور

السينما ، الاذاعة ، الصحافة ، الخ ، وتبنى ايضا مؤسسات ثقافية جديدة . وهى تأخذ فى يديها قضية تعليم وتربية الشغيلة ، وتعيد تنظيم دور التعليم العام والتخصصى (الثانوية والعليا) بصورة جذرية لما فيه مصلحة الشعب . وبهذا بالذات تنفتح امام فئات واسعة من الشغيلة امكانيات لم يسبق لها مثيل من اجل رفع مستواهم التعليمى العام والتخصصى .

لقد كان منظّرو الاممية الثانية الانتهازيون ، يؤكدون فى حينهم انه بدون بلوغ مستوى ثقافى معين ، وبدون وجود عدد كاف من المثقفين والملاكات الثقافية لا يجوز للطبقة العاملة ان تستولى على الحكم ، وذلك لان الجماهير الشعبية «غير المثقفة» ليس بمقدورها ، كما يزعمون ، ادارة الدولة وتأمين انجاز بناء المجتمع الاشتراكى .

وقد اشار لينين ، فى سياق فضحه للانتهازيين ، الى انه يجب على البروليتاريا ، اذا كانت المقدمات الضرورية قد نضجت لذلك ، ان تستولى على السلطة دون تباطؤ ، ثم ان تعمل فيما بعد بدون كلل على رفع مستوى الشغيلة الثقافى ، خاصة وان دكتاتورية البروليتاريا تخلق من اجل ذلك اكثر الظروف مؤاتاة .

وهكذا بالضبط تصرف العمال ، هكذا تصرفت الجماهير الكادحة فى روسيا وعدد من البلدان الاخرى . فلم يأخذوا ينتظرون حتى يرتفع مستوى الشعب الثقافى الى المستوى اللازم ، من وجهة نظر الانتهازيين ، للاستيلاء على السلطة .

فقد استولت الطبقة العاملة المتحالفة مع الجماهير الكادحة فى روسيا على السلطة فى بلد متأخر ثقافيا ،

فى بلد كانت اغلبية سكانه من الاميين والتعليم والتحصيل فى انحطاط عميق . ومباشرة بعد الاستيلاء على السلطة عملت الطبقة العاملة كل ما بوسعها من اجل القضاء بأقصر مهلة على التخلف الثقافى فى البلاد ورفع المستوى الثقافى لدى الشعب . وحتى عام ١٩٣٧ ، اى حتى زمن انتهاء المرحلة الانتقالية ، تمت فى الاتحاد السوفييتى تصفية الامية فى الاساس . وغُطيت البلاد بشبكة كثيفة من المدارس ، ودور التعليم التخصصى الثانوى والعالى ، والمكتبات العامة ، وقاعات المطالعة ، والمتاحف ، والمسارح ، والنوادى وغيرها من المؤسسات الثقافية . ويكفى القول ان عدد التلامذة فى مدارس التعليم العام وحده تضاعف خلال هذه الفترة ٣,٥ مرة تقريبا . وقد عملت الدولة البروليتارية الكثير بوجه خاص من اجل تعليم شعوب الاطراف القومية المتخلفة فى روسيا .

واحرزت سائر البلدان الاشتراكية ايضا نجاحات جدية فى تحقيق الثورة الثقافية .

من الامثلة على ذلك : فى حين كانت نسبة الامية سابقا فى بولونيا ٢٣٪ ، وفى رومانيا ٤٣٪ ، وفى بلغاريا ٢٧٪ ، الخ ، فقد تم محو الامية تقريبا فى الوقت الحاضر فى جميع بلدان الاشتراكية ، علما بان ذلك قد تم فى مهل قصيرة للغاية : خلال سنتين – الى ثلاث سنوات فقط لا غير . وقد تم هنا عمل الكثير من اجل اجتذاب ملايين الكادحين الى التمتع بمنجزات الثقافة ، وانشئ نظام للتعليم العام والتخصصى مفتوح امام الجميع ، وجرى تأمين انتصار الايديولوجيا الاشتراكية العلمية ، وتكونت فئة مثقفين شعبية حقا .

وهكذا ، فان الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية يتحقق على اساس القوانين العامة التى تتجلى على نحو خاص فى مختلف البلدان . ان التقيد الصارم بمتطلبات القوانين العامة ، وحسن استخدامها مع الاخذ بالحسبان الظروف التاريخية الملموسة لتطور هذا البلـــد او ذاك ، هما الممهدة التى لا غنى عنها من اجل نجاحات البناء الاشتراكى .

الفصل الرابع

الاشتراكية ـ الطور الاول للمجتمـــع الشيوعـــى

بانتهاء المرحلة الانتقالية تبدأ الاشتراكية ، الطور الاول للمجتمع الشيوعى .

فما هى ، اذن ، العلائم الاساسية للاشتراكية ؟

انها ، فى الميدان **الاقتصادى** ، الانتاج المتطـــور الحديث ، القائم على الملكية الاجتماعية ، الاشتراكيـة لوسائل الانتاج الاساسية ويستخدم التكنيـك الآلى ، والممكنن بصورة واسعة وتجرى اتمتته تدريجيا ؛ وهو يتطور وفق خطـــة ممركزة واحـــدة . واثناء الانتاج والنشاط العملى تنشـــأ بين الناس علاقات التعاون والمساعدة المتبادلة . ويتحقق توزيع اسباب العيش وفقا لكمية العمل ونوعيته .

وهى ، فى الميدان **الاجتماعـــى- السياسى** ، انعدام الطبقات المستثمِرة واستثمار الانســـان للانســـان

والظلم القومى وغيره من اشكال الاضطهاد الاجتماعى ؛ ووحدة المصالح الاساسية للطبقة العاملة والفلاحين والمثقفين ومختلف الامم والفئات الاجتماعية ؛ وارتقاء دولة دكتاتورية البروليتاريا الى دولة الشعب بأسره مع بقاء الدور القيادى بيد الطبقة العاملة ، وتحول الديمقراطية البروليتارية ، الديمقراطية من اجل الاكثرية ، الى الديمقراطية التامة ، الديمقراطية من اجل الجميع ؛ وبقاء وتعاظم دور الحزب الشيوعى القيادى فى المجتمع .

وهى ، فى الميدان **الثقافى** ، انتصار الايديولوجيا الاشتراكية العلمية والثقافة الاشتراكية وفتح المجال واسعا امام الجماهير الشعبية نحو منجزاتها ، واجتذاب الجماهير الى مختلف انواع الابداع الفكرى .

ان بلدان الاسرة الاشتراكية تسير بخطى واثقة فى طريق الاشتراكية والشيوعية . فمنها من ينشئ اسس المجتمع الاشتراكى ، اقتصاده وثقافته ؛ ومنها من يعمل على انجاز بناء الاشتراكية الناضجة . اما فيما يخص الاتحاد السوفييتى فهو يقوم ، بعد انجازه بناء الاشتراكية لاول مرة فى العالم ، تحقيق الانتقال التدريجى الى الطور الاعلى للمجتمع الجديد : الشيوعية . ومن الطبيعى ان نتوجه لدى الحديث عن الاشتراكية وعن عملية البناء الشيوعى سواء بسواء ، الى تجربة البلاد السوفييتية بالدرجة الاولى ، الى منجزاتها وقضاياها . خاصة وانه قد اخذ يسير فى الطريق التى اجتازها الاتحاد السوفييتى العديد من البلدان فى الوقت الحاضر ، وعاجلا ام آجلا ستسلك هذه الطريق جميع الشعوب والدول الاخرى ايضا .

وبما ان الاشتراكية والشيوعية طوران لمجتمع واحد ، المجتمع الشيوعى ، فان اشياء مشتركة كثيرة تقوم بينهما . فهما تستندان الى قاعدة مادية تكنيكية عالية التطور ، واساسهما الاقتصادى الثابت هو الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج وانعدام استثمار الانسان للانسان .

وطالما ان الملكية الخاصة والطبقات المستثمِرة واضطهاد الانسان للانسان لا وجود لها فى ظل الاشتراكية وفى ظل الشيوعية على حد سواء فان العلاقات الانتاجية هنا وهناك هى علاقات التعاون الاخوى والمساعدة المتبادلة .

وفى ظل الاشتراكية والشيوعية على السواء يفعل قانون التطوير المبرمج المتناسب للاقتصاد الوطنى . وهدف الانتاج الاجتماعى - اى تلبية حاجات الشغيلة المادية والروحية بصورة متزايدة الكمال - ووسيلة بلوغ هذا الهدف - اى تطوير واستكمال الانتاج باستمرار على اساس احدث منجزات التكنيك بالنسبة للاشتراكية والشيوعية - هما ايضا مماثلان .

وتتصف الاشتراكية والشيوعية على حد سواء بعلاقات الصداقة والتعاون بين الشعوب ، اما الحفاظ على السلام وتوطيده فيعتبران اساس العلاقات بين شعوب البلدان كبيرها وصغيرها ؛ ويتمتع كافة اعضاء المجتمع فى ظل الاشتراكية وفى ظل الشيوعية بحق متكافئ فى العمل حسب قدرتهم ؛ وفى كلا المرحلتين تقوم وحدة الشخصية والمجتمع ، وتسود ايديولوجيا واحدة ، شيوعية .

وكان مؤسسو الماركسية-اللينينية ، انطلاقا من

جامعة السمات الجذرية للاشتراكية والشيوعية ، يعتبرونهما مجرد **طورين (مرحلتى تطور) متمايزين لمجتمع واحد هو المجتمع الشيوعى** . وقد كتب لينين حول الاشتراكية يقول : «فبمقدار ما تصبح وسائل الانتاج ملكا **عاما** يمكن تطبيق كلمة «الشيوعية» على هذا الطور ايضا ، شريطة الا ينسى المرء ان هذه **ليست** بالشيوعية الكاملة» * .

وتعتبر الاشتراكية شيوعية ناقصة غير متطورة لانها تنشأ من الرأسمالية مباشرة ، وتبنى على الاسس المادية الموروثة عن الرأسمالية ، وتحافظ ، وهذا امر طبيعى تماما ، على آثار هذا المجتمع القديم و«شوائبه» . من ذلك ، مثلا ، بقايا التقسيم السابق للعمل ، وانعدام التكافؤ الاقتصادى التام ، ومخلفات الماضى فى عقلية وسلوك الناس ، الخ .

لننتقل الآن الى معالجة خصائص المجتمع الاشتراكى . ولنبدأ بتنظيمه الاقتصادى .

١ – اقتصاد الاشتراكية

تشكل اساس اقتصاد الاشتراكية **الملكية الاشتراكية الاجتماعية** التى تطابق الطابع الاجتماعى للانتاج . والملكية الاجتماعية فى الاتحاد السوفييتى وغالبية البلدان الاشتراكية الاخرى تتواجد فى شكلين : ملكية الشعب بأسره والملكية التعاونية . تتكون الاولى بنتيجة التأميم الاشتراكى وتعود للشعب بأسره ،

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٣ ، ص ٩٨ .

والثانية بنتيجة اشاعة التعاون فى الانتاج وتعود لفريق ، لجماعة من الناس يشكلون هذه التعاونية او تلك . وتشغل ملكية الشعب بأسره وضعا قياديا فى الاقتصاد الاشتراكى ، ذلك لانها ، اولا ، تشمل فروع الاقتصاد الحاسمة (الصناعة الثقيلة ، منشآت انتاج الطاقة ، النقل ، الخ) ، وثانيا ، تتفوق على الملكية التعاونية من حيث درجة التطور وتعميم وسائل الانتاج .

وطبقا لشكلى الملكية الاجتماعية يوجد نوعان من الاقتصاديات الاشتراكية : المؤسسات الانتاجية الحكومية (المصانع ، المعامل ، السوفخوزات ، الخ .) ، والتعاونيات (المزارع التعاونية للفلاحين ، وتعاونيات الحرفيين والصناع) . ونوعا الاقتصاديات هذان ، شأن الاقتصاديات داخل كل نوع ، مترابطان فيما بينهما اقتصاديا بواسطة العلاقات البضاعية-النقدية الملازمة بالضرورة للمجتمع الاشتراكى .

والملكية الاجتماعية فى ظل الاشتراكية تزيل تقسيم الناس الى سائدين وخاضعين ، ولا تدع مجالا لاستثمار الانسان للانسان ، وتقيم **العلاقات الانتاجية للتعاون الودى والمساعدة المتبادلة بين الشغيلة** .

ومن سيادة الملكية الاشتراكية ، ومن كون وسائل الانتاج ، ومنتجاته بالتالى ، وجميع القيم المادية والروحية هى ملك للشعب ، ينبع هدف فى غاية الانسانية للانتاج الاشتراكى : **التلبية المتزايدة كمالا باطراد لحاجات الشغيلة المادية والروحية المتنامية باستمرار** . وهذا الهدف يناقض جذريا هدف الانتاج الرأسمالى الذى تكمن غايته فى ابتزاز اقصى الارباح . ففى حين انه لا فرق لدى الرأسمالية مبدئيا فى ما الذى

تنتجه ، سواء اكان قنبلة ذرية ام منتجات غذائية ، طالما ان ذلك يوفر ارباحا عالية ، فان الانتاج الاشتراكى يتحقق لا من اجل اغناء حفنة من المميزين بل من اجل تلبية حاجات الناس .

لقد مر على السلطة السوفييتية فى الاتحاد السوفييتى مايزيد على نصف قرن فقط ، ولكن كم هو كبير ما فعلته من اجل الشعب ، من اجل الناس الكادحين البسطاء ! يكفى القول ان المداخيل الفعلية لعمال الصناعة والبناء فى عام ١٩٧٣ بالمقارنة مع ١٩١٣ ، ومع الاخذ بالحسبان تصفية البطالة وتقليص دوام يوم العمل ، قد تضاعفت فى المعدل بالنسبة للشغيل الواحد ٨,٨ مرة ، والمداخيل الفعيلة للفلاح تضاعفت ١٣ مرة فى نفس الفترة . ويجرى فى البلاد بناء سكنى هائل . ففى عام واحد فقط ، عام ١٩٧٤ ، تم بناء ٢٢٣١ الف شقة جديدة مجهزة بجميع اسباب الراحة انتقل اليها ملايين من الناس .

وعلى اساس الملكية الاشتراكية والمستوى الحاصل فى تطور الانتاج تأكد المبدأ الاشتراكى للتوزيع : «من كل حسب قدرته ولكل حسب عمله» . «من لا يعمل (اذا كان بالطبع قادرا على العمل) لا يأكل» — ذلك هو القانون المبرم للاشتراكية .

ان جميع اعضاء المجتمع القادرين على العمل ملزمون بان يشتغلوا ويتمتعون بحقوق متساوية فى ان يتلقوا من المجتمع وفق كمية ونوعية العمل المبذول . والملكية الاجتماعية ، والمبدأ الاشتراكى للتوزيع النابع من هذه الملكية ، يزيلان الواقع الملازم لكافة المجتمعات القائمة على الاستثمار ، عنينا بذلك تقسيم

الناس الى اقلية : المستثمرين المعفيين من العمل لكنهم يتمتعون بجميع خيرات الحياة ، واكثرية هائلة . الكادحين ، الذين نصيبهم هو العمل ، الذى نادرا ما يستطيع تأمين تلبية اكثر الحاجات مساسا لديهم .

ومبدأ التوزيع حسب العمل هو مبدأ طبيعى ، ضرورى بالنسبة للاشتراكية . فهو يؤمن المصلحة المادية الشخصية لدى الشغيل فى نتائج عمله ، والتى تعتبر اهم حافز للانتاج الاشتراكى . وفى ظل الاشتراكية من يعمل اكثر وبصورة افضل يتقاضى اكثر . وهذا النظام فى دفع الاجور يخلق مصلحة مادية لدى الشغيل فى ان يرفع كفاءته ، وان يشارك مشاركة نشيطة فى الانتاج ، وان يزيد كمية المنتجات ويحسن نوعيتها .

وعلى الرغم من ان جميع اعضاء المجتمع فى ظل الاشتراكية يتحملون واجبا متساويا فى ان يشتغلوا ويتمتعون بحق متساو فى التلقى حسب العمل المبذول ، فان المجتمع الاشتراكى لا يؤمن بعد المساواة الاقتصادية التامة للناس .

ففى ظروف الاشتراكية يحصل كل منتج بمفرده من المجتمع بالقدر الذى يقدمه هو له مع اقتطاع تلك الحصة التى تحسم الى الصندوق الاجتماعى . ولم يبق هنا من وجود للامساواة الطبقية ، الا ان ثمة عدم مساواة ما تزال قائمة فى حصة المنتجات التى يتلقاها كل فرد بمفرده من افراد المجتمع لدى التوزيع . ومن السهل على المرء ان يرى ان مبدأ الدفع المتساوى للعمل المتساوى فى ظل الاشتراكية هو استخدام مقياس مماثل بالنسبة لمختلف الناس . وبما ان

الناس يملكون كفاءة مختلفة وموهبة غير متساوية وتركيبا مختلفا لافراد العائلة فهم يتقاضون مداخيل غير متساوية فعليا لدى الدفع لقاء العمل . وهذا امر لا مفر منه فى الطور الاول من المجتمع الجديد : ففى هذه المرحلة لا يكون المجتمع قد بلغ بعد الوفرة التامة من سلع الاستهلاك ، ولا يملك جميع افراده بعد ما فيه الكفاية من الوعى الرفيع . ان جعل اجور جميع الشغيلة على مستوى واحد فى ظل الاشتراكية امر مستحيل ، ومن شأن ذلك ، لو حصل ، انتهاك مبدأ التوزيع الاشتراكى واضعاف الحوافز المادية ازاء العمل .

ويكون من الخطأ بالطبع الاعتقاد بان التنظيم الاقتصادى للمجتمع الاشتراكى هو تنظيم مثالى ، وبان اقامة هذا التنظيم وتطوره يجريان بدون تعقيدات وصعوبات . ففى تطور الاقتصاد الاشتراكى عدد غير قليل من الصعوبات والتناقضات ذات الطابع الموضوعى بالدرجة الاولى . ولا يجوز ان ننسى ان بناء المجتمع الجديد فى الاتحاد السوفييتى (وكذلك فى اكثرية البلدان الاشتراكية الاخرى) قد بدأ فى ظروف مستوى منخفض لتطور الانتاج ، وان شعوب البلاد السوفييتية قد بذلت كثيرا من الجهود والوقت فى النضال المسلح ضد الاعداء الداخليين والخارجيين ، ومن اجل تعمير الاقتصاد الذى خربته الحروب . ولا يجوز ان نُسقط من الحساب النقص فى الموارد المادية والمالية والملاكات الكفوءة ، وانعدام تجربة بناء مجتمع جديد . كما حصلت اخطاء واغلاط جدية لها طابع ذاتى ايضا .

يقال ان الحقيقة تُدرك بالمقارنة ، وهذا امر صحيح

بصورة عامة . ولكن المصيبة انه ، لدى المقارنة احيانا بين مستوى تطور اقتصاد الاشتراكية واقتصاد الرأسمالية ، بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الاميركية مثلا ، لا يعار الاهتمام الا للارقام فقط . انه لامر طبيعى ان يكون مستوى تطور الانتاج وانتاجية العمل ومستوى معيشة فئة معينة من شغيلة الولايات المتحدة الاميركية اعلى مما هى عليه فى الاتحاد السوفييتى ؛ والحال ان الولايات المتحدة الاميركية قد تطورت دون عوائق طوال قرنين تقريبا لم تطأ خلالهما قدم جندى معاد واحد ارض اميركا الشمالية ولم تتهدم اية منشأة هنا بقنبلة او قذيفة معادية . زد على ذلك ان الرأسماليين الاميركيين كانوا يثرون من الحرب وكانت دماء اناس العمل البسطاء تتحول الى سيول ذهبية تصب فى خزائن اسياد الولايات المتحدة الاميركية .

لذا ، فلدى مقارنة اقتصاد الاشتراكية واقتصاد الرأسمالية لايجوز عدم الاخذ بالحسبان ما يلى : باى شىء بدأت الاشتراكية ، وفى اية ظروف جرى بناؤها ، وكم من الوقت مضى على وجودها ، وما هى آفاق تطورها . فاذا اخذ كل ذلك بعين الاعتبار عندها تصبح المقارنة فى غير صالح الرأسمالية على الاطلاق .

ففى حين انه كان ينتج عام ١٩١٣ فى اراضى الامبراطورية الروسية ١٢,٥٪ فقط من النتاج الصناعى للولايات المتحدة الاميركية ، فقد بلغت هذه النسبة فى الاتحاد السوفييتى ٧٥٪ فى عام ١٩٧٣ . وفى حين ان انتاجية العمل فى الصناعة عام ١٩١٣ كانت تشكل ١١٪ تقريبا بالمقارنة مع ما كانت عليه فى الولايات

المتحدة فقد وصلت عام ١٩٧٣ الى حوالى ٥٤٪ . وفى حين ان الدخل القومى للاتحاد السوفييتى عام ١٩٥٠ كان يشكل ٣١٪ من الدخل القومى للولايات المتحدة فقد وصل عام ١٩٧٣ الى اكثر من ٦٦٪ . ومن عام ١٩٥١ حتى عام ١٩٧٣ بلغ المعدل السنوى لوتائر نمو الانتاج الصناعى فى الولايات المتحدة ٤,٦٪ ، اما فى الاتحاد السوفييتى فقد بلغ ٩,٧٪ ، علما بان هذا النجاح الضخم قد تم احرازه فى غضون ما يزيد قليلا عن ٣٠ عاما فقط من البناء السلمى !

ان الاتحاد السوفييتى ، الذى كان فى السابق بلدا متخلفا زراعيا فى الاساس ، قد غدا تحت راية الاشتراكية ثانى دولة صناعية فى العالم ، وبلدا ذا مستوى رفيع فى العلم والتكنيك والثقافة ، وبلد اكثر العلاقات الاجتماعية طليعية . وليس من وليد الصدف على الاطلاق ان يكون اول بلد اشتراكى فى العالم من يطلق قمرا صناعيا تابعا للارض ، وسفينة فضائية تحمل انسانا ، وسبوتنيكا صناعيا تابعا للقمر .

التطور المخطط قانون الاشتراكية

خلافا للرأسمالية ، ليس بوسع الاشتراكية ، التى يخلقها الشعب وتبنى من اجل الشعب لصالح ومن اجل اهداف جميع اعضاء المجتمع ، ان تتطور فى ظل سيادة فوضى السوق . فالملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج توحد جميع المنتجين فى اقتصاد واحد لا يستطيع ان يتطور الا تحت قيادة واعية مخططة من جانب المجتمع باسره بشخص الدولة . **ان التطور المخطط المتناسب**

للاقتصاد هو ضرورة موضوعيـــة وقانـــون تطور للاشتراكية .

فالملكية الاجتماعيـــة ووحـــدة مصالح واهداف المنتجين فى ظل الاشتراكية تتيحان الامكانية ليس فقط من اجل التنبؤ بكيفية سير الانتاج والتجارة والاستهلاك فى المستقبل القريب بل وتوجيه تطور مجمل الاقتصاد الوطنى وفقا للهدف المرسوم .

ابان بناء الاشتراكية يحل الانتاج الاجتماعى ، المنظم وفق خطة محسوبة من اجل تلبية حاجات المجتمع ككل وكل فرد من افراده على السواء ، محل سيادة فوضى السوق الملازمة للانتاج الرأسمالى . وتخلق منهاجية تطور الاقتصاد الوطنى امكانية ادارة الاقتصاد بصورة فعالة على نطاق المجتمع بأسره ، ووضـــع النسب الضرورية ، وتوزيع القوى المنتجة بصورة رشيدة ، وتأمين التوفير بالموارد المادية والبشرية والمالية .

ويستند تسيير الاقتصاد على اساس التخطيط الى حساب اكثر دقة ممكنة للموجود من الموارد الماديـة والبشرية وغيرها من موارد النمو الاقتصادى . وهدف الخطة الاشتراكية هو تطوير الحياة الاقتصادية وفقا للمهمات الجذرية لبناء المجتمع الجديد . ويتســـم التخطيط الاشتراكى **بطابع تحويلى نشيط** .

واجراء التخطيط الاشتراكى عملية تدريجية ، طويلة الامد ، تتحقـــق بمقدار نمو النموذج الاشتراكى فى الاقتصاد ، وبمقدار حلول الملكية الاجتماعية محـــل الملكية الخاصة . والشرط الضرورى لاجراء التخطيط الاشتراكى هو امتلاك الدولة للهيئات القياديـــــة فى الاقتصاد الوطنى : الصناعة الضخمة ، ووسائل النقل

والاتصال ، والشؤون المصرفية ، والتجارة الخارجية . وتنشأ هذه الظروف فى المرحلة الانتقالية نتيجة للتأميم وتطوير الصناعة الاشتراكية واشاعة التعاون فى الزراعة اللاحقين . وبمقدار نمو واتساع الملكية الاشتراكية تتسع دائرة التخطيط ، وبانتصار الاشتراكية يشمل التخطيط الاقتصاد بأسره ، الاقتصاد الوطنى ككل . وتغدو الخطة الحكومية الواحدة الانطلاقة الموجهة فى تطوير الاقتصاد الوطنى . وتكف السوق ، بما فيها من فوضى اقامة العرض والطلب على البضائع والتلاعب الحر بالاسعار والتنافس بين التجار والمشترين ، تكف عن ان تكون المنظم الرئيسى لتطور الاقتصاد الوطنى .

٢ – التركيب الطبقى والتنظيم السياسى للمجتمع الاشتراكى

التركيب الطبقى

مع انجاز بناء الاشتراكية يتعرض التركيب الطبقى للمجتمع لتغيرات جدية . ففى المدينة وفى القرية على السواء تتم تصفية الطبقات المستثمرة : الرأسماليين ، الملاكين العقاريين ، كبار التجار ، الكولاك (برجوازية الريف) .

فى ظروف الرأسمالية يقوم تضاد بين المدينة والقرية لكون برجوازية المدينة تستثمر الفلاحين الكادحين بالاشتراك مع برجوازية الريف . اما الاشتراكية فتقضى على التضاد بين المدينة والقرية اذ

ان كادحى المدينة والقرية ، وقد تحرروا من الاستثمار ، يعملون من اجل انفسهم ، من اجل مجتمعهم ، ويتمتعون بحق متساو فى ان يتقاضوا لقاء عملهم حسب كميته ونوعيته .

وفى ظروف الرأسمالية يقوم تضاد بين اناس العمل الجسدى والعمل الفكرى . فالطبقات السائدة ، باحتكارها ممارسة العمل الفكرى ، وضعت العقل فى خدمة مصالحها المغرضة واستقطار العرق فى اجبنة اناس العمل الجسدى – العمال والفلاحين . ويخدم اناس العمل الفكرى ، المثقفون ، فى اكثريتهم الساحقة ، فى ظل الرأسمالية مصالح الطبقات المستثمرة . وتقضى الاشتراكية على التضاد بين اناس العمل الفكرى والعمل الجسدى لان فئة المثقفين الشعبيين يعملون يدا بيد مع العمال والفلاحين لصالح قضية الاشتراكية العامة .

ففى الاتحاد السوفييتى ، مثلا ، تم القضاء نهائيا على الطبقات المستثمرة الى عام ١٩٣٧ حين اصبحت الاشتراكية مبنية من حيث الاساس فى البلاد : فى ذلك الحين كان ٣٦,٢٪ من السكان عمالا ومستخدمين ، و٥٧,٩٪ كولخوزيين وحرفيين تعاونيين ، و٥,٩٪ فلاحين منفردين وحرفيين غير تعاونيين . والى عام ١٩٦٣ هبط عدد هؤلاء الاخيرين بنسبة ٠,١٪ فقط . وهكذا لم يبق فى الاتحاد السوفييتى سوى طبقتين صديقتين : **الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين الكولخوزين**، وكذلك **فئة المثقفين الكادحين** ، وقد تغيرت كلها تغيرا جذريا فى غضون سنوات السلطة السوفييتية .

وصفَيت او اصبحت على وشك التصفية ، الطبقات المستثمرة فى بلدان اشتراكية اخرى . وما يزال يوجد

فى بعضها عدد معين من صغار الملاكين الخاصين : فلاحين ، تجار صغار ، حرفيين . بيد انه لا يجوز اعتبارهم من المستثمرين ، ذلك لانهم رغم امتلاكهم لوسائل انتاج معينة ، يعملون بانفسهم دون استئجار يد عاملة ودون استثمارها .

ولا تكتفى الاشتراكية بتصفية الطبقات المستثمرة بل وتغير الطبقات الكادحة تغييرا عميقا وتعيد تكوينها .

فالطبقة العاملة لم تعد تلك البروليتاريا السابقة التى تعانى من الاستثمار والاجحاف فى ظل الرأسمالية . فهى تملك مع شعبها وسائل الانتاج ، وهى السيدة الحقيقية لبلادها . ونتيجة لنمو الصناعة ازداد عدد افراد الطبقة العاملة . ففى الاتحاد السوفييتى ، مثلا ، تشكل الطبقة العاملة فى الوقت الحاضر اكثر من نصف عدد كافة الشغيلة . وارتفعت الكفاءة الانتاجية لدى العمال ومستواهم التكنيكى والثقافى ، وتغير محتوى وطابع عملهم . وحوالى نصف العمال السوفييتيين حاصلون على تعليم ثانوى كامل او غير كامل . ونمت انتاجية العمل ، وازداد نشاط العمال الاجتماعى ، واتسعت متطلباتهم الثقافية . واخذ عمل العامل الكفوء ، الذى يدير عمليات آلية وتكنولوجية معقدة ، يقترب ، من حيث محتواه ، من عمل التكنيكى والمهندس .

وغيرت اشاعة التعاون فى الزراعة والثورة الثقافية وجه **الطبقة الفلاحية** بصورة جذرية ايضا . فقد تحولت هذه الطبقة من طبقة مشتتة ، مظلومة ، مستثمرة من جانب الملاكين العقاريين والكولاك ، الى طبقة حرة حقا

وحليف امين للطبقة العاملة وقوة اجتماعية نشيطة .

وقضى عمل الفلاحين المشترك لما فيه خير الوطن على انعزالهم الابدى وساعد فى تذليل نفسية الملكية الخاصة الملازمة لهم وتربية مشاعر الروح الجماعية والصداقة والرفاقية لديهم . وينمو المستوى الثقافى لدى الفلاحين . وقد ادى الاستخدام الواسع للتكنيك الحديث فى الريف الى ظهور ملاكات كفوءة من الميكانيكيين الزراعيين الذين قليلا ما يمتاز عملهم عن عمل العمال .

وطرأت تغيرات ضخمة على **فئة المثقفين** ايضا . ففئة المثقفين الاشتراكيين هى فئة شعبية حقا تحدّر ممثلوها فى اغلبيتهم من الطبقة العاملة والطبقة الفلاحية . وهى بكونها متحدرة من الشعب تخدم الشعب بتفان واخلاص .

ويزداد باطراد دور المثقفين فى المجتمع الاشتراكى . وهذا امر مرتبط بتطور الثورة العلمية التكنيكية وبتحول العلم الى قوة انتاجية مباشرة . كما ان عدد المثقفين آخذ فى الازدياد بسرعة . ففى حين انه كان يعمل فى اقتصاد روسيا عام ١٩١٣ حوالى ٢٠٠ الف اخصائى حاصل على تعليم عال وثانوى فقد ارتفع هذا الرقم فى آخر عام ١٩٧٤ الى قرابة ٢١,٥ مليون شخص . ويعمل لخير الشعب الملايين من المدرسين والاطباء والعلماء والمهندسين والتكنيكيين والقضاة وغيرهم من الاخصائيين الرفيعى الكفاءة .

وتخلق الاشتراكية ظروفا مؤاتية من اجل العمل الابداعى للمثقفين ، ومن اجل استخدام مؤهلاتهم ومعارفهم فى صنع تكنيك جديد وفى استخراج الثروات

الطبيعية وفى ادارة شؤون المجتمع وفى تعليم وتربية الجيل الناشئ ، وفى تطوير الثقافة والعلم والادب والفن .

وتقضى الاشتراكية الى الابد على العلاقات الطبقية القائمة على السيادة والخضوع . فليس هنا من وجود لطبقات او لجماعات من الناس ذات امتيازات . وجميع اعضاء المجتمع متساوون من حيث وضعهم تجاه وسائل الانتاج ، الامر الذى يستبعد امكانية استغلال عمل الغير والاستئثار بثماره . وبما انه لا يوجد فى المجتمع الاشتراكى مستثمِرون ومستثمرون ، بل طبقات وفئات اجتماعية كادحة فقط ، لذا لا يوجد فيه صراع طبقى ايضا .

وتتكون فى المجتمع الاشتراكى الوحدة الاجتماعية السياسية والفكرية الراسخة للشعب .

فماذا يعنى ذلك ؟

انه يعنى ، اولا ، جامعة **المصالح الاساسية** للطبقة العاملة والطبقة الفلاحية وفئة المثقفين ، للطبقات والفئات الاجتماعية والامم والاقوام التى تؤلف التركيب **الاجتماعى** للمجتمع الاشتراكى . ثانيا ، جامعة الاهداف **السياسية** ، والمهمات التى تواجهها ، والمساواة فى الحقوق والواجبات السياسية . ثالثا ، جامعة **ايديولوجيتها** ، اى الايديولوجيا الاشتراكية ، الماركسية-اللينينية . فالعمال والفلاحون والمثقفون مجمعون فى طموحهم الى الترقى نحو درجة اعلى من التطور الاجتماعى ، وانجاز بناء المجتمع الشيوعى الذى يجلب اعظم الخيرات المادية والثقافية . وجامعة الآراء هذه تتيح لاعضاء المجتمع الاشتراكى ان يعملوا سوية

وبوفاق ، وان يذللوا بالجهود المشتركة اشق المصاعب ، وان يحلوا مهمات ذات اهمية تاريخية ضخمة . ان جبروت مئات ملايين من الناس ، تربط فيما بينهم جامعة المصالح وترص صفوفهم وحدة الاعمال وتلهمهم المثل العظيمة للشيوعية ، هو بمثابة قوة هائلة يستحيل قهرها .

وقد اعلن الرفيق بريجنيف ، فى خطابه اثناء اللقاء مع ناخبى دائرة باومنسكى الانتخابية بمدينة موسكو فى ١٤ حزيران (يونيو) ١٩٧٤ ، قائلا : «لقد نشأت لدينا وحدة تاريخية جديدة للبشر وهى الشعب السوفييتى . يعنى ذلك انه تبرز اكثر فاكثر صفات عامة مشتركة لسلوك المواطنين السوفييت واخلاقهم وآرائهم لا تتعلق بالفوارق الاجتماعية والقومية . ويعنى ذلك ان التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين الذى كان ابدا اساسا للنظام الاشتراكى ، قد تطور عبر وحدة سياسية وفكرية متينة لهاتين الطبقتين مع المثقفين الذين يقفون بثبات ومنذ وقت بعيد مواقف اشتراكية . ولنا الحق الآن فى ان نقول ان التحالف المتين بين جميع الكادحين واصحاب العمل اليدوى والفكرى ، التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين الكولخوزيين والمثقفين الشعبيين ، قد اصبح اليوم حقيقة من حقائق واقعنا . وهذا التحالف الذى تلعب الطبقة العاملة فيه دورا قياديا ، متين لا يتزعزع» * .

---

* بريجنيف . كل شيء لخير الشعب وباسم الانسان السوفييتى . موسكو ، بوليتيزدات ، ١٩٧٤ ، ص ١٢-١٣ .

التنظيم السياسى

تنبثق الديمقراطية الاشتراكية ، وهى الشكل الجديد والاعلى للسلطة الشعبية ، من الديمقراطية البروليتارية التى تسود المرحلة الانتقالية من الرأسمالية الى الاشتراكية . وتكمن الخاصة المميزة الرئيسية للتنظيم السياسى فى ظل الاشتراكية فى توسيع وتطوير الديمقراطية ، وفى تحويل الديمقراطية من اجل الاكثرية الى الديمقراطية من اجل الجميع ، من اجل الشعب بأسره .

ولا يكتفى المجتمع الاشتراكى بمجرد اعلان حقوق مواطنيه بل ويضمن تطبيق هذه الحقوق . فهو يمنح جميع المواطنين ، بصرف النظر عن المنشأ ونوع العمل والجنس والقومية والمعتقد ، الحق فى العمل ، وفى الراحة ، وفى التطبيب ، وفى الضمان الاجتماعى فى الشيخوخة وفى حال المرض وفقدان المقدرة على العمل ، وفى التعليم . والامكانية الفعلية لتمتع كل مواطن بهذه الحقوق يضمنها القانون ويؤمنها الجبروت الاقتصادى الصاعد للدولة الاشتراكية . ويمنح مواطنو المجتمع الاشتراكى حرية التعبير والنشر والاجتماع والمسيرات الشارعية والمظاهرات ، والحق فى التوحد فى منظمات اجتماعية ، وتضمن لهم الحصانة الشخصية وحصانة المسكن وسرية المراسلات . وتتمتع المرأة بحقوق متساوية مع الرجل فى جميع مجالات الحياة الاقتصادية والحكومية والثقافية والاجتماعية — السياسية . ولها نفس حقوق الرجل فى العمل ، وفى الراحة ، وفى التعليم ، وتتقاضى اجرا متساويا لاجر

الرجل . وتضمن الدولة حماية مصالح الام والطفل ، وتقدم مساعدة ماديـــة للامهات الكثيرات الاطفال او الوحيدات ، وتعطى المرأة اثناء الحمل وبعـــد الولادة اجازة طويلة الامد مدفوعة الاجر .

وبمقدار تطور المجتمـــع الاشتراكى تتطـــور الديمقراطية الاشتراكية كذلك ، الامر الذى ينعكس فى ازدياد دور الهيئات التمثيلية المنتخبة للسلطـــة الشعبية ودور المنظمات الاجتماعية الجماهيريـــة : النقابية والشبابية والتعاونية والتنويرية الثقافيـــة الخ . وتبدأ العملية التدريجية لتحول الادارة الحكومية الى ادارة اجتماعية ذاتية .

والمظهر الهام لهذه العملية ، والتعبير الحسى لتطور الديمقراطية الاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى ، هما تحول دولة دكتاتدرية البروليتاريا **الى منظمة سياسية لعموم الشعب مع ابقاء الدور القيادى للطبقة العاملة ، الى دولة الشعب بأسره .**

تعتبر الطبقة العاملة ، فى المرحلة الانتقاليـــة من الرأسمالية الى الاشتراكية طبقة سائدة وقائدة معا ؛ وفى ظروف الاشتراكية وبناء الشيوعيـــة تحافظ على دورها القيادى فى المجتمع .

لماذا ، وبفعل اية اسباب تبقى الطبقة العاملة القوة القيادية للمجتمع الاشتراكى ؟

انها ، بالدرجة الاولى ، لكون الطبقة تشتغـــل فى الصناعة التى هى اساس كل الاقتصاد الوطنى ، ولكون عملها يستند الى الشكل الرئيسى والاكثر تطورا من اشكال الملكية الاشتراكية : ملكية الدولة ، ملكية الشعب بأسره . وهى تتحلى بتقاليـــد ثورية غنية ،

ويتصلب عودها في المعارك الضارية ضد الرأسمالية ، وتعتبر اكثر حاملي الايديولوجيا الاشتراكيــة مثابرة ومواظبة . وبوصفها اكثر الطبقات عددا فهي حسنة التنظيم والانضباط ، اى انها اكثر القوى الاجتماعية تقدمية في **المجتمع الاشتراكي** . وتنجز الطبقة العاملة تأدية دورها كقائد للمجتمع فقط لدى الانتهاء من بناء الشيوعية ، لدى اضمحلال الطبقات كليا .

والدور القيادي للطبقة العاملــة في المجتمـــع الاشتراكي لا ينتقص باقل درجــة من دور القوى الاجتماعية الاخرى : طبقة الفلاحين ، فئــة المثقفين . وهذا امر مفهوم : ليست لدى الطبقة العاملة ولا يمكن ان تكون لديها اغراض انانية ومصالــح مغرضــة . والطبقة العاملة ، باعتبارها جزءا لا يتجزأ من الشعب ، تعبّر عن مصالح عموم الشعب ، وتحقق اهداف عموم الشعب .

والطبقة العاملة ، باكتسابها سمعة هائلة واحتراما عميقا لدى الشعب بأسره في النضال البطــولي ضد المستثمرين وفي العمـــل المتفاني من اجل انتصار الاشتراكية ، تضطلع ابان بناء الشيوعية ايضا بدور نبيل ، دور اكثر المناضلين مثابرة وتنظيما في سبيل قضية الشعب بأسره . وهدف الطبقــة العاملــة هو تصفية الفروق الطبقية واقامــة مجتمـــع خال من الطبقات . وهي ، بوصفها حاملا مثابرا للمشاعـــر الوطنية ، مفعمة بالاخلاص العميق لفكر تضامن كادحي جميع البلدان .

ليس ثمة من حدود فاصلة بين دولة دكتاتوريـــة البروليتاريا ودولة الشعب بأسره طالما انهما ، من

حيث الجوهر ، دولتان من ذوع واحد ، اشتراكى، وهما شكلان ، درجتان لتطور الدولة الاشتراكية . وبتحول دولة دكتاتورية البروليتاريا الى دولة الشعب بأسره لا تتغير الطبيعة الاشتراكية للدولة بل تتطور وتتكامل فقط بحكم البناء الشيوعى . وتبقى وتتوطد قاعدتها الاجتماعية : تحالف الطبقة العاملة والطبقة الفلاحية ، ويحافظ على الدور القيادى للطبقة العاملة فى المجتمع ، وتبقى الديمقراطية الاشتراكية تتكامل وتزدهر . ودولة الشعب بأسره هى استمرار تاريخى طبيعى وتتويج للشىء الرئيسى الملازم لدكتاتورية البروليتاريا منذ الخطوات الاولى لانبثاقها : ديمقراطية الكادحين الواسعة .

وتضطلع الدولة فى ظل الاشتراكية بادارة العمليات الاجتماعية وحياة البلاد الاقتصادية والسياسية والثقافية ، علما بانها تدير المجتمع باساليب ديمقراطية بصورة دائبة . وهى تتخذ تدابير اكراه معينة ، بالطبع ، بحق منتهكى الشرعية الاشتراكية والعناصر المعادية للمجتمع ، الذين لا يزالون يتواجدون فى ظل الاشتراكية . بيد ان هذه التدابير لا يمكن مماثلتها بوظفية سحق المستثمِرين الملازمة لدكتاتورية البروليتاريا ، اذ انها ليست موجهة ضد طبقات معادية بل ضد اكثر افراد الطبقة العاملة والفلاحين والمثقفين تخلفا وتأثرا برواسب الماضى . وهى تقوم ، من حيث جوهرها ، بتنفيذ وتطوير واستكمال الوظائف الاساسية لدولة دكتاتورية البروليتاريا باستثناء وظيفة سحق الطبقات المستثمِرة وتضمحل هذه الوظيفة

بالقضاء على الطبقات المذكورة نتيجة لانتصار الاشتراكية .

وتكمن وظائف السياسة الداخلية للدولة ، بوصفها هيئة ادارة ، فى قيادة انشاء القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية وتحويل العلاقات الاجتماعية الاشتراكية الى علاقات اجتماعية شيوعية ، وتحقيق الاشراف على مقياس العمل ومقياس الاستهلاك ، وتأمين النهوض برفاهية الشعب ، وحماية حقوق وحريات المواطنين السوفييت والنظام القانونى الاشتراكى والملكية الاشتراكية ، وتربية الجماهير الشعبية بروح الانضباط الواعى والموقف الشيوعى من العمل .

وفى ميدان السياسة الخارجية تولى الدولة عنايتها لتعزيز الوحدة والتلاحم وتطوير التعاون الاخوى مع البلدان الاشتراكية . وهى تقوم ، بكل نزاهة ، بواجبها الاممى تجاه الطبقة العاملة العالمية وتجاه كافة شعوب العالم : تساعد على النضال الثورى لبروليتاريا البلدان الرأسمالية المتطورة ، وتقدم المساعدة والدعم لشعوب البلدان النامية التى تحررت من الاستعمار وكذلك للشعوب التى تناضل فى سبيل تحررها الوطنى . وتبدى الدولة الكثير من الاهتمام وتبذل الكثير من الجهود من اجل الذود عن قضية السلام العالمى والحفاظ على علاقات طبيعية مع جميع البلدان . واذ تأخذ بالحسبان خطر الهجوم من جانب القوى الامبريالية تسهر فى الوقت نفسه على تعزيز القدرة الدفاعية للبلاد وللنظام الاشتراكى عامة .

ويتحقق تطور التنظيم السياسى فى المجتمع الاشتراكى تحت قيادة حزب الشيوعيين . وهو فى

الاتحاد السوفييتى الحزب الشيوعى السوفييتى – القوة القائدة والموجهة للمجتمع السوفييتى .

ان الحزب الشيوعى السوفييتى ، كما جاء فى نظامه الداخلى ، هو طليعة كفاحية مجربة للشعب السوفييتى ، توحد فى صفوفها على اسس طوعية القسم الطليعى والاكثر وعيا من الطبقة العاملة والفلاحين الكولخوزيين وفئة المثقفين . وقد اجتاز الحزب الشيوعى الذى اسسه لينين ، خلال ٧٠ عاما ونيف من وجوده ، طريقا بطوليا مجيدا من النضال والانتصارات . وقاد الطبقة العاملة وجميع كادحى روسيا القيصرية الى انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى واقامة دكتاتورية البروليتاريا ، وامن الانتصار التام والناجز للاشتراكية . ونتيجة لذلك ارتفعت مكانة الحزب وثقة الشعب السوفييتى اللامحدودة به .

وتضم صفوف الحزب الشيوعى السوفييتى فى الوقت الحاضر ١٦ مليون شيوعى – اكثر ممثلى الطبقة العاملة وكافة الشغيلة طليعية ووعيا . ويشكل العمال والكولخوزيون القسم الاكبر من اعضاء الحزب ، علما بان الطبقة العاملة تحتل فى التركيب الاجتماعى للحزب وضعا قياديا وهى مدعوة للمحافظة على ذلك فى المستقبل ايضا . ويعتبر الحزب الشيوعى السوفييتى بمثابة منظمة سياسية اممية تعبر عن الصداقة العظيمة لشعوب الاتحاد السوفييتى واخائها . وهو يجمع فى صفوفه ممثلى جميع الشعوب التى تقطن البلاد السوفييتية .

وتخضع كل سياسة الحزب وكل نشاطه ، داخل البلاد وخارجها على السواء ، لمصالح الشعب ، لاعز

افكاره وامانيه . ولهذا السبب بالذات غدت افكار وقضايا الحزب افكار وقضايا الشعب بأسره ، ولهذا السبب بالذات تعتبر هذه الافكار والقضايا قريبة ومفهومة بنفس الدرجة لدى العمال والكولخوزيين والمثقفين ، واناس من مختلف الاعمار والمهن والقوميات .

والحزب الشيوعى السوفييتى ، باضطلاعه بقيادة المجتمع والعمل الخلاق العظيم الذى يقوم به الشعب ، ينظر الى المستقبل بعين ثاقبة ، ويدل الشعب على طرق التقدم الى امام ، ويثير المبادرة الخلاقة لدى الجماهير الشعبية . ففى وحدة الحزب والشعب وفى قيادة الحزب اللينينى ونشاطه المنظم والموجه تكمن قوة النظام لاشتراكى التى لا تزعزع .

٣ - الثقافة الروحية للاشتراكية

فى اعقاب الثورة الثقافية ، التى تتحقق على اساس التحويل الاشتراكى للاقتصاد والعلاقات الاجتماعية- السياسية ، تنشأ ثقافة اشتراكية جديدة نوعيا . وهى تتكون من منجزات المجتمع الاشتراكى فى ميدان العلم والفن والادب والتحصيل والتعليم الخ .

وتضع الاشتراكية نهاية لتقسيم الثقافة الى ثقافة الطبقات السائدة وثقافة الطبقات المضطهدة ، والملازم لمجتمع الطبقات المتناحرة . وهى تخلق ثقافة واحدة **لعموم الشعب** تعتبر ملكا لجميع الشغيلة : العمال والفلاحين والمثقفين . وهذه الثقافة باعتبارها

اشتراكية ، امية المحتوى ، تهدف الى تعزيز وتطوير الاشتراكية وصداقة وتعاون شغيلة مختلف القوميات ، هى ثقافة قومية فى شكلها (فى اللغة وسائر اساليب التعبير) ، الامر الذى يجعلها قريبة ومفهومة على وجه خاص لدى كل شعب صغيرا كان ام كبيرا ، وتسهل عليه التمتع بمنجزات الحياة الروحية للشعوب الاخرى وتساعد على اغناء الثقافات القومية وتطوير الثقافة الامية العامة بالنسبة لجميع الشعوب . والاساس الفكرى لثقافة الاشتراكية هو الماركسية-اللينينية ، العقيدة العلمية التى تمهد الطريق امام ازدهار الثقافة وتضعها فى خدمة القضية العظيمة للاشتراكية .

يطيب لايديولوجيى الرأسمالية ان يتحدثوا عن ثقافة وتمدن المجتمع العزيز على قلوبهم ، وعن افضليات الثقافة الرأسمالية ازاء الثقافة الاشتراكية . بيد ان منجزات الثقافة فى ظل الرأسمالية تعتبر ملكا لفئة غير كبيرة من المميزين . اما فى ظل الاشتراكية فهى ملك لجميع اناس العمل . وامام كل عضو من اعضاء المجتمع الاشتراكى تتوفر امكانيات واسعة من اجل الحصول على التعليم ، والنشاط الابداعى فى ميدان الانتاج والعلم والفن واستكمال صفاته الاخلاقية . اما بالنسبة لانسان المجتمع الرأسمالى فان هذه الامكانيات محدودة ، لان احتكار النشاط الابداعى يعود هنا الى الطبقات السائدة . والثقافة الاشتراكية هى ، من حيث جوهرها وطبيعتها الداخلية ، مفعمة بالمشاعر الانسانية الرفيعة ؛ وهى تخلق من اجل انسان العمل ، وتعتبر وسيلة هامة لرفع مستواه الثقافى ، وتخدم المثل العليا الانسانية حقا .

ولنتناول الاتحاد السوفييتى على سبيل المثال فيتجلى ما يلى : فى حين ان عدد تلامذة مدارس التعليم العام فى روسيا القيصرية كان اثناء سنة ١٩١٤ – ١٩١٥ الدراسية ٩٦٥٦ الف شخص ، فقد بلغ فى الاتحاد السوفييتى اثناء سنة ١٩٧٤ – ١٩٧٥ الدراسية ٤٩ مليون شخص ؛ وعدد طلاب دور التعليم العالى على التوالى ١٢٧ الفا و٤٧٥٠ الفا ، وتلامذة المدارس الثانوية التخصصية ٥٤ الفا و٤٤٨٠ الفا . اما مختلف انواع التعليم فى الاتحاد السوفييتى فتشمل ٩٠ مليون شخص .وثلث مواطنى البلاد يتعلمون . أفليس ذلك دليلا على الطابع الشعبى للثقافة الاشتراكية والنطاق الهائل للبناء الثقافى ؟

وتعتبر احدى اهم نتائج الثورة الثقافية خلق **الفن الاشتراكى** الجديد نوعيا الذى قد استوعب افضل ما فى فنون الماضى ويواصل استيعاب القيم الجمالية التقدمية للفن الحديث فى البلدان الاخرى .

والاسلوب الابداعى لهذا الفن هو الواقعية الاشتراكية التى من سماتها المميزة الشعبية العميقة ، والحزبية ، والروح الانسانية الثورية ، والمواطنة ، والصدق والتغلغل العميق فى الواقع ، وعدم تساهله مع الايديولوجيا والاخلاق البرجوازية . ويعكس الفن الاشتراكى الطريق التاريخى الذى قطعه الشعب ، ونضاله البطولى ، وعمله باسم اقامة المجتمع الجديد . وهو يتميز بالتطلب الفكرى الرفيع ، وعدم التساهل مع كل ما هو بائد ، وبروح التجديد والبحث الفنى الجرىء اللذين يتآلفان مع استخدام وتطرير جميع التقاليد التقدمية للثقافة العالمية . وهو ، من جهة

اخرى ، يقدم مساهمة لا تقدر بثمن الى خزانة ثقافة العالم الروحية المعاصرة .

وتكمن اهم ميزة للفن الاشتراكى فى انه يخدم الطبقة العاملة وجميع الشغيلة . انه فن شعبى الى اقصى حد . وقد قال لينين ، فى معرض تنويهه بشعبية الفن الاشتراكى : «ان الفن ملك للشعب . ويجب عليه ان يمد اعمق جذوره الى نواة اوسع الجماهير الشعبية . ويجب عليه ان يكون مفهوما من جانب هذه الجماهير ومحببا لديها . ويجب عليه ان يوحد شعور وفكر وارادة هذه الجماهير وان ينهض بها . ويجب عليه ان يوقظ فيها الفنانين ويطورهم» * .

والفن الاشتراكى فن واقعى . وهو مدعو لتصوير الواقع بشكل صحيح وبصورة تاريخية ملموسة وبشكل فنى رفيع . ومن المهم التنويه بان الفن الاشتراكى يصور هذا الواقع فى تحركه ، فى تطوره الثورى . وهو يساعد الطبقة العاملة وكافة الكادحين فى النضال ضد العالم الرأسمالى القديم ، البائد ، وفى سبيل انتصار العالم الجديد ، الاشتراكى . **ففى خدمة الطبقة العاملة وكافة الشغيلة خدمة مباشرة وصريحة تكمن حزبية الفن الاشتراكى .**

يتهجم خصوم الماركسية على المبدأ الماركسى اللينينى لحزبية وطبقية الفن لانه ، كما يزعمون ، يحد من حرية ابداع الفنان ، من فرديته الابداعية . وينسون ، اثناء ذلك ، انه يستحيل وجود «فن مجرد»

---

* «لينين حول الادب والفن» . موسكو ، ١٩٥٦ ، ص ٥٢٠ .

اساسا فى المجتمع الطبقى . فسهولة ادراك الفن وفهمه وقوة اقناعه الهائلة وقوة تأثيره الايحائى على الانسان تجعل منه وسيلة جبارة للنضال الطبقى . لذا تستغل الطبقات الفن بمثابة موصل لافكارها السياسية والاخلاقية وغيرها . اما فى ما يتعلق بحزبية الفن الاشتراكى فهى لا تكبل حرية الابداع ، بل توجه جهود الفنان نحو حل اكثر المهمات الاجتماعية الحاحا . وحرية الابداع هى صفة ملازمة للاشتراكية ، بيد انه لا توجد هنا حرية العمل بما يلحق الضرر بالمصالح الشعبية ، بمصالح المجتمع . فقد تكوّن هنا نمط الفنان الذى يرى رسالته كمواطن فى ان يكون مشاركا نشيطا فى خلق العالم الجديد ومفعما بشعور المسؤولية امام المجتمع ، امام الشعب .

ويربى الفن الاشتراكى فى نفوس الناس الصفات السياسية والاخلاقية والجمالية السامية ، ويساعد على تصفية بقايا الماضى الرأسمالى فى وعى وسلوك الناس ، ويصور عمل الشعب ونضاله بصورة عميقة ومخلصة ، ويكشف العالم الروحى الغنى لدى الانسان المعاصر وافكاره ومشاعره ومطامحه ، ويندد تنديدا لا هوادة فيه بكل ما يعرقل تقدم المجتمع الى امام ، ويلهم الناس لاجتراح مآثر جديدة .

ودور الفن كبير على نحو خاص فى التربية الجمالية الفنية للشغيلة . فالفن يعكس جمال الطبيعة ، واتزان وتناسق ما يجرى فيها من عمليات ، ووفرة الالوان والاصوات الرائعة . وهو يتغنى بجمال الانسان والعلاقات البشرية ، وبجمال العمل البشرى . علما بان التأثير الجمالى للفن على الانسان يزداد كبرا بمقدار

ما تزداد الاعمال الفنية روعة وجمالا ويصبح فيها الارتباط بين المحتوى الفكرى والشكل الفنى المكتمل اكثر عضوية . اما الفن اللافكرى والشكلى ، شأن الفن الطبيعى ، فهو لا يربى المبدأ الجمالى فى نفس الانسان بل يحطمه .

تعتبر الواقعية ، اى التعبير الصادق عن الواقع ، مكسبا عظيما لعبقرية الانسان الفنية . فالواقعية وحدها ، وخاصة الواقعية الاشتراكية ، تشكل وسيلة مأمونة للتربية الجمالية لاجتذاب الجماهير الواسعة من الشعب الى الابداع الفنى .

ويكتسب الفن غير المحترف ، فن الهواة ، اهمية متزايدة ابدا فى الحياة الفنية للمجتمع الاشتراكى والتربية الجمالية للشغيلة . وبفضل هذا الفن يجتذب ملايين الناس الى التمتع بالقيم الثقافية ويطورون مواهبهم وذوقهم الجمالى .

٤ – الاشتراكية والشخصية

تخلق الاشتراكية ، بقضائها على الملكية الخاصة والاستغلال وبتأمينها حقوقا وواجبات سياسية وقانونية متساوية لجميع المواطنين ، شروطا سياسية من اجل تطوير الانسان . فالفروقات فى الجنس والعمر والمنشأ ونوع العمل والقومية والمعتقد لا تشكل هنا عائقا بوجه مشاركة كل شغيل بصورة خلاقة نشيطة فى اكثر ميادين الحياة الاجتماعية تنوعا . والاشتراكية ، بتحريرها عمل الانسان وبتحويله من عمل من اجل المستثمر الى عمل من اجل نفسه ، من اجل المجتمع ،

جعلت العمل – كميته ونوعيته – اهم مقياس لقيمة الانسان الاجتماعية ومحددا لمكانه فى النظام الاجتماعى . وتخلق الاشتراكية انتاجا جديدا نوعيا غايته الانسان الكادح وحاجاته ومصالحه . وبهذا بالذات تنشأ الممهدات المادية من اجل تطوير الانسان . ان اليقين بان الانسان سوف يجد دائما مجالا لتطبيق مؤهلاته ، وبان المجتمع والانتاج الاجتماعى لدى استخدام مؤهلاته يهتمان فى الوقت نفسه بتلبية حاجاته اذ يضعان مقياس تلبيتها وفقا لكمية ونوعية عمله ، ان هذا اليقين يحفز اناس العمل نحو اتقان خبراتهم المهنية ومستواهم التعليمى العام والثقافى . والاشتراكية ، بخلقها ثقافة روحية جديدة وبوضعها هذه الثقافة سوية مع الثقافة المادية فى خدمة الشغيلة ، توفر اكثر الظروف ملاءمة من اجل التطور الثقافى للانسان واستكماله الاخلاقى .

ونتيجة لذلك وعلى اساس التحولات العميقة فى الاقتصاد والعلاقات الاجتماعية والحياة الثقافية لا تكتفى الاشتراكية بالحفاظ على تلك السمات الانسانية الخاصة التى تتولد لدى الشخصية الكادحة فى ظل الرأسمالية ، ولا تكتفى بتطويرها ورفعها الى مستوى اعلى جديد نوعيا ، بل وتخلق سمات جديدة تفتقر اليها شخصية المجتمع القديم . وبكلام آخر نقول انه نتيجة لانتصار الاشتراكية تنشأ شخصية جديدة ، **الشخصية الاشتراكية** .

ان تكوين الانسان الجديد – الصانع الحقيقى للتاريخ ، والسيد المطلق التصرف للمجتمع ، والمالك الوحيد للقيم المادية والروحية ومبدعها ، والحامل

الواعى للعلاقات الاجتماعية الجديدة الانسانية حقا ، وخالقها – هو اعظم انجاز للاشتراكية لم يسبق لتاريخ البشرية ان عرف مثيلا له .

والشخصية الاشتراكية تتجلى بالدرجة الاولى كشغيل فى الانتاج الاشتراكى القائم على الملكية الاجتماعية المشتركة لوسائل الانتاج . ومن مميزاتها الملازمة النشاط العملى ، والتوق الى الحفاظ على الثروة الاجتماعية ومضاعفتها ، والانضباط الجديد فى العمل ، والعلاقات الجديدة فى الشغل – علاقات الصداقة والتعاون مع رفاق العمل . وهى تتصف ايضا بميزات روحية رفيعة كالاخلاص المتفانى للمثل الشيوعية ، وشعور الاممية ، والوعى الرفيع والمسؤولية العالية امام المجتمع ، والنشاط الاجتماعى ؛ وتغدو مبادئ الاخلاقية الشيوعية متأصلة بثبات فى حياتها وعملها ومعيشتها . ومن خصائص الشخصية الاشتراكية الحياة الروحية الغنية ، والمستوى الثقافى الرفيع ، وتنوع المتطلبات الروحية ، والاهتمام العميق بالابداع العلمى والفنى ، والطموح الى التطور والتكامل من جميع النواحى .

ومن الخطأ الاعتقاد ، طبعا ، بان جميع اعضاء المجتمع الاشتراكى يملكون كافة سمات الشخصية المذكورة اعلاه . فما زلنا نصادف هنا ميل بعض الافراد الى التملص من العمل الاجتماعى المفيد ، ووقائع الخمول الاجتماعى والفتور فى نشاط عقلى .

ومع ذلك فان السمات المذكورة اعلاه هى سمات نموذجية للشخصية فى ظل الاشتراكية . اولا ، لان الاشتراكية تخلق امكانية واقعية

من اجـــل تكوين هذه السمـــات فى نفس كـل انســـان ؛ ثانيا ، لان هذه السمات ملازمة للاكثرية الغالبة من اعضاء المجتمع الاشتراكى .

ومع انتصار الاشتراكية وتكون الشخصيـــة الاشتراكية تنشأ وتتطور **وحدة الشخصية والمجتمع** . وتستنــد هذه الوحدة على اساس موضوعى متين – الملكية الاجتماعية ، الامر الذى يؤمن الجمـع بين المصالح الاجتماعية والشخصية الاساسية . ان طموح الفرد نحو تحسين وضعـــه الخاص فى ظروف انعدام الاستغلال والزامية العمل بالنسبة للجميع انمـــا يتحقق فى العمل لما فيه خير المجتمع بأسره .

والوحدة المتزايدة التطور للشخصية والمجتمع هى نزعة موضوعية للاشتراكية وقانون تطورها ، بيد ان هذه النزعة تتجلى فى خط غير مستقيم . فوحـــدة الشخصية والمجتمع لا تستبعد على الاطلاق التناقضات فيما بينهما والتى تبرز فى كون المجتمع الاشتراكى ، باعتباره ما يزال عاجزا عن تلبية حاجات الشخصيـة تلبية كاملة ، يضع مقياس تلبيتها وفقا لكمية ونوعية العمل ، ولكون المجتمـــع لا يؤمن بعـد المساواة الاقتصادية التامة للناس ، ولا يخلق بعـد الظروف المتساوية من اجل تطوير واظهار النشاط الابداعـى لجميع الناس دون استثناء . زد على ذلك ان الشخصية لا تدرك دائما ضرورة التوفيق بين مصالحها ومصالح المجتمع ، بل وتتقدم احيانا من المجتمع بمطالـــب انانية مفرطة فتنشأ بنتيجة ذلك تناقضات بين المجتمع ، باكثريته الساحقة من اعضائه ، وبين قسم غير كبير من اعضاء المجتمع المتخلفين . ومع سير تطـــور

الاشتراكية يجرى تذليل هذه التناقضات وتأخد الوحدة بين الشخصية والمجتمع فى التطور باتجاه بلوغ علاقات منسجمة فيما بينهما . واثناء التقدم نحو هذا الانسجام يتغير المجتمع والشخصية على السـواء ، فى حين ان تطور وتحول المجتمع يشكلان اساس تطور الشخصية .

لقد اشارت الوثيقة الاساسيـــة لمؤتمر الاحزاب الشيوعية والعماليـــة العالمـى عام ١٩٦٩ الى ان الاشتراكية قد بينـت للبشريـــة آفاق التخلص من الامبريالية . فالنظام الاجتماعى الجديد القائـــم على الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج وعلى سلطـــة الكادحين ، قادر على تأمين التطور المخطط والخالى من ازمات للاقتصاد فى صالح الشعب ، وضمان الحقـوق الاجتماعية والسياسية للكادحين ، وخلق الشروط من اجل الديمقراطية الحقة ومشاركة الجماهير الشعبيـة الواسعة مشاركة عملية فى ادارة المجتمع ، ومن اجـل تطوير الشخصية من جميع النواحى ومساواة الامـم فى الحقوق والصداقة فيما بينها . وتم التدليل عمليا على ان الاشتراكية وحدها قادرة على حل المسائل الجذرية الماثلة امام البشرية .

الفصل الخامس

الشيوعية - الطور الاعلى للمجتمع الجديد

لقد دلت الشيوعية العلمية البشرية على الطريق نحو المجتمع الشيوعى السعيد . فما الذى تمثله الشيوعية ، اذن ، فى شكلها المتطور ، واية آفاق تفتح امام البشرية ؟

يجدر التنويه بان التصورات عن المجتمع الشيوعى المقبل لا يجوز اعتبارها تصورات كاملة ووافية ابدا ، فهى تقوم على اساس التجربة المكتنزة حتى الآن فى بناء الاشتراكية والشيوعية ، وعلى معطيات النظرية الماركسية اللينينية . وهذه التصورات بمثابة تنبؤات تتناول السمات الاساسية للشيوعية ، اما كيفية كونها فى تفاصيلها فذلك ما ستبينه ممارسة المستقبل . وسوف يحل اولادنا بانفسهم كيفية تنظيم عمل وحياة ومعيشة الناس فى ظل الشيوعية . الا ان التصورات العلمية عن الشيوعية وعن المثل الشيوعية تساعد

القوى الثورية المعاصرة على النضال فى سبيل التقدم الاجتماعى ، وعلى ان ترى الآفاق والهدف التى يوجه الجزء الطليعى من البشرية جهوده نحوها .

١ – السمات الاساسية لمجتمع المستقبل

نبدأ وصف مجتمع المستقبل من قاعدته المادية التكنيكية .

القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية

ان الانتاج الاشتراكى هو انتاج عالى التطور . بيد ان مستوى تطوره ليس كافيا بعد من اجل التلبية التامة لحاجات الشغيلة المادية والروحية المتنامية باستمرار . وبدون ذلك لا يمكن ان تقوم للشيوعية قائمة ، اذ ان التوزيع حسب الحاجة يشكل احد اهم مبادئها . فالشيوعية هى مجتمع الوفرة ، ونحو الوفرة يقود طريق واحد فقط : التطوير الهائل للقوى المنتجة وانشاء القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية . وعندما يتم انشاء القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية وبلوغ الوفرة ، وعندما يستوعب كل عضو من اعضاء المجتمع معرفة العمل بكل ما اوتى من قدرة ، عندها سيغدو ممكنا الانتقال الى المبدأ الشيوعى للتوزيع حسب الحاجة ايضا .

ومن المهم التنويه لدى ذلك بان الوفرة ليست هدفا بحد ذاته ، بل مجرد وسيلة من اجل بلوغ الهدف الرئيسى ، الاساسى ، للتقدم التاريخى – خلق الظروف (الاقتصادية ، الاجتماعية ، الروحية) لغرض

تطوير الانسان من كافة النواحى . فالثروة الاساسية للمجتمع الجديد ليست الثروة الشيئية ولا المادية بل الانسان بالذات بعظمة تنوع مقدراته ومتطلباته . وقد كتب ماركس يقول انه فى ظل الشيوعية يبدأ تطور القوى البشرية وتنشأ الظروف الاكثر جدارة **بالطبيعة البشرية** والمماثلة لها .

فما الذى تمثله ، اذن ، القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية ؟

لدى الحديث عن خصائص القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية تجدر الاشارة فى المقام الاول الى ان انشاءها لا يقتصر على مجرد النمو الكمى للقدرات الانتاجية وعلى مجرد تكاثرها . فهو يفترض بالدرجة الاولى حصول تغيرات نوعية عميقة فى نفس طابع عملية الانتاج . والخصائص النوعية للقاعدة المادية التكنيكية للشيوعية هى : الكهربة التامة ، وعلى اساسها اتقان التكنيك والتكنولوجيا وتنظيم الانتاج الاجتماعى فى جميع فروع الاقتصاد الوطنى ؛ المكننة الشاملة للعمليات الانتاجية ، واتمتتها بصورة متزايدة الكمال ؛ الاستخدام الواسع للكيمياء فى الاقتصاد الوطنى ؛ التطوير الفعال لفروع الانتاج الجديدة العالية المردود اقتصاديا ، واستحداث انواع جديدة من الطاقة والمواد ؛ استخدام الموارد الطبيعية والبشرية والمادية من جميع النواحى وبصورة رشيدة ؛ التوحيد العضوى بين العلم والانتاج ، والوتائر العالية للتقدم العلمى التكنيكى ؛ المستوى الثقافى التكنيكى الرفيع لدى الشغيلة ؛ تفوق ملحوظ على اكثر البلدان الرأسمالية تطورا فى انتاجية العمل .

وفى ظل الشيوعية يتم بلوغ **اعلى** درجة للتنظيم المخطط فى الاقتصاد ، ويتأمن الاستخدام العقلانى والرشيد للثروات المادية والموارد الطبيعية والبشرية . وبتسليحها الناس بتكنيك **متقن** وجبار ترفع الشيوعية سيطرة الانسان على الطبيعة الى علو **شاهق** ، وتوفر له امكانية التحكم بقواها المتهورة **فى نطاق متعاظم على الدوام** واستخدامها فى صالحه . ان هدف الانتاج الشيوعى هو تأمين تقدم غير منقطع وتوفير القيم المادية والثقافية لكل عضو من اعضاء المجتمع وفقا لحاجاته واهتماماته وذوقه المتنامية باطراد .

وسيكون الانتاج فى ظل الشيوعية **ممكننا ومؤتمتا بصورة تامة** . وسوف تجرى جميع عمليات التكنولوجيا والنقل داخل المؤسسات الانتاجية الاتوماتيكية بدون اشتراك مباشر من جانب الانسان . وسوف يقتصر عمل الانسان على ادارة الآلات الاتوماتيكية والاجهزة ، والقيام بضبطها ، ووضع برنامج ونظام العملية التكنولوجية . والمصانع الاتوماتيكية - باكورة صناعة الشيوعية هذه - موجودة ايضا فى ظل الاشتراكية ، بيد ان عددها ما يزال ضئيلا جدا ، وهى لا تحدد طابع الانتاج ككل . اما فى المجتمع الشيوعى فسوف تنتشر الاتوماتيكا اوسع انتشار . وسوف تقوم الآلات «الذكية» بتوجيه المشاغل والمصانع ، والمحطات الكهربائية الضخمة ومنظومات كاملة للطاقة ، وحقول استخراج النفط ، والمناجم والمقالع ، وتحليقات الطائرات ، وحركة السفن والقطارات ، ومن ثم ، فى المستقبل ، كل الاقتصاد الوطنى .

وكما هى الحال فى ظل الاشتراكية سوف تشكل الكهربة العمود الفقرى للقاعدة المادية التكنيكية للشيوعية ايضا . فعلى اساس الكهربة التامة فقط يمكن تطوير الاتوماتيك والالكترونيك والسيبرنيتيك والراديوتكنيك والكيمياء ، اى تلك الوسائل العلمية التكنيكية التى تحدد كليا الطابع الممكنن والمؤتمت للانتاج فى ظل الشيوعية . وسوف تستخدم فى ظل الشيوعية ، على ما يبدو ، وبصورة واسعة الانواع الاخرى للطاقة ايضا : الذرية والنووية ، وطاقة الشمس وبواطن الارض الحارة وعمليات المد فى مياه المحيطات ، والتى بوشر بامتلاك ناصيتها عمليا منذ مدة قريبة .

وعلى اساس الكهربة التامة سوف يتم بلوغ نهوض لا نظير له فى الصناعة الثقيلة ، والميتالورجيا ، ومعالجة المعادن ، وصناعة الوقود ، والانتاج الكيميائى وغيرها والتى ستبقى ، فى ظل الشيوعية ، اس اسس الاقتصاد الوطنى . وسوف يتيح التطور العاصف للصناعة الثقيلة ، بدوره ، رفع جميع فروع الاقتصاد الوطنى الى درجة اعلى ، عنينا بذلك فروع : الصناعة ، التى تنتج بضائع الاستهلاك الشعبى (ألبسة ، احذية ، منتجات غذائية ، ادوات منزلية ، الخ) ، والزراعة ، والبناء ، والنقل ، والاتصال ، وفروع الخدمة المعيشية للسكان كذلك (التجارة ، التغذية العامة ، الرعاية الصحية ، الخدمات المنزلية والعامة ، الخ) . وسوف تجرى كليا تلبية حاجات الناس الى الاغراض الثقافية ، بما فيها الموجودة حاليا وتلك التى سيخلقها الناس فى المستقبل .

وسوف يكون للعلم اهمية ضخمة ، لا بل حاسمة ، فى القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية . **فسوف يتحول العلم كليا الى قوة منتجة للمجتمع** . وسوف يقوم بتحديد تكنيك وتكنولوجيا مجتمع المستقبل والمستوى المهنى والثقافى التكنيكى لدى العاملين .

والانتاج الشيوعى ، بكل ما فيه من سرعات لا سابق لها . ومقادير ضغط هائلة ودرجات حرارة فائقة الارتفاع ، مستحيل بدون مواد اصطناعية ووقود وخامات جديدة لا وجود لها فى الطبيعة . ولهذا السبب بالذات شرع العلم منذ الآن ، وبارتباط وثيق مع الانتاج ، فى خوض مباراة حقيقية مع الطبيعة نفسها «فى سبيل النوعية» ، علما بان الفوز اصبح يحالف العلم باطراد متزايد . والمقصود بذلك : اللدائن ، والمطاط الاصطناعى ، والالياف وغيرها من منتجات كيمياء البوليميرات المعاصرة والتى لا غنى عنها لاى فرع من فروع الاقتصاد الوطنى .

ويشكل الانتاج الزراعى الضخم العالى المردود والعالى التطور عنصرا هاما من عناصر القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية . فعدد الناس يزداد ويرتفع مستوى الاجور وتنمو المداخيل الفعلية للشغيلة فتزداد تبعا لذلك بسرعة حاجات المجتمع الى منتجات غذائية رفيعة النوعية وغيرها من سلع الاستهلاك الشعبى وسوف تزداد هذه الحاجات من ثم بصورة اسرع باطراد . ومن هنا تنشأ ضرورة تعجيل تطور الزراعة على اساس احدث منجزات العلم والتكنيك .

تلكم هى الخصائص الاساسية للقاعدة المادية التكنيكية للشيوعية .

وسوف يتم بلوغ النهوض السريع بالانتاج بصورة رئيسية عن طريق **رفع انتاجية العمل** ، والتى تعتبر مقياسا جليا للتقدم الاقتصادى واهم مصدر لبلوغ الوفرة . ويتأمن رفع انتاجية العمل بالتطوير اللاسابق له للعلم والتكنيك والاستخدام الاكثر عقلانية لموارد اليد العاملة والزيادة الملحوظة لكفاءة العاملين .

وقد نوه لينين بان «الشيوعية هى انتاجية عمل تفوق انتاجية العمل الرأسمالية ويقدمها عمال متطوعون ، واعون ، متحدون ، يستغلون التكنيك الحديث» * .

وفى سياق وصف القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية تجدر الاشارة ، اولا ، الى ان الخصائص الواردة اعلاه لا تعطى سوى لوحة تقريبية عنها فقط : التنبؤ ، بدرجة كافية من الدقة ، بالاكتشافات العلمية والتكنيكية والتكنولوجية التى سوف تستند عليها ، امر صعب للغاية . ثانيا ، هذه الخصائص ملازمة الى هذا الحد او ذاك للقاعدة المادية التكنيكية ليس فقط للاشتراكية المتطورة بل ولبلدان الرأسمالية المتطورة ، والحال انه ليس بالامكان ، من حيث المادة او النوع ، واذا لم ننظر الى ماركة الصنع ، ان نميز ، مثلا ، بين آلة صنعت او تستخدم فى المجتمع الاشتراكى او المجتمع الشيوعى القادم وبين آلة «رأسمالية» . بيد انه من الضرورى عند ذلك ان لا يغيب عن البال كون الآلة فى المجتمع الاشتراكى او الشيوعى تعود الى الشغيلة وتستخدم لصالحهم هم ، فى حين انها تعود فى ظل

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٩ ، ص ٢٢ .

الرأسمالية للمالك الخاص ، للبرجوازى ، وتخدم بصورة رئيسية اهداف اثرائه .

وسوف يجرى على اساس القاعدة المادية التكنيكيه للشيوعية بلوغ وفرة فى الخيرات المادية والروحية من اجل كافة افراد المجتمع ، الامر الذى يتيح التقريب بصورة مباشرة من تحقيق المبدأ الشيوعى للتوزيع حسب الحاجة .

من كل حسب قدرته ولكل حسب حاجته

ان مبدأ «**من كل حسب قدرته ولكل حسب حاجته**» **هو المبدأ الاساسى للشيوعية** . وتحقيق هذا المبدأ يجرى التحضير له فى ظروف الاشتراكية وتحولها التدريجى الى الشيوعية .

لقد ايقظ النظام الاشتراكى الى الابداع التاريخى الواعى ملايين عديدة وعديدة من الناس الذين يدهشون العالم باعظم المنجزات فى اكثر حقول الحياة الاقتصادية والسياسية والروحية اختلافا . والاشتراكية ، بخلقها الظروف من اجل تطوير مؤهلات الشغيلة من كافة النواحى ، تطلب من الانسان فى الوقت نفسه ان يضع هذه المؤهلات فى خدمة المجتمع ، وبمقدار تقيد الانسان بهذه المطالب ، وانطلاقا من نسبة المساهمة العملية التى يقدمها ، تجرى تلبية حاجاته . وفى هذا يكمن جوهر المبدأ الاشتراكى «من كل حسب قدرته ولكل حسب عمله» .

ومطلب «من كل حسب قدرته» يحافظ عليه فى ظل الشيوعية ايضا . الا انه يتعرض لتغيرات جدية ويغدو اكثر غنى وتنوعا .

وليس بمقدور الاشتراكية بعد ان تضمن شروطا متساوية للجميع فى تكوين وتطوير واستخدام المؤهلات ؛ ومع وجود مساواة سياسية لا توجد هنا بعد مساواة اقتصادية واجتماعية . ومن الطبيعى ان يملك الشخص الحسن الحال ماديا امكانيات اكبر من اجل تطوره ، وخاصة تطوره الثقافى . والشخص الذى يعيش فى المدينة ، حيث تتمركز القيم الثقافية الاساسية ، يملك ايضا افضليات من اجل تطوره الروحى بالمقارنة مع ساكن الريف . ولدى النساء بالمقارنة مع الرجال امكانيات اقل بكثير من اجل تكوين وتطوير المؤهلات ، وذلك لكونهن ينفقن اوقاتا كثيرة فى العناية بالبيت وتربية الاطفال .

والمجتمع الشيوعى وحده يخلق ليس فقط ظروفا **متساوية للجميع** من اجل تكوين المؤهلات بل وكذلك ظروفا من اجل تطبيقها على افضل وجه فى ميدان الانتاج وخارجه على السواء .

وفى ظل الشيوعية ايضا يبقى العمل الشىء الرئيسى الاساسى فى مطلب «من كل حسب قدرته» ، الا ان ذلك سيكون عملا ليس حسب الواجب ، وليس فقط وسيلة للعيش ، بل عملا بالقدر التام من استعمال المؤهلات البشرية ، عملا كعادة ، كمطلب حيوى . وسوف يعمل الانسان فى ظل الشيوعية بصورة ملهمة وابداعية فى ذلك المكان الذى يستطيع فيه ان يظهر مؤهلاته على اكمل وجه ، وحيث يستطيع تقديم اكبر فائدة للمجتمع .

ومطلب «من كل حسب قدرته» فى ظل الشيوعية ليس فقط عملا طوعيا مجانيا بكل ما لدى الانسان من

مؤهلات من اجل المجتمع ، بل وانشط المشاركة فى الحياة الاجتماعية ، فى ادارة شؤون المجتمع . وعلى الرغم من ان الاشتراكية ايقظت جمهورا غفيرا جدا من الشغيلة للمشاركة النشيطة فى الشؤون الاجتماعية ، فما نزال بعيدين هنا عن اشتراك كل فرد اشتراكا نشيطا فى ادارة المجتمع . فالبعض ينقصهم الوقت ، والبعض الآخر تعوزهم الخبرات الضرورية ، وآخرون على قدر غير كاف من الوعى . اما فى ظل الشيوعية فكل شخص سوف يشترك فى ادارة البلاد . ولا يمكن ان يكون الامر على غير ذلك ، والحال ان الدولة ، بانجاز الانتقال الى الشيوعية ، تتلاشى وتحل محلها الادارة الاجتماعية الذاتية حيث سيشترك جميع اعضاء المجتمع فى ادارة شؤونه .

واخيرا ، فان «من كل حسب قدرته» فى ظل الشيوعية يعنى ايضا تقيد كافة اعضاء المجتمع تقيدا نموذجيا ، يتحول الى عادة ، بعرف الحياة الاجتماعية الشيوعية . اما فى ظل الاشتراكية فما يزال يوجد اناس ينتهكون القانون والنظام العام والقواعد والمبادىء الجمالية .

وعليه ، فان محتوى مطلب «من كل حسب قدرته» فى ظل الشيوعية هو العمل العالى الانتاجية بوصفه الحاجة الاولى للحياة ، والتعلم الدائم ، ورفع المستوى التخصصى والتعليمى العام والثقافى ، ومشاركة كل شخص فى ادارة المجتمع ، والتقيد الطوعى بقواعد الخلق الشيوعى . والشىء الرئيسى فى هذا المطلب هو العمل .

يزعم خصوم الشيوعية العلمية ، فى سعيهم الى التشهير بمبدأ «من كل حسب قدرته ولكل حسب

حاجته» ، بانه يتنافى مع التطوير الشامل والمنسجم للانسان ، ومع التلبية التامة لحاجاته المادية والروحية . وهم يصرون على تكرار اقوال مزعومة حول الاشتراكية التقشفية التى تجرى فيها تسوية الشخصية البشرية ويغدو الانتاج والتكنيك والآلات ، وليس الانسان ، الشىء الرئيسى . وهم لا يكتفون بذلك بل يزعمون ان رفاهية الشعب المتنامية تؤدى الى ازدهار الروح الفردية ، وانها تتنافى مع مبدأ الشيوعية . اما فى الواقع فان نمو رفاهية الناس لا يتناقض باقل درجة مع مهمات بناء المجتمع الشيوعى ، وبصورة اولى مع مصالح الفرد . فالمجتمع الشيوعى سيكون غنيا بما فيه الكفاية ليس فقط من اجل تأمين جميع حاجات المواطنين الى الغذاء واللباس والمسكن وغيرها من سلع الاستهلاك الضرورية بسخاء ، بل ومن اجل منحه كل ما يحتاج اليه الشخص المتطور والمثقف من اجل العيش حياة عامرة بالحوادث . وبهذا بالذات سيتم القضاء الى الابد على بقايا اللامساواة الاقتصادية ، اللامساواة فى التوزيع ، اى ان كافة شغيلة المجتمع الشيوعى سيحصلون على امكانية متساوية فى ظروف الوفرة لتلبية طلباتهم المادية والروحية تلبية تامة .

وسوف يتخلص الناس الى الابد من التفكير فى الدخل والحساب ، ومن الجشع والطمع الى المال . ويغدو المال غير مفيد . ويحصل الانسان ، اخيرا ، على امكانية تكريس نفسه للمصالح الرفيعة التى ستكون منها المصالح الاجتماعية فى المقام الاول .

والشيوعية العلمية لا يجمعها جامع بروح التقشف وبجعل متطلبات الناس ومصالحهم الحيوية على مستوى

واحد . فهى تقيم ليس مساواة الحاجات بل **تكافؤ الفرص** من اجل تلبيتها .

وهذا يعنى ان جميع اعضاء المجتمع سوف تكون بامكانهم ، طبقا لاذواقهم وخصائصهم الفيسيولوجية والنفسية ، التلبية التامة لحاجاتهم المادية التى لا يمكن ان تكون مماثلة اذ ان اذواق الناس وصفاتهم مختلفة .

وهذا يعنى ان جميع اعضاء المجتمع سوف تتوفر لهم امكانية متساوية من اجل التعليم وامتلاك العلم والثقافة ، اى من اجل تلبية حاجاتهم الروحية ايضا . وبما ان الناس يملكون مؤهلات ومصالح ومطامح غير مماثلة ، فان حاجاتهم الروحية ، شأن حاجاتهم المادية ، لن تكون مماثلة كذلك . واذا اضفنا الى ذلك انهم سيكونون اناسا من مختلف المهن والاعمار وانهم سوف يعيشون فى ظروف مناخية مختلفة ، عندها يصبح واضحا تماما ان حاجاتهم لا يمكن ان تكون ، باى حال من الاحوال ، مماثلة .

وعليه ، فان المساواة الشيوعية ، التوزيع حسب الحاجة ، تتجلى لا بوصفها مساواة بين اناس عديمى الشخصية متشابهين كقطرات الماء ، بل بوصفها مساواة بين اناس حقيقيين ، ذوى نشاط عملى ، مختلفين . وكل واحد منهم شخصية بارزة المعالم بكل ما لديها من مؤهلات ومستوى معارف وحاجات ومصالح واذواق وهوايات .

وسوف يعمل كافة الناس بصورة ملهمة وابداعية ، ويعيشون حياة غنية ، عامرة بالاحداث وسعيدة . ولن يتم بلوغ هذه المساواة دفعة واحدة ، بل تدريجيا ، خطوة فخطوة ، بقدر انشاء القاعدة المادية التكنيكية

للشيوعية وتكوين العلاقات الاجتماعية الشيوعية وتربية الانسان الجديد .

وسوف تطرأ ، بالطبع ، تغيرات جدية على حاجات الناس ابان عملية بناء الشيوعية . فسوف تغدو اكثر اتساعا وتنوعا . وستتغير الحاجات الروحية وتزداد نموا بوجه خاص . بيد ان حاجات الناس ستكون ، فى غضون ذلك كله ، خالية من الاسراف والنزوات والاهواء . سوف تكون حاجات سليمة ورشيدة لدى انسان متطور من كافة النواحى . ان الشيوعية سوف تولد عددا كبيرا من الحاجات الجديدة ، ولكنها بالذات ستخلق الوسائل اللائقة من اجل تلبيتها .

الشيوعية والعمل

ان الشيوعية العلمية ، باعتبارها تتنافى مع العملية الفظة لمعادلة المستويات ، سياسة التقشف ، ترفض فى الوقت نفسه التطرف الآخر : تصور المجتمع القادم وكأنه مجتمع التكاسل والخمول . ان مبدأ التوزيع حسب الحاجة لا يعنى ابدا ان الانسان سوف يحصل على كل ما يريده دون ان يبذل اية جهود .

فمن اجل تأمين المساواة الشيوعية والانتقال الى التوزيع حسب الحاجة ، وبالاضافة الى وفرة القيم والخيرات المادية ، يتطلب الامر وجود ممهد آخر لا يقل اهمية : ترسيخ اقدام العمل الشيوعى .

فما الذى يمثله العمل الشيوعى ؟

العمل الشيوعى هو عمل للعموم ، وطوعى ،

ومتحرر من الاستغلال ، وقائم على الملكية الاجتماعية واحدث قاعدة تكنيكية ؛ عمل عالى الانتاجية ومنظم علميا ؛ عمل ابداعى يجمع فى نفسه عضويا بين الجهود الجسدية والعقلية ؛ عمل يمارسه الانسان بكل ما اوتى من مؤهلات ؛ عمل يُعتبر حاجة حياتية اولى .

لقد غدت القاعدة المقدسة : من لا يعمل لا يأكل ، غدت فى المجتمع الاشتراكى منذ زمن بعيد قانون حياة لاكثرية المواطنين . والكثير منهم اصبحوا لا يتصورون حياتهم بدون قضيتهم المحببة ، بدون العمل الذى يعتبر بالنسبة اليهم مصدر انشراح وغبطة وحاجة حياتية . ورغم ذلك فان العمل فى ظل الاشتراكية . لا يعتبر بعد حاجة لدى جميع اعضاء المجتمع . هذا ، فضلا عن انه لم يضمحل بعد فى ظل الاشتراكية الطفيليون ، اولئك الافراد الذين يتهربون من العمل المفيد اجتماعيا ويسعون للانتفاع على حساب المجتمع . ويوجد هنا ايضا اناس لا يقومون بواجباتهم باخلاص ونزاهة . اما فى ظل الشيوعية فسيقضى الى الابد على الموقف المهين من العمل .

وفى ظل الشيوعية سوف يعمل كل شخص بشغف فى ذلك المكان الذى يستطيع ان يظهر فيه مؤهلاته على نحو اكمل ، وبالتالى حيث بامكانه ان يقدم للمجتمع اكبر فائدة . والمجتمع الشيوعى ، القائم على الانتاج الاكثر اتقانا واتمتة وعلى المستوى الرفيع لوعى الشغيلة ، يخلق ليس فقط ظروفا مماثلة للجميع من اجل تطوير المؤهلات بل واكثر الظروف مؤاتاة من اجل تطبيق مؤهلات كل شغيل على اكمل وارشد وجه .

فهنا سوف يشتغل الجميع وبصورة دائمة وفقا لقدرتهم . ولا يمكن ان يكون الموقف من العمل فى ظل الشيوعية على غير ذلك ، والحال ان العمل ، وهو الذى يبقى اهم مقدرة لدى الانسان ، يتحول الى أُولى حاجاته ، الى عادة يومية .

ومن الضرورى لهذه الغاية تغيير طابع العمل نفسه ، وتصفية العمل الجسدى الشاق والاعمال الرتيبة البالغة الارهاق ، وتطوير الناحية الروحية الابداعية فى العمل وجاذبيته الجمالية ، وتحويل العمل الى مصدر للغبطة والانشراح . عندها فقط يغدو العمل ارقى تعبير عن الشخصية البشرية ويصبح يتجاوب على اكمل وجه مع الجوهر الخلاق لدى الانسان .

ان اساس حل هذه المهمات هو انشاء القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية ، والمكننة الشاملة ، واتمتة العمليات الانتاجية بصورة متزايدة الكمال .

ان التقدم العلمى التكنيكى العاصف ، الذى تنشأ على اساسه القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية ، يزيد من المتطلبات ازاء ثقافة الانتاج وازاء الاعداد التخصصى والتعليمى العام لدى الشغيلة . ومع تطور واستكمال التكنيك ينمو مستواهم الثقافى التكنيكى باستمرار ، وتمحى الحدود بين اصحاب العمل الفكرى والعمل الجسدى . وتزداد اهمية الناحية العقلية والروحية للعمل ، ويصبح الابداع و«الاهتمام الحىّ» بالقضية ، شيئا فشيئا اهم خاصة لديه .

ومع التقدم التكنيكى يفقد العمل طابعه الاحادى الجانب ، الاتجاه الجسدى او الفكرى الغالب ، وينشأ

عمل جديد نوعيا تندمج فيه بصورة عضوية الجهود الجسدية والفكرية .

ولكن ، هلاّ يؤدى انتاج الشيوعية المؤتمت الى جعل الناس يقعدون بدون عمل . كلا ، ليست ثمة اية اسس جدية ما من اجل هذا النوع من التخوف . فالاجهزة الاتوماتيكية ستؤدى الى اضمحلال العمل المضنى ، ولكنها لن تلغى ضرورة بذل جهود معينة فى العمل جسدية كانت ام فكرية ، وهى لن تحول العمل الى لهو .

لقد كان العمل وما يزال وسيبقى الى الابد عملية تفاعل بين الانسان والطبيعة ، عملية الاستيلاء من الطبيعة على وسائل العيش والتطور الضرورية للانسان . علما بانه ، مع تطور العلم والتكنيك سوف تتسع دائرة تأثيره الفاعل على الطبيعة . وسوف يضطر الانسان باطراد متزايد الى العمل فى ظروف صعبة وغير اعتيادية بالنسبة اليه : فى بواطن الارض الحارة ، وفى اعماق المحيط ، وفى رحاب الفضاء الكونى اللامتناهية ، ومن الطبيعى فى هذه الظروف ان يكون الانسان ذا صلابة جسدية شديدة ، وصحة ممتازة ، ومقدرة تذليل الصعاب ، واحيانا اكثر الصعاب مفاجأة ، واشد التوتر العصبى . فحيث يوجد العمل توجد وستوجد دائما صعوبات والنشاط الفعال لعقل الانسان وعضلاته .

التجانس الاجتماعى للمجتمع

ستحدث بانتصار الشيوعية تغيرات عميقة فى العلاقات الاجتماعية ايضا . ففى ظروف الاشتراكية يبقى الانقسام فى المجتمع قائما . ونظرا لوجود تقسيم

العمل بين المدينة والقرية ، وبين اناس العمل الفكرى والعمل الجسدى ، تبقى الفوارق هنا قائمة بين الطبقة العاملة وطبقـــة الفلاحين وفئـــة المثقفين . **وتضع الشيوعية حدا لانقسام المجتمـــع الى طبقات وفئات اجتماعية** . وبتحول العمل الزراعى الى نوع من العمـــل الصناعى وايصال الظروف الاجتماعية الاقتصاديـــة والثقافية المعيشية لحياة القريـــة الى مستوى ظروف الحياة فى المدينة ، سوف تتلاشى الفوارق بين المدينة والقرية ، وبهذا بالذات يزول الى الابد انقسام المجتمع الى طبقة عاملة وطبقة فلاحية . وسوف تزول فى وقت لاحق ايضا الفوارق بين العمل الفكرى والعمل الجسدى وذلك بواسطة انهاض المستـــوى العلمى التكنيكى للطبقة العاملة والطبقة الفلاحية الى مستوى القائمين بالعمل الهندسى التكنيكى . وبنتيجة ذلك لن يبقى من وجود لفئة المثقفين كفئة اجتماعية خاصة . فسوف يتحول العمال والفلاحون والمثقفون الى عاملى المجتمـــع الجديد الذى سيقوم فيه كل فرد من افراده بالعمـــل الفكرى والجسدى معا ، علما بان الجهود الفكريـــة والجسديـــة سوف تندمـــج عضويـــا فى النشاط الانتاجى .

وعلى اساس نجاحات البناء الشيوعى واضمحـــلال الحدود الطبقية وتطور العلاقات الاجتماعية الشيوعيـــة يحصل تقارب لاحق بين الامم الاشتراكية ويتســـع تخالطها وتبادل الخبرة الانتاجية ومنجزات الثقافة .

وتنتهى عملية تقارب الامم ، فى نهايـــة المطاف ، باندماجها . بيد ان اندماج الامم وازالة الفوارق فيما بينها هما عملية تستغرق من الوقت اكثر بكثير مما

يستغرقه محو الفوارق بين الطبقات . فمع انتصار الشيوعية تزول الفوارق الطبقية ، اما الفوارق القومية ، وخاصة فى اللغة فستبقى مدة كبيرة نسبيا .

الادارة الاجتماعية الذاتية

لقد ايقظت الاشتراكية جمهورا ضخما من الشغيلة للمشاركة النشيطة فى الشؤون الاجتماعية . ان ملايين من اعضاء المجتمع الاشتراكى يشاركون فى ادارة الانتاج والحياة السياسية والثقافية . وينمو باستمرار دور المنظمات الاجتماعية فى البناء الاقتصادى والثقافى وفى حل المسائل السياسية ، وتزدهر الديقمراطية الاشتراكية . وحتى فى ظل الاشتراكية يستطيع كل شخص ان يقول باعتزاز : الدولة هى نحن . وهذا امر مفهوم اذ ان دكتاتورية البروليتاريا ، كما سبق ان رأينا ، تتحول فى ظل الاشتراكية الى دولة الشعب بأسره ، الى معبر عن ارادة الشعب بأسره .

وعلى الرغم من ذلك لا يشارك كل فرد من افراد المجتمع ، فى ظل الاشتراكية ، فى الحياة الاجتماعية .

لذا ، فمن المهم للغاية ان يجتاز مدرسة ادارة الدولة ملايين جديدة وجديدة من شغيلة المدينة والقرية . ان الامور تسير باتجاه مشاركة جميع المواطنين بنشاط فى ادارة البلاد .

وتلاشى الدولة لا يؤدى ، بالطبع ، الى احداث الفوضى فى المجتمع طالما ان وظائف الادارة الاجتماعية ، المماثلة لوظائف ادارة حياة المجتمع

الاقتصادية والثقافية والتى تضطلع بها حاليا الدولة ، ستبقى موجودة فى ظروف الشيوعيـــة ايضا بعد ما تتعرض للتغيرات النوعية . هذا ، بالاضافـة الى ان القيام بهذه الوظائف يصبح اسهل لان اعتياد كـــل شخص على العمل حسب قدرته والتقيد بقواعد التعايش الشيوعى يقضيان على امكانية نشوء اى نوع من انواع التطرف والتجاوز . وبنتيجة ذلك سيصبح المجتمـع الشيوعى عبارة عن مجتمع كادحين رفيع التنظيم حيث سيعرف كل شغيل حسنا مكانه ووظيفتـــه فى النظام الاجتماعى وينفذ الامر المعهد اليه فى الموعد المحدد وباشد الاخلاص والنزاهة .

وفى الوقت نفسه سيكون طابـــع واساليب القيام بوظائف ادارة المجتمع فى ظل الشيوعيـــة غير ما هى عليه فى ظل الاشتراكيـــة . فبمقدار تلاشى الفروق الطبقية ابان التقدم نحو الشيوعية تأخذ هيئات الادارة الحكومية شيئا فشيئـا بفقدان طابعهـــا السياسى ، الطبقى . ومع تلاشى الطبقات فى ظل الشيوعية تتحول هذه الهيئات ، وقد اتحدت مع المجتمع فى نهاية المطاف واندمجت مع المنظمات الاجتماعية ، تتحول الى **هيئات الادارة الاجتماعية الذاتية** . وهذا يعنى ان كافة اعضاء المجتمـــع بالذات سوف يضطلعـــون بادارة الحياة الاقتصادية والثقافية . ومما له دلالته انه ستقوم بذلك لا منظمات حكومية ولا سياسية بل اجتماعية . وتزول كل ضرورة الى الاكراه ، وبالتالى ، الى الجهاز الخاص بالاكراه ، والى القواعد الحقوقية التى يثبتها التشريع بصورة خاصة وتحميها الهيئات القضائية والتأديبية .

وعليـــه ، فباضمحلال الطبقـــات **تضمحل الدولة**

بالضرورة فى ظل الشيوعية وتتلاشى . وكتب انجلس بهذا الصدد يقول انه يحل ذلك الوقت عندما يوجه المجتمع الدولة الى مكانها الحقيقى – الى متحف الادوات العتيقة جنبا الى جنب مع المغزل والفأس البرونزية .

٢ – الفرد فى ظل الشيوعية

تشترط الشيوعية ايضا وجود انسان جديد يجمع فى ذاته الغنى الروحى والنقاوة الاخلاقية والكمال الجسدى . فالانسان فى ظل الشيوعية سوف يحظى بتطور منسجم من كافة النواحى ؛ وتتكشف وتزدهر تماما مقدراته ومؤهلاته . والاشتراكية ليست بقادرة بعد على تأمين ظروف متساوية للجميع فى التطور والتربية وتطبيق المقدرات . لنأخذ النساء على سبيل المثال . انهن كادحات رائعات . ولكن ليس سرا على احد ان العديد منهن يتحملن عبئا ثقيلا جدا : فبالاضافة الى العمل فى الانتاج يقع على عاتقهن العبء الرئيسى من هموم البيت والعائلة . وليس من قبيل الصدف ان تكون امكانيات التعليم ورفع الكفاءة والراحة المفيدة ثقافيا محدودة لدى العديد من النساء . وفى ظل الشيوعية يأخذ المجتمع على عاتقه العبء الاساسى من هموم المعيشة ، عندها تكشف المرأة ، وقد تحررت من عدد كبير من الاهتمامات الصغيرة ولكنها مرهقة ، عن مقدراتها ومؤهلاتها باكمل وجه .

والمجتمع الشيوعى ، القائم على الانتاج الرفيع التنظيم المؤتمت ، والمستوى العالى لوعى الشغيلة ،

يخلق ليس فقط ظروفا متساوية لتطوير المقدرات لدى الجميع ، بل واكثر الظروف مؤاتاة من اجل اكمل وارشد تطبيق لمقدرات كل شغيل .

وفى ظروف الانتاج الشيوعى سوف يكون لدى الشغيلة متسع كبير بما فيه الكفاية من اوقات الفراغ من اجل رفع اعدادهم التعليمى العام والانتاجى ، واخذ قسط وافر من الراحة ، ومزاولة الابداع الفنى، وتربية الاطفال ، والتمارين الرياضية ، الخ .

ان تطوير واتقان التكنيك ومكننة واتمتة الانتاج ستؤدى بالاقتران مع ازدياد اوقات الفراغ الى جعل الشغيلة ، الذين يقومون بوظيفة انتاجية محددة ، يتحولون الى شخصيات متطورة من جميع الجوانب ، وقادة لاعقد العمليات الانتاجية ، ومبدعين مباشرين للقيم الروحية .

ومن الطبيعى ان تقسيما معينا للعمل سوف يبقى فى ظل الشيوعية ايضا . ولا يجوز تصور الامر وكأن شغيل المجتمع الشيوعى هو عبارة عن شخص شامل يستطيع القيام باى نوع من انواع النشاط الانتاجى والروحى . فالانتاج الشيوعى يتطلب روحا تنظيمية عالية ودقة وانضباطا . الا ان تخصص الناس الضيق والاحادى الجانب ، الذى يربطهم بنوع واحد فقط من انواع النشاط ، سوف يضمحل . وسوف يحصل الناس على امكانية تغيير نشاطهم وتنويعه . ونظرا لوجود اوقات فراغ فان تغيير النشاط سوف يحصل خارج الانتاج ايضا : ان الشيوعية ستفتح الابواب على مصراعيها امام جميع الناس دون استثناء نحو رحاب العلم والفن والرياضة .

ونتيجة لنجاحات البناء الاشتراكي والعمل التربوي الضخم ترسخت في حياة وعمل الناس في ظل الاشتراكية مبادئ الاخلاق الشيوعية . الا ان بقايا الماضي : الطفيلية ومعاقرة الخمر وغيرهما من المشاين ما تزال قائمة في ظل الاشتراكية . وبالانتقال الى الشيوعية سيتم القضاء عليها بقوة التأثير الاجتماعي وتغدو المبادئ السامية للاخلاق الشيوعية امرا اعتياديا وضابطا وحيدا لسلوك كل عضو من اعضاء المجتمع الجديد . **ان الوعي الشيوعي الرفيع وحب العمل والانضباط والاخلاص لمصالح المجتمع هي صفات ملازمة لانسان الشيوعية** . والروح التنظيمية والدقة البالغة اللتان يتطلبهما منه الانتاج الشيوعي سوف يجري تأمينهما لا بواسطة الاكراه ، بل على اساس الادراك العميق للواجب الاجتماعي .

الشيوعية – ذروة الحرية البشرية

ان الشيوعية تعني اتساعا هائلا للحرية لم يسبق له مثيل . وهي تعني في المقام الاول تحرير الانسان ككادح ، كمنتج للقيم المادية والروحية . فالاشتراكية ، بقضائها على الملكية الخاصة ، ارسخت العمل الخالي من الاستغلال . بيد انه ما يزال باقيا في ظل الاشتراكية عمل جسدي شاق وتخصص ضيق للعامل يعيق تطوره الحر الشامل . اما الشيوعية فتحول العمل الى حاجة حياتية اولى ، الى عادة نبيلة . والعمل ، الرفيع الاتمتة والمكننة والقائم على احدث منجزات العلم ، يغدو عملا ابداعيا وجذابا وغير مرهق جسديا . وفي العمل

الشيوعى الحر سيؤكد الانسان ذاته بوصفه شخصية حرة حقا ومتطورة من جميع النواحى .

وتضمن الشيوعية للفرد تحررا **اقتصاديا** كاملا وحرية للشخص ليس فقط بوصفه خالقا للخيرات المادية والروحية بل وكمستهلك لهذه الخيرات ايضا . لقد حقق المجتمع الاشتراكى الكثير من اجل رفع مستوى معيشة الشعب ، بيد انه ليس بمقدوره بعد ان يلبى حاجات الناس كليا . وسوف تحرر الشيوعية الانسان الى الابد من الصعوبات المادية وتؤمن تلبية كاملة لحاجاته المادية والروحية . ونتيجة لذلك سيحصل الانسان على امكانيات واسعة من اجل العمل فى اكثر مجالات النشاط تنوعا .

وتعنى الشيوعية بلوغ اعلى درجة **للحرية الاجتماعية** ، حرية الشخص **كمواطن ، وكقائد اجتماعى.** ومع اضمحلال الدولة تزول العناصر الاخيرة لاكراه الانسان بواسطة القانون وللرقابة الحكومية على نشاطه . وتشترط الادارة الاجتماعية الذاتية الشيوعية ، التى ستحل محل الدولة ، مشاركة نشيطة وحرة من جانب كل فرد فى ادارة شؤون المجتمع ، وفى تأمين ازدهاره الاقتصادى والروحى .

وسوف يكتسب الانسان فى ظل الشيوعية **حرية روحية** حقة ، ويتحرر نهائيا من مختلف انواع الاوهام والمتاهات من امثال الاوهام الدينية ، اما قوة المعرفة العظمى التى يكتسبها فسوف ترفع كرامته الانسانية الى ارتفاع لا نظير له بوصفه كائنا واعيا وقاهرا لقوى الطبيعة الجبارة وسيدا لها ، بوصفه سيدا مطلقا لمصيره ولمصائر البشرية الحرة . وسوف يكتسب

الانسان اعظم **حرية اخلاقية** . فبعد تحرره من بقايا المجتمع القديم ، الرأسمالى ، سوف يتقيد بحكم العادة **بالقواعد الرفيعة** للتعايش البشرى ، ويتعلم التحكم بافكاره ومشاعره وافعاله بصورة حرة طبق قناعة داخلية ، والتوفيق بينها وبين مصالح الناس الآخرين ، ومصالح المجتمع .

وهكذا ، فالشيوعية هى **قمة الحرية البشرية** . وهى تفسح فى المجال امام الشخصية الحرة حقا والمتطورة بانسجام ، وهى تلبى المتطلبات والحاجات المتنوعة لدى الانسان ككادح ومبدع ، وكمستهلك ، وكقائد اجتماعى ، وككائن مفكر وحساس ، وهى تؤمن افضل تطبيق واستكمال للمؤهلات البشرية .

وكما نرى فان قيام الشيوعية سيكون بمثابة اعظم انعطاف فى تاريخ البشرية العريق فى القدم ، وسيعنى حصول تغيرات عميقة فى كافة ميادين النشاط البشرى : فى الانتاج وطابع وظروف العمل ، وفى العلاقات الاجتماعية والثقافة ونمط حياة الناس ، وفى افكارهم وآرائهم . وسوف تضمن الشيوعية لكل انسان ظروف الحياة التى تتجاوب كليا مع اعز امانيه ، وتستجيب للمثل الانسانية السامية .

وقد جاء فى برنامج الحزب الشيوعى السوفييتى ان «**الشيوعية هى نظام اجتماعى لاطبقى تقوم فيه الملكية الواحدة للشعب بأسره لوسائل الانتاج ، والمساواة الاجتماعية التامة بين جميع اعضاء المجتمع حيث ، الى جانب تطور الناس من جميع النواحى ، ستنمو ايضا القوى المنتجة على اساس العلم والتكنيك المتطورين على الدوام ، وتتدفق جميع مصادر الثروة الاجتماعية**

سيلا كاملا ويتحقق المبدأ العظيم : «من كل حسب قدرته ولكل حسب حاجته» . ان الشيوعية انما هى مجتمع عالى التنظيم لكادحين احرار وواعين تترسخ فيه الادارة الذاتية الاجتماعية ، ويغدو فيه العمل لخير المجتمع حاجة حياتية اولى بالنسبة للجميع وامرا يدركون ضرورته ، وتطبق فيه كفاءات كل فرد بافيد وجه فى صالح الشعب» * .

وتؤدى الشيوعية الرسالة التاريخية العظيمة : اعتاق الناس من اللامساواة الاجتماعية ، من جميع اشكال الاضطهاد ، ومن ويلات الحروب ، وتقيم على الارض السلم ، والعمل ، والحرية ، والمساواة والاخاء ، والسعادة لجميع الشعوب .

الشيوعية تنشأ على اساس الاشتراكية

بعد ان نظرنا فى الاشتراكية والشيوعية كطورين للمجتمع الجديد يمكننا ان نشير الآن الى ان **ميزة** ترسيخ اقدام الشيوعية تكمن ، خلافا للاشتراكية التى تنشأ على اساس الرأسمالية وتتحمل آثارها وشوائبها ، فى ان الشيوعية تنشأ **على اساسها الخاص – على اساس الاشتراكية المتوطدة والمتطورة.** ونتيجة لذلك فان سبل ووسائل قيام الاشتراكية والشيوعية تتمايز فيما بينها مبدئيا . فالاشتراكية تقام فى اعقاب الثورة الاشتراكية والتحطيم الجذرى لدعائم

---

* «برنامج الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى» . موسكو ، ١٩٧١ ، ص ٦٢ .

الرأسمالية الاقتصادية والسياسية والروحية . اما بالنسبة لقيام الشيوعية فلا حاجة للثورة . فالشيوعية تتطور مباشرة من الاشتراكية عن طريق تطور واستكمال اقتصادها وعلاقاتها الاجتماعية وثقافتها الروحية .

والقاعدة المادية التكنيكية للشيوعية تنمو على اساس الانتاج الاشتراكى ، عن طريق تطويره المخطط واتقانه . والملكية الشيوعية الواحدة ستكون نتيجة لتطور شكلى الملكية الاشتراكية واندماجهما التدريجى : ملكية الدولة والملكية التعاونية . وستنمو الادارة الشيوعية الذاتية من دولة عموم الشعب الاشتراكية .

وبما انه توجد بين الاشتراكية والشيوعية فوارق نوعية جدية فان سمات معينة للمجتمع الاشتراكى سوف تزول بالطبع ابان ترسيخ اقدام الشيوعية مخلية المكان لسمات جديدة ، شيوعية . الا ان نفس عملية حلول المجتمع الشيوعى محل المجتمع الاشتراكى تجرى فقط عن طريق تعزيز مبادئ الاشتراكية واستخدامها الشامل والفعال ، عن طيق استخدام كافة الامكانيات الكامنة فى هذه المبادئ . من ذلك مثلا ان المبدأ الشيوعى للتوزيع حسب الحاجة يمكن الانتقال اليه فقط عن طريق تطوير المبدأ الاشتراكى للتوزيع حسب العمل الى اقصى حد واستخدامه استخداما شاملا ، وفقط عندما يستنفد هذا المبدأ كل امكانياته ويغدو ليس غير ضرورى فحسب ، بل وغير ممكن ايضا .

وفى المجتمع الاشتراكى نفسه تتطور باطراد الاشكال الشيوعية للعمل وتنظيم الانتاج والاشكال

الاجتماعية لتلبية حاجات الشغيلة المادية والروحية ، الخ . ومع سير التقدم نحو الشيوعية تأخذ سمات الجديد هذه بالنمو والاتساع مزيلة من طريقها كل ما يعيق التطور التقدمي للمجتمع .

ان الشيوعية تستجيب لالح واعز مصالح واماني الشعوب ، وتمثل النظام الاجتماعى الانسانى حقا واكثر انسانية . ولهذا بالذات فهى تأسر عقول وقلوب ملايين جديدة وجديدة من الناس ، وتحظى بمناصرين ومناضلين جدد وجدد على الدوام فى مختلف بقاع الكرة الارضية .

فى هذا تكمن قوة الشيوعية ، وفى هذا يكمن اهم عامل لانتصار الشيوعية فى العالم بأسره .

الفصل السادس

اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتيــة يبنى الشيوعيــة

تم بجهود الشعب السوفييتى فى الاتحـاد السوفييتى بناء **الاشتراكية المتطورة** التى تتصف باعلى درجات نضوج لجميع مجالات حياة المجتمع (الاقتصاديـة ، السياسية ، الاجتماعية ، الروحية) ، وبأوثق التفاعل والتناسق فيما بينها ، وبامكانيات المجتمع المتعاظمة ، وقدرته على حل مختلف المهمات فى وحدة متكاملة ، وعلى تعجيل نمو الرفاه الشعبى . وقد قال الرفيق بريجنيف ، ضمن خطاب القاه امام ناخبى دائرة باومنسكى الانتخابية فى مدينة موسكو بتاريخ ١٤ حزيران (يونيو) ١٩٧٤ : «فبفضل عمل الملايين البطولى الدؤوب ، بنى فى بلادنا مجتمع اشتراكى ناضج متطور . ورغم ذلك فلا يزال يترتب علينا الآن ان نخصص اموالا طائلة لتطوير قدرة البلاد الاقتصادية

المتسارع ، وضمان جبروتها الدفاعى . ولكن مواردنا اصبحت اكبر بكثير . وهذا يمكننا من تحقيق ما كنا نسعى اليه دوما وهو جعل زيادة رفاهيــة المواطنين السوفييت نواة لسياسة الحزب فى مجال التطبيق» * .

وبعــد انجــاز بناء الاشتراكيــة **يقوم الناس السوفييتيون بالبناء الناجــح للشيوعيــة** . ان بناء المجتمع الشيوعى يتطلب حل ثلاث مهمات اساسية : انشاء القاعدة المادية التكنيكية للشيوعيــة ؛ تكوين العلاقات الاجتماعية الشيوعيــة ؛ تربيــة الانسان الجديد – مواطن المجتمــع الشيوعى وبانيــه العالى الادراك . وهذه المهمات الثلاث مترابطة فيما بينها ترابطا وثيقا . وهى تعبر عن نواح ثلاث مختلفة لعملية واحدة ، عملية تحويل المجتمع الاشتراكى الى المجتمع الشيوعى .

١ – انشاء القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية

التكثيف هو السبيل الاساسى لانشاء القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية

ابان بناء الاشتراكية كان الانتاج العام يتطور تطورا **توسيعيا** بصورة رئيسية ، اى بالدرجــة الاولى على حساب نمو القدرات الانتاجية وزيادة عدد العاملين .

---

* بريجنيف . «كل شىء لخير الشعب وباسم الانســان السوفييتى» . موسكو ، بوليتيزدات ، ١٩٧٤ ، ص ٥ .

اما بالنسبة لاقامة الانتاج الشيوعى ، انشاء القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية ، فيتسم التطوير **المكثف** باهمية حاسمة وهو يرتبط باستخدام احدث المنجزات العلمية التكنيكيــة وباتقان نظام ادارة التطــور الاقتصادى ، على السواء .

فماذا يعنى ، اذن ، تكثيف الانتاج الصناعى عـلى اساس استخدام منجزات الثورة العلمية التكنيكيـــة المعاصرة ؟ انه يعنى :

— التطبيق الشامل للآلات والاجهـــزة والمعدات الحديثة ، واحدث المــواد ، والخامات والوقــود ، والعمليات التكنولوجية العالية الفعالية (الفيزيائيـة — الكيميائية ، الكهربائية — الفيزيائية ، الالكترونيـــة ، وغيرها) ، والتحديث الواسع للمعدات . ويكفى القول ، مثلا ، انه خلال اعوام ١٩٧١ — ١٩٧٤ تم فى البــلاد السوفييتية صنع ١٥٨٣٦ نوعـــا جديدا مـن الآلات والمعدات والاجهزة . وفى عام ١٩٧٤وحده جرى تصميم وصنع حوالى ٤ آلاف نموذج للآلات والمعدات والاجهزة الجديدة .

— اتقان بنيـة الانتاج الصناعى ، والتطوير الاولى والاسبق للفروع ذات المستقبـل والتى تحدد الاتجاه الرئيسى للتقـدم العلمى التكنيكى المعاصر — انتـاج الطاقة الكهربائية ، بناء المكائن ، الصناعة الكيميائية ، صناعة الاجهزة ، الميتالورجيا وخاصة انتاج المعادن العالية النوعيـــة ؛ تحسين النسب داخـل الفروع ، زيادة حصة اكثر انواع الانتاج ريعية من الناحيـــة الاقتصادية التى تؤمن حاجات المجتمع باقل ما يكون من النفقات .

– رفع مستوى تخصص وتعاونية المؤسسات الانتاجية ، وتطوير التعاونية بين الفروع ؛ التطبيق الواسع لتوحيد المجموعات والقطع وجعلها ذات مواصفات قياسية واحدة ؛ تطوير اشكال تجميع الانتاج الملائمة اقتصاديا . وانها لكبيرة بوجه خاص اهمية التخصص الذى يتيح تأمين سياسة علمية وتكنيكية واحدة فى كل فرع ، وغرس احدث منجزات العلم والتكنيك فى الانتاج ، وانسب استخدام للموارد المادية والبشرية والمالية ، والتنظيم الفعال للاعلام العلمى واعمال البحث والتصميم ، واعداد ملاكات عالية الكفاءة واضفاء مواصفات قياسية موحدة على الانتاج . وبايجاز نقول ان التخصص يوفر امكانيات كبيرة امام رفع انتاجية العمل وتحسين نوعية المنتوجات واتقان خدمة السكان وتطوير الثقافة والعلم والتعليم .

– تحسين استخدام المعدات والخامات والمواد والوقود ؛ تقليص نسبة انفاق مدلفنات المعادن الحديدية ؛ الاستعاضة عن المعادن غير الحديدية على نطاق واسع بمواد ارخص ؛ تقليص معدلات صرف الوقود ؛ زيادة المنتجات الجاهزة من الخامات ؛ الاستعمال الواسع للمواد الاصطناعية .

– رفع نوعية المنتجات وتخفيض كلفتها بصورة حادة ؛ زيادة انتاجية واقتصادية وضمانة ومدة عمل الآلات والاجهزة والمعدات ، زيادة مدة خدمة المحركات ، تخفيض وزن الآلات بالنسبة لوحدة القدرة ؛ رفع نوعية المواد والخامات ؛ توسيع تشكيلة بضائع الاستهلاك العام وتحسين نوعيتها .

– التطوير الواسع للابحاث العلمية والاستخدام

السريع لنتائجها فى الانتاج وتطبيق الاختراعات والمقترحات التجديدية . والعلم ، فى هذه الحال ، مدعو لان يستبق فى تطوره الانتاج والتكنيك ، لانه بمقدار ما يعمل العلم على تغذية التطبيق والانتاج بافكار وحلول تصميمية وتكنولوجية جديدة بصورة اكثر خصبا بنفس المقدار يزداد تطور التكنيك سرعة وتزداد وتائر التقدم التكنيكى ونمو الانتاج العام علوا .

– تعجيل نمو انتاجية العمل بواسطة زيادة تجهيزه بالمعدات الكهربائية وتطبيق المكننة والأتمتة الشاملتين للانتاج بصورة مستمرة والاستخدام الواسع لاساليب ووسائل التنظيم العلمى للعمل .

– اتقان توزيع القوى المنتجة بهدف تأمين اكمل استخدام ممكن للموارد الطبيعية والبشرية والمالية ؛ التقليص الاقصى لعمليات النقل البعيدة وغير الرشيدة عن طريق تقريب الانتاج من قاعدة الخامات واليد العاملة والمستهلكين .

– اتقان نظام اعداد الاختصاصيين : العمال ، المهندسين ، التكنيكيين ، المستخدمين ، وجعله متفقا مع متطلبات العلم والتكنيك الحديث .

وهكذا يتضح ان تكثيف الانتاج يدخل تغييرات جذرية الى طابع وبنية الانتاج ، ويغير بصورة جذرية اجزاءه المادية والبشرية على السواء . ويأخذ الانتاج بالتوحد والتمركز ، ويغدو انتاجا بالجملة ، انتاجا متسلسلا . وتصبح تنتج انواع جديدة من المنتوجات التى تجسد احدث المنجزات العلمية التكنيكية وتلبى الحاجات العامة والشخصية المتغيرة على الدوام . ويغدو الانتاج اكثر اتساقا ، وتزداد سرعة العمليات

الانتاجية وتتقلص مدة الدورة الانتاجيــة ، واحجام المنتوجات غير الناجزة ، والقدرات الانتاجية بالنسبة لوحدة المنتوج ، وكمية العمل والطاقة والمواد التى يتطلبها صنع وحدة المنتجات ، وتتحسن طرق نقــل القطع والمجموعات والوحدات ضمن نطاق المؤسسات الانتاجية ، ويستكمـــــل نظام الاشراف على نوعيــة المنتجات الجاهزة وحسابها وتسويقها .

ويكتسب تكثيف الانتاج اهمية حاسمة فى تنميــة الانتاج الزراعى ايضا . وهذا يتطلب جملة كاملة من الاجراءات : نقل الزراعة الى اسس صناعية ؛ رفــع مستوى الزراعة وتربية الماشيـــة على اساس الرى واستخدام المواد الكيميائية والمكننة الشاملة ؛ ادخال احدث منجزات العلم الزراعى والممارسة التقدميــة باستمرار الى الانتاج ، وتخصص الانتاج ؛ التنظيـــم العلمى للعمـــــل ، وحسن استخدام مختلف اشكال التشجيع المعنوى والمادى للعاملين ؛ تطبيق الميزان الاقتصادى بصورة واسعة بغية بلوغ انهاض لاحــق للانتاج الزراعى وانماء انتاجية العمل وتخفيض الكلفة. ان الحرص على الوقت ، والحصول على اكبر النتائج مع اقل النفقات فى اقصر مهلة هما هدف تكثيف الانتاج الزراعى . وتكثيف الانتاج الزراعى يعنى ايضا زيادة نسبة الزلاليات فى الحنطـــــة ، ونسبـــــة السكر فى الشمندر ، ونسبة الزيت فى دوار الشمس . ويتسم العلم باهمية كبيرة خاصة فى تكثيف الزراعة ، نعنى توسيع الابحاث النظريـــــة والتجريبيـــــة فى ميدان الاقتصاد ، والبيولوجيا ، والهندسة الزراعية وعلــم تربية الدواجن ، ومكننة الانتاج . وتزداد كذلـــك

مسؤولية العلماء عن التعليل العلمى لتوصياتهم ، وعن فعالية ادخال المنجزات العلمية الى التطبيق العملى للانتاج الكولخوزى والسوفخوزى .

وفى سير عملية التكثيف يتغير الناس ايضا ، وهم القوة المنتجة الرئيسية ، ويتعمق تقسيم العمل ، وتنشأ مهن جديدة وجديدة وتضمحل القديمة ويعاد تنظيم القائمة منها . وتنمو كفاءة الشغيلة ، وتزداد متطلبات اعدادهم التخصصى والتعليمى العام ، ويرتفع مستواهم الثقافى التكنيكى . وتطرأ تغيرات عميقة على الجماعات الانتاجية وتركيبها المهنى ، ونظام العلاقات المتبادلة بين الناس ، وتبادل نشاطهم وثمار عملهم .

ويعتبر تنفيذ الخطط الخمسية لتطوير الاقتصاد الوطنى فى الاتحاد السوفييتى وخاصة الخطة الخمسية العاشرة (لاعوام ١٩٧٦ - ١٩٨٠) مراحل هامة فى بناء القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية . وتكمن المهمات الاجتماعية الاقتصادية الاساسية ، التى طرحها برنامج الحزب والمؤتمرات الاخيرة والتى يجرى حلها فى الخطط الخمسية ، فى زيادة رفاهية الناس السوفييتيين باستمرار وتحسين ظروف عملهم ومعيشتهم وفى التقدم الملحوظ لرعاية الصحة والتعليم والثقافة ، اى فى كل ما يساعد على تكوين الانسان الجديد وتطوير الفرد من جميع الجوانب واستكمال نمط الحياة الاشتراكى .

ومن المرتأى خلال اعوام الخطة الخمسية العاشرة زيادة الدخل القومى ٢٤ - ٢٨٪ والانتاج الصناعى ٣٥-٣٩٪ وانتاج المنتجات الزراعية ١٤-١٧٪ . وعلى اساس منجزات الاقتصاد تزداد رفاهية الشعب

ويرتفع مستواه الثقافى ويتحسن نظام التعليم والرعاية الصحية والضمان الاجتماعى والخدمة المنزلية * .

وتنمو بصورة متواصلة القدرة الاقتصادية للاتحاد السوفييتى . فقد جرى فى عام ١٩٧٤ انتاج ١٣٦ مليون طن من الفولاذ و٤٥٩ مليون طن من النفط و٩٧٦ مليار كيلوواط ساعة من الطاقة الكهربائية .

ويجرى الاتقان المتواصل لبنية الانتاج الصناعى ، وتتطور بوتائر متجاوزة الفروع التى تؤمن التقدم التكنيكى فى الاقتصاد الوطنى – بناء المكائن ، انتاج الطاقة ، الميتالورجيا ، الكيمياء .

ولنتناول الآن بالتفصيل الثورة العلمية التكنيكية التى تعتبر وسيلة هامة فى تكثيف الانتاج وعاملا جبارا للتقدم الاجتماعى .

الثورة العلمية التكنيكية ونتائجها الاجتماعية

يعتبر جيلنا شاهدا على انتشار **الثورة العلمية التكنيكية** المرتبطة بالنجاحات الهائلة للاتوماتيك والراديوالكترونيك والتليميكانيكا وباستخدام الطاقة الذرية وارتياد الفضاء ومنجزات السيبرنيتيك والكيمياء والفيزياء والبيولوجيا وغيرها من العلوم .

ان اهمية الثورة العلمية التكنيكية هى من العظمة بحيث ان اى حدث هام من احداث التاريخ البشرى المعاصر لا يمكن فهمه بدون التحليل الشامل لهذه

---

* «مواد المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعى السوفييتى» ، ص ٤٠ .

الثورة بالذات ، وبالمقام الاول لنتائجها الاجتماعية .

لقد غدا ميدان التقدم العلمى التكنيكى فى عصرنا احد اهم مضامير الصراع والتنافس بين النظامين الاجتماعيين المتعارضين : الاشتراكية والرأسمالية . ويقول لينين : «... ان الغلبة لمن يملك ارقى الاعتدة والتنظيم ، والانضباط وخيرة الآلات» * . وكان لينين يدعو الى «امتلاك العلم والتكنيك وكافة المعارف» التى لا يمكن ، فى اعتقاده ، بناء الاشتراكية بدونها .

وسيرا على وصايا لينين يولى الحزب الشيوعى السوفييتى عناية دائمة بتطوير العلم والتكنيك .

ان الثورة العلمية التكنيكية تنتشر فى النظامين الاجتماعيين المختلفين : الاشتراكى والرأسمالى . ولكن ، بما ان قوانين تطور المجتمع وكذلك هدف الانتاج العام فى هذين النظامين مختلفة مبدئيا ، فان دوافع التقدم العلمى التكنيكى مختلفة ايضا ، كما هى مختلفة نتائجه الاجتماعية الاقتصادية وآفاقه .

فالدافع الرئيسى للتقدم العلمى التكنيكى فى ظل الرأسمالية هو الربح والصراع التنافسى القاسى . ان الركض وراء الربح والسعى الى سحق المنافسين فى السوق هما بالضبط اللذان يجبران الرأسماليين على تطوير العلم واتقان التكنيك والتكنولوجيا على اساسه . ويستغل رأسماليو اكثر البلدان تطورا (الولايات المتحدة الاميركية ، انكلترا ، جمهورية المانيا الاتحادية ، اليابان وغيرها) ، يستغلون بمهارة

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٦ ، ص ١١٦ .

احدث منجزات العلم والتكنيك من اجل انماء الانتاج وزيادة انتاجية العمل ونوعية المنتجات ، الخ . ويكون من الخطأ الجدى ، فى هذا الصدد ، عدم تقدير منجزات العلم والتكنيك فى هذه البلدان حق قدرها ، وبصورة اولى الاستهانة بتجربة استخدامهـــا هذه المنجزات فى الانتاج طالما ان هذه التجربة يمكن ويجب استخدامها فى ظروف الاشتراكية مع اخذ الخواص النوعية للاقتصاد الاشتراكى بالحسبان ، بالطبع .

ولا يجوز فى الوقت نفسه عدم رؤيـــة التناقضات العميقة للتقدم العلمى التكنيكى فى ظل الرأسمالية . فالعلم والتكنيك هما هنا اداة للاستغلال . لذا ، فليس من قبيل الصدف ان الامبريالية غالبا ما تحكم على العلم والتكنيك بتطور وحيد الجانب ، والحال ان الاحتكاريين يعتنون على الاخص بتطوير تلك الفروع العلمية التى تدر عليهم اكثر الارباح . الا انهم يبدون اهتماما خاصا بتطوير تلك الفروع التى تعمـل فى الانتاج الحربى ، فالبزنس الحربى هو اكثر الفروع فائدة وضمانة . ان العسكرة هى سمة مميزة خطرة للغاية للعلم والتكنيك فى المجتمع الرأسمالى المعاصر .

وبفعل تقدم العلم والتكنيك يبدى الانتاج الرأسمالى ميلا نحو الاتساع ، فى حين ان القدرة الشرائيـة لدى السكان محدودة ، اما التصريف فى الاسواق الخارجية فيعيقه الصراع التنافسى . وتعمل الآلات والاجهـزة الجديدة على ازاحـــة الكادحين المتعددين من دائرة الانتاج الرأسمالى ، الامر الذى يؤدى الى ازدياد البطالة ويقلص القدرة الشرائية ، وبذلك بالذات يكبح التقدم العلمى التكنيكى . وتسبب الفوضى والمنافسة الاسرار

التجارية فى العلم مما يعرقل التعاون العلمى التكنيكى ويخلق توازية فى العمل . وتضع الاحتكارات آلافا عديدة من الاختراعات والاكتشافات الهامة على الرف بانتظار ارتفاع «قيمتها التجارية» .

وانه لمغاير تماما هدف وآفاق ونتائج الثورة العلمية التكنيكية فى ظروف الاشتراكية . فالاشتراكية تقيم التنظيم المخطط للانتاج من اجل تأمين رفاهية جميع اعضاء المجتمع وتطويرهم من كافة الجوانب . لذا تفسح الاشتراكية والشيوعية فى المجال امام تطور الثورة العلمية التكنيكية ، وتستخدمان منجزات العلم والتكنيك لا من اجل الحاق الضرر بالناس ، كما يحصل ذلك غالبا فى ظل الرأسمالية ، بل لما فيه خير الانسان الكادح .

ويشكل العلم فى المجتمع الاشتراكى احدى اهم وسائل تطوير الانتاج ورفع رفاهية الشغيلة المادية ومستواهم الثقافى . وهو عامل هام لبناء الشيوعية . ويعود للعلوم الطبيعية دور حاسم فى تطوير واتقان التكنيك واستكمال الخبرات الانتاجية لدى الشغيلة ، وفى رفع مستواهم الثقافى التكنيكى . واهمية العلوم الاجتماعية كبيرة ايضا . فهى ، بتسليحها الناس بمعرفة قوانين حياة ونشاط وتطور المجتمع ، تشكل الاساس العلمى لقيادة العمليات الاقتصادية والاجتماعية ، وتلعب دورا ضخما فى التربية الشيوعية وفى امتلاك الشغيلة ناصية العقيدة المادية الدياليكتيكية .

والعلم فى ظروف الاشتراكية اداة جبارة للسلم والابداع والتقدم الاجتماعى الذى لم يسبق له مثيل . وتكمن اهم ميزات العلم فى شعبيته الكبيرة التى تبرز

ليس فقط فى انه يخدم الشعب بل وفى ان الشعب قد حظى بامكانية الولوج الى رحاب العلم . وعشرات الآلاف من العلماء السوفييتيين قد انحدروا من الشعب الذى يهبونه كل قواهم ومعارفهم . وبمعية العلماء يدفع العلم السوفييتى الى الامام ايضا ملايين من مجددى الانتاج والمخترعين والمبتكرين من عداد العمال والكولخوزيين .

ويتيح النظام الاشتراكى اجراء ابحاث علمية طبقا لخطة الدولة العامة وتنسيق عمل المؤسسات العلمية الكثيرة العدد ، الامر الذى يوفر امكانية تركيز انتباه وقوى العلماء على حل اهم المسائل . والعقيدة الدياليكتيكية المادية ، السائدة فى ظل الاشتراكية ، تحرر العلم من التأثير الوخيم العاقبة الذى تمارسه المثالية والدين ، وتسلح العلماء بالمنهاجية العلمية الوحيدة لاستقصاء العمليات الطبيعية والاجتماعية .

تحول العلم الى قوة منتجة

فى سير بناء الشيوعية يروح العلم يندمج اوثق فاوثق بالانتاج الذى يستخدم بدوره منجزات العلم باتساع متزايد . **ان العلم يتحول اكثر فاكثر الى قوة منتجة مباشرة للمجتمع البشرى** . بيد ان تحول العلم الى قوة منتجة للمجتمع لا يعنى ابدا انه اصبح عنصرا مستقلا جديدا من عناصر القوى المنتجة الى جانب وسائل الانتاج والناس العاملين فى الانتاج . فالعلم يكتسب دور القوة المنتجة ليس بنفسه بل فقط من خلال التجسيد **التكنولوجى والبشرى** .

ففى مَ ، اذن ، يتجلى عمليا دور العلم كقوة منتجة؟

اولا . **تتجسد** منجزات العلم **فى التكنيك والتكنولوجيا التقدميين** . ففى الوقت الحاضر اخذت تنشأ فى نطاق العلم فروع كاملة للانتاج (الطاقة النووية ، كيمياء البوليمرات ، الانتاج الميكروبيولوجى ، راديوالكترونيك ، وغيرها) ، ويستحيل وجود هذه الفروع بدون العلم . واخذ الانتاج يصبح باطراد متزايد موضعا لاستخدام تكنولوجى للعلم وتجسيدا لقوة المعرفة ومختبرا هائل الاتساع تنضج فيه احدث المنجزات العلمية ، وتجرب وتستخدم .

ثانيا . **تتجسد** منجزات العلم **فى الانسان – المنتج ، فى معارفه ومهاراته وخبرته المهنية** . وقد اخذ الانتاج الممكنن الشامل ، وبصورة اولى الانتاج المؤتمت ، يملأ العمل بمحتوى عقلى اكثر فاكثر ، ويتطلب من العامل مستوى ثقافيا تكنيكيا ومهنيا عاليا . ويساعد العلم الانسان العامل فى الانتاج ، بتسليحه اياه بالمعارف العصرية ، فى زيادة كفاءته ورفع انتاجية العمل ومشاركته النشيطة فى التجديد والابتكار .

ثالثا . **يدخل النشاط العلمى باطراد متزايد دائرة الانتاج المادى المباشر ويغدو عملا منتجا** . وتصبح الابحاث العلمية تجرى بنطاقات متزايدة الاتساع فى الانتاج مباشرة : فى معاهد البحث العلمى الكثيرة العدد ومعاهد التصميم والمختبرات والاقسام التابعة للمصانع والمعامل والكولخوزات والسوفخوزات . وبكلمة اخرى نقول ان دائرة العلم تغدو احد المشاغل الرئيسية للانتاج المعاصر .

ان موضوع تحول العلم الى قوة منتجة مباشرة ينسحب بالدرجة الاولى على العلوم الطبيعية

والتكنيكية : الميكانيكا ، الفيزياء ، الكيمياء ، البيولوجيا وغيرها . هذا ، بالاضافة الى ان العلوم الاجتماعية ايضا ، وخاصة الاقتصادية منها ، اخذت تنفذ فى الانتاج بنشاط متزايد. وتساعد هذه العلوم ، باستخدامها الاساليب الرياضية والآلات الالكترونية الحاسبة ، على اتقان ادارة الانتاج ، وتمهد الطريق امام افضل استخدام للموارد المادية والبشرية والمالية ، الامر الذى يتسم باهمية خاصة فى ظل النطاقات الضخمة للانتاج المعاصر . ناهيك عن الدور الكبير جدا الذى تلعبه العلوم الاجتماعية فى تكوين الخلق الروحى للمنتجين وعقيدتهم .

والعلم مدعوّ ليس فقط الى رؤية اليوم الحاضر بل والغد ايضا ، وخلق «احتياط» للمستقبل ، وحل اهم القضايا النظرية التى تمهد الطريق امام التقدم الاجتماعى وتفتح سبلا جديدة فى العلم والتكنيك .

ان العلم ، بوصفه مضمارا هاما للحياة الاجتماعية ، ينمو ويتطور بصورة عاصفة . ويتزايد عدد الباحثين العلميين والمؤسسات العلمية : بلغ عدد الباحثين فى الاتحاد السوفييتى ١١٦٩,٧ الف شخص فى آخر عام ١٩٧٤ مقابل ١١,٦ الف شخص عام ١٩١٣ . كما ان النفقات على العلم تزداد بوتائر تسبق وتائر نمو الدخل القومى وانتاج المنتجات الصناعية .

ان امكانيات العلم السوفييتى ابعد من ان تكون قد استنفدت بعد . ولهذا السبب بالذات يولى الحزب والحكومة اهتماما كبيرا لاتقان نظام التخطيط وادارة وتحفيز الابحاث العلمية ، ورفع فعالية العلم الاقتصادية والاجتماعية ، وتعزيز وتطوير روابط العلم

بالانتاج . ولهذا الغرض يجرى انشاء مؤسسات علمية جامعة من مهماتها اجراء كل مجموع اعمال البحث والتصميم والانتاج بما فيها الانتاج المتسلسل للمنتجات الجديدة . وتجرى اقامة معاهد للبحث العلمى فى المؤسسيات الانتاجية الضخمة ، وتقوية مبدأ التخطيط باعتباره مقدمة هامة لرفع فعالية الابحاث العلمية واستخدامها فى التطبيق بصورة اسرع .

لقد طرح المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعى السوفييتى امام الحزب والشعب السوفييتى بأسره مهمة تاريخية هامة : «**الجمع عضويا بين منجزات الثورة العلمية التكنيكية وبين افضليات النظام الاشتراكى للاقتصاد** ، والتطوير الاوسع لاشكالنا فى التوحيد بين العلم والانتاج والملازمة للاشتراكية» * . واكد المؤتمر الخامس والعشرون للحزب الشيوعى السوفييتى على ما لهذه المهمة من الاهمية الحيوية .

الاصلاح الاقتصادى

يعتبر الاصلاح الاقتصادى احد اهم الاجراءات الموجهة نحو تكثيف الانتاج الاشتراكى فى الاتحاد السوفييتى والذى اتخذت قرارا بشأنه دورة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى فى شهر ايلول (سبتمبر) من عام ١٩٦٥ ، وصادق عليه المؤتمر الثالث والعشرون للحزب . ويكمن جوهر الاصلاح فى

---

* «مواد المؤتمر الرابع والعشرين للحزب الشيوعى السوفييتى» ، ص ٥٧ .

تقوية دور الاساليب الاقتصاديــــة للادارة واتقان التخطيط الحكومى وتوسيع الاستقلالية الاقتصاديـة والمبادرة لدى المؤسسات الانتاجية وتطبيق الميزان الاقتصادى بجميع الوسائل وتحسينه .

ولنتناول هذه المسائل بالتفصيل .

نقول بادئ ذى بدء ان الاصـــلاح يغير بصورة محسوسة نظام تخطيط عمل المؤسسات الانتاجيــة . ففى حين انه كان يجرى من المركز ، قبل الاصلاح ، وضع عشرات من مختلف المؤشرات للمؤسســـات الانتاجية ، وبهذا بالذات يجرى من الاعلى ترتيـــب نشاطها الاقتصادى بالتفصيل ، فقد اقر الاصلاح بضعة مؤشرات فقط تحدد بطريقة مركزية ، وهى : حجـم تسويق المنتجات ؛ اللائحة الاساسيــة للمنتجات ، حصيلة الربح الريعيــة ؛ الصندوق العام للاجور ؛ المدفوعات للميزانية والاعتمادات من الميزانيــة ؛ حجم التوظيفات الممركزة وتدشين القدرات الانتاجيـة والصناديق الاساسية ؛ المهمات الاساسية لتطبيـــق التكنيك الجديد ؛ مؤشرات التزويد المادى التكنيكى .

وفى حين ان المؤشر الاساسى السابق فى تقييم عمل المؤسسة الانتاجية كان مؤشر المنتوج الاجمالى ، فقد اصبح الآن حجم تسويقه ، اى بيعه . علما بانه قد تم اتباع نظام يؤخذ فيه بالحسبان لا اى نتاج مسوّق كان بل ذلك النتاج فقط الذى يتجاوب مع متطلبات المستهلك والذى تنص عليه الاتفاقيات او المعاهدات المطابقة بين المستهلك والمنتج . وهذا الامر الجديد يرفع الى حد كبير من دور المستهلك فى الانتاج وسوف يساعد بلا شك على رفع نوعية المنتجات . فالمنتوج ،

الذى يقبل عليه المستهلك ويدفع ثمنه وفقا للالتزامات المتبادلة بين المنتج والمستهلك ، هو بالذات ذلك المنتوج الذى يدرج فى لائحة تنفيذ الخطة . وبحجم تصريف هذا المنتوج بالذات يحدد قبل كل شىء صندوق الاجور والمكافآت ورفاه اسرة العمل بصورة عامة . وليس من الصعب على المرء ان يرى ان لاسرة العمل فى هذه الظروف مصلحة ليس فقط فى كمية المنتجات بل وفى رفع نوعيتها ، وفى تسليمها فى المهلة المحددة ، وفى اتساع وتنوع تشكيلتها . ومن الضرورى من اجل ذلك دراسة الطلب على المنتجات ، وتخطيط رغبات المستهلكين للمستقبل واخذها بعين الاعتبار ، الامر الذى يساعد على نشر المبادرة الخلاقة لاسر عمل المؤسسات الانتاجية باتجاه البحث عن طرق لرفع نوعية المنتجات .

والاصلاح يعزز الميزان الاقتصادى – المبدأ الاساسى لتدبير الشؤون الاقتصادية الاشتراكية ، ويرفع دور الربح فى النشاط الاقتصادى . ويقوم الميزان الاقتصادى على المقارنة بالشكل النقدى بين نتائج النشاط الاقتصادى والنفقات . وعند ذلك يجرى التعويض عن النفقات من المداخيل الخاصة للمؤسسات الانتاجية . ولدى وجود تنظيم جيد يؤمن الميزان الاقتصادى ريعية (ربح ، مدخول) المؤسسة الانتاجية ، اى تفوق المداخيل على النفقات . ويقر الاصلاح مصلحة العاملين المادية ومسؤوليتهم الصارمة فى توفير الموارد المادية والبشرية والمالية .

ويشكل الربح او الريعية احد اهم مؤشرات عمل المؤسسة الانتاجية . ففى قيمة الربح ينعكس مباشرة

نجاح او اخفاق اسرة العمل ، والانتاج والتصريف ، وكمية ونوعية المنتجات ، الخ . ولا يقتصر الاصلاح على طرح مهمة جعل المؤسسات الانتاجية الاشتراكية مربحة بل ويحدد طريقة استخدام الربح . فعلى حساب الربح يجرى انشاء : صندوق تطوير الانتاج ، وبنتيجة ذلك تحصل المؤسسة الانتاجية على امكانية اتقان التكنيك والتكنولوجيا بنفسها ؛ وصندوق التشجيع المادى للعاملين بشكل جوائز وعلاوات على الاجور ، الخ تضعها اسرة العمل بنفسها ؛ وصندوق التطور الاجتماعى الثقافى والبناء السكنى (علاوة على المبالغ التى تخصصها الدولة لهذا الغرض بطريقة ممركزة) .

يتضح مما سبق ان الاصلاح الاقتصادى يوسع الى حد كبير الاستقلال الاقتصادى للمؤسسات الانتاجية . بيد ان ذلك لا يعنى ابدا ان هذه المؤسسات تصبح خارج ادارة الدولة . بل على العكس ، فعن طريق ممارسة التأثير على المصالح الاقتصادية للمؤسسات بواسطة الميزان الاقتصادى والربح وقيمة الاجور والقروض وغيرها من المقولات المرتبطة بعلاقات القيمة ، تحصل الدولة على امكانية ادارة المؤسسات بصورة اكثر فعالية مما لو كان ذلك بالاسلوب الادارى البحت . والى جانب الاساليب الادارية فى توجيه الاقتصاد الوطنى تكتسب اهمية متزايدة باطراد الاساليب الاقتصادية القائمة على الحساب الدقيق ، على اخذ الامكانيات الواقعية والاحتياطيات والمصالح المادية للشغيلة بعين الاعتبار .

وبما ان مسائل استخدام قانون القيمة وما يرتبط به من علاقات بضاعية نقدية ، اى استخدام مقولات

كالبضاعة والسعر والربح والقرض وغيرها ، تحتل مكانا هاما فى الاصلاحات الاقتصادية الجارية فى البلدان الاشتراكية ، فان خصوم الاشتراكية يحاولون البرهنة على ان الاقتصاد الاشتراكى آخذ فى الانحطاط ، كما يزعمون ، وانه يتدحرج شيئا فشيئا باتجاه المواقع الرأسمالية .

ونقول بالمناسبة ان الاصلاح انما هو اصلاح اشتراكى متعاقب لانه يتحقق على اساس الملكية الاجتماعية الاشتراكية ، التى هى اس اسس الاشتراكية ، وفى ظل الدور الضابط ، الرئيسى الذى يضطلع به قانون التطوير المخطط والمتناسب للاقتصاد وانعدام وجود الاستثمار .

اما فى ما يتعلق بقانون القيمة والعلاقات البضاعية النقدية وما يرتبط به من مقولات (الميزان الاقتصادى ، الربح ، الخ) ، وعلى الرغم من انها تشبه من حيث الشكل المقولات المماثلة فى الرأسمالية ، فهى تكتسب فى المجتمع الاشتراكى مضمونا جديدا نوعيا . ففى حين انها تشكل فى ظل الرأسمالية اداة للاستثمار ووسيلة للحصول على الربح الرأسمالى ، فغايتها فى ظروف الاشتراكية تكمن فى مساعدة تطوير الانتاج ورفع الرفاه الشعبى على هذا الاساس .

لنأخذ الربح على سبيل المثال .

الربح فى ظروف الاشتراكية ، شأنه فى ظل الرأسمالية ، هو عبارة عن الفرق بين النفقات على هذه البضاعة او تلك وبين الدخل الحاصل من بيعها .

والركض وراء الربح هو القوة المحركة للانتاج وغايته فى ظل الرأسمالية ، والشكل الشامل للاستغلال ،

والاستئثار بالنتاج الفائض . اما فى ظل الاشتراكية فالربح ، على الرغم من انـــه يعتبر احد اشكال النتاج الفائض ، فهو ملك للشغيلة فقط وليس لاى احـــد آخر غيرهم . ويأتى قسم من الربح الى تلبية حاجات المجتمع بأسره ، والقسم الآخر الى تلبية حاجـــات المؤسسات الانتاجية واسرة العمل وعاملين منفردين . ومن هنا ينبع الدور الهام للربح باعتباره ليس فقط مؤشرا للفعالية بل وحافزا فى تطوير المؤسســـــــة الانتاجية وفى رفع فعالية عملها .

ويرتدى الاصلاح ليس فقط طابعا اقتصاديا بـــل واجتماعيا وسياسيا ايضا . وهو موجه نحو رفع فعالية الانتاج الصناعى . وبما ان الصناعـــة هى اس اسس الاقتصاد الوطنى والمجتمع عامة فسوف تكون للاصلاح نتائج اجتماعية سياسية هائلة .

وسوف يتيح تطور الصناعة تأمين النهوض اللاحق للزراعة بدرجة اكبر مما هى عليه الآن ، وتزويدهـــا بالمعدات الحديثة وبالمواد الكيميائيـــة وغيرهـــا من وسائل زيادة مردود الانتاج الزراعى . ويساعد التقدم التكنيكى فى الصناعة ، وفى الزراعة على هذا الاساس ، فى رفع المستوى الثقافى التكنيكى للطبقة العاملـــة والفلاحين . وزيادة انتاجية العمل فى الصناعة ستتيـــح رفع مستوى الرفاه الشعبى وتحقيق نجاحات جديدة فى تطوير العلم والثقافة ، الخ .

ويتسم نمو الصناعة الاشتراكية باهمية عالميـــة ضخمة ، لان ذلك يتيح بلوغ نتائج اعلى فى المنافســـة الاقتصادية بين الاشتراكية والرأسمالية ، الامر الذى سيمارس تأثيرا كبيرا على تقوية العملية الثوريـــة

العالمية . ويتوطد دفاع البلاد وترتفع مكانة الاتحاد السوفييتي والاشتراكية فى الحلبة الدولية وتأثيرها على سير التطور العالمى .

وتعمل حاليا وفق نظام الاصلاح الاقتصادى الصناعة باكملها وعدد كبير من مؤسسات البناء والخدمات المعيشية . ويشرف على الانتهاء انتقال كل الاقتصاد السوفييتي الى النظام الجديد لتدبير الشؤون الاقتصادية . ويجرى اتقان الاصلاح نفسه .

٢ – من العلاقات الاجتماعية الاشتراكية الى العلاقات الاجتماعية الشيوعية

نحو المساواة الاقتصادية

ان اكبر مهمة اجتماعية من مهمات البناء الشيوعى هى بلوغ **المساواة الاجتماعية الكاملة** التى تفترض حتما المساواة الاقتصادية ، اى خلق فرص متكافئة لجميع اعضاء المجتمع فى تلبية متطلباتهم المادية والثقافية . وهذه المساواة سيتم تحقيقها فقط لدى بلوغ الوفرة وبتحويل العمل الى حاجة حياتية اولى وبالانتقال الى المبدأ الشيوعى للتوزيع : «من كل حسب قدرته ولكل حسب حاجته» .

اما فى ظروف بناء الشيوعية فيعمل المبدأ الاشتراكى للتوزيع : «من كل حسب قدرته ولكل حسب عمله» . وهذا يعنى ان مقياس تلبية حاجات كل فرد من افراد المجتمع يتوقف هنا على مساهمته العملية ، على كمية ونوعية العمل الذى يبذله .

والمساواة الاقتصادية يتم بلوغها لا عن طريق

تساوى مستويات التوزيع بل بواسطة استكمال المبدأ الاشتراكى للتوزيع حسب العمل ورفع المصلحة المادية الخاصة للشغيل فى نتائج عمله . وعلى اساس التقدم التكنيكى وتطور العلم والثقافة يرتفع الاعداد التعليمى العام والمهنى لدى العاملين وتزداد نسبة العمل الكفوء ، وبالتالى العمل ذى الاجر الاعلى ، عن طريق انخفاض نسبة العمل غير الكفوء ، وبالتالى الاقل اجرا . وبهذا بالذات يتحقق تساوى المداخيل الفعلية للشغيلة والبلوغ التدريجى للمساواة الاقتصادية .

ويتم بلوغ رفع المداخيل الفعلية للسكان فى الاتحاد السوفييتى عن طريق زيادة اجور العمال والمستخدمين ، وزيادة المداخيل النقدية والمادية للكولخوزيين ، وتخفيض الاسعار فى التجارة الحكومية والتعاونية ، وتوسيع الاستهلاك من الصناديق الاجتماعية .

وقد تم عمل الكثير بوجه خاص من اجل زيادة اجور الشغيلة خلال الاعوام الاخيرة . ففى غضون الاعوام الاربعة الاولى من الخطة الخمسية التاسعة (١٩٧١-١٩٧٤) انفقت الدولة على دفع الاجور مبالغ تزيد بمرة ونصف المرة عما انفقته خلال الخطة الخمسية السابقة . وقد ازدادت الاجور فى غضون هذه الفترة لدى ٤٧ مليون شخص .

وعلى اساس نمو الانتاج المادى ارتفعت المداخيل الفعلية فى الاتحاد السوفييتى بالنسبة للفرد من السكان ٢٠,٥٪ واتعاب عمل الكولخوزيين ٢٥٪ خلال اعوام ١٩٧١ - ١٩٧٤ .

وتجرى تلبية حاجات الناس ، فى ارتباط لا ينفصم بمبدأ التوزيع حسب العمل وبمقدار متزايد باطراد ، على حساب الصناديق الاجتماعية . وهذه الصناديق تعيّن من اجل تلبية حاجات الشغيلة بدون مقابل .

وعلى حساب الصناديق الاجتماعية ، التى تعتبر شكلا جديدا لتلبية متطلبات الشغيلة خلقته الاشتراكية ، تنفق الاموال على دور الحضانة ورياض الاطفال ، والمدارس الداخلية ، والمصحات ، ودور الراحة والاستجمام ، وعلى التعليم ، والخدمة الطبية والثقافية ، وعلى دفع معاشات التقاعد ، ومنح الطلاب ، وعلى دفع رسوم السكن والخدمات العامة ، الخ . ومما له دلالته ان حجم الصناديق الاجتماعية ينمو باستمرار الى جانب نمو الاجرة الفردية . ففى حين دفع من الصناديق الاجتماعية للسكان ٦٣,٩ مليار روبل عام ١٩٧٠ ، فقد وصل هذا المبلغ عام ١٩٧٥ الى ٩٠ مليارا . وتوجه الزيادة فى مبالغ الصناديق الاجتماعية بالدرجة الاولى نحو تحسين الضمان التقاعدى ، والتربية الاجتماعية للاطفال ، وتحسين الرعاية الصحية والخدمة الثقافية المعيشية للسكان .

ويتجاوب سد الحاجات من خلال الصناديق الاجتماعية مع الطبيعة الجماعية للاشتراكية ، ويتيح التنظيم الرشيد للتعليم والخدمة الطبية والضمان الاجتماعى وغيرها ، ويساعد على تحرير المرأة من الهموم البيتية المرهقة ، ويربى فى نفوس الناس ميزات اخلاقية رفيعة .

ويزداد انتاج واستهلاك السلع الصناعية ، وتتسع تشكيلتها وترتفع نوعيتها . ونما الى حد كبير انتاج

واستهلاك المواد الغذائية ، وخاصة منتجات اللحم ، والبيض والجبنة وغيرها .

ويجرى بنجاح ايضا تحقيق البرنامج العظيم للبناء السكنى . فخلال اعوام ١٩٧١ - ١٩٧٤ تم بناء ٨٩٩٦ الف شقة بمساحة اجمالية تبلغ حوالى ٤٣٤,٩ مليون متر مربع ، وانتقل ملايين من الناس السوفييت الى شقق جديدة .

وعليه ، فان استكمال المبدأ الاشتراكى للتوزيع حسب العمل بالاقتران مع النمو الصاعد للصناديق الاجتماعية والتقريب التدريجى بين مستوى مداخيل مختلف اصناف الشغيلة - ذلك هو الطريق الملموس لتحويل مبدأ التوزيع الاشتراكى الى مبدأ التوزيع الشيوعى وبلوغ المساواة الاقتصادية ، وبهذا بالذات خلق ظروف اقتصادية مماثلة من اجل تطور جميع اعضاء المجتمع . وتتوقف سرعة حلول هذه المساواة على سرعة تطور القوى المنتجة وازدياد انتاجية العمل وعلى مدى اتساع نشر النشاط العملى للشعب السوفييتى .

قد يبدو للوهلة الاولى ان ارتفاع الرفاه الشعبى هو مهمة اقتصادية محضة . بيد ان الامر ليس كذلك بالمرة ، اذ ان حل هذه المهمة يتمخض عن اعظم النتائج الاجتماعية .

ان بلوغ مستوى عال من الرفاه لكل عضو من اعضاء المجتمع والمساواة الاقتصادية يعنى خلق فرص وشروط متكافئة من اجل تطوير المؤهلات من شتى النواحى وتطبيقها على افضل وجه لما فيه خير المجتمع والفرد ذاته . فالشخص الحسن الحال من الناحية

المادية يملك من الامكانيات الاكثر تعددا لتطوره ، وخاصة تطوره الثقافى ، مما يملك الشخص الاقل يسرا . ولديه مزيد من اوقات الفراغ من اجل الاشتراك بصورة نشيطة فى ادارة شؤون المجتمع والقيام بنشاط ابداعى فى ميدان العلم والتكنيك والادب والفن ، والتكامل جسديا واخلاقيا .

وقد كتب انجلس يقول ان التوزيع حسب الحاجة والمستوى العالى للرفاهية «يمكنان **كافة** اعضاء المجتمع من التطور الشامل ما امكن ، ومن المحافظة على مؤهلاتهم واظهارها» * . وسوف يتحرر الانسان تدريجيا من الورطات المالية اليومية ، التى غالبا ما تكون حتى وقتنا الحاضر مرهقة وتتطلب كثيرا من الوقت والجهود ، ومن اعتبارات الاجرة وفكرة الفائدة المادية الشخصية ، الامر الذى يتيح له تكريس نفسه كليا لخدمة مصالح المجتمع والبشرية الكادحة بأسرها .

ويرفع نمو الرفاه الشعبى ، بالاضافة الى ذلك ، من المكانة الدولية للاشتراكية ، ويساعد على اجتذاب جماهير كادحة جديدة وجديدة فى العالم غير الاشتراكى الى جانبها .

تلاشى الفروقات الجوهرية القائمة بين المدينة والقرية

تقضى الاشتراكية ، كما سبق القول ، على التضاد بين المدينة والقرية . الا انه تبقى فيما بينهما

---

* ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ٢٠ ، ص ٢٠٦ .

فروقات ملموسة تجرى تصفيتها ابان البناء الشيوعى .

ففى م َ تتجلى الفروقات بين المدينة والقرية ؟

تتميز المدينة عن القرية فى انها ، شأن الصناعة عامة ، مرتبطة بملكية الدولة ، فى حين انه توجد فى القرية ، الى جانب ملكية الدولة (السوفخوزات وبعض المؤسسات الاخرى) ، الملكية التعاونية الكولخوزية ايضا . وتتميز المدينة عن القرية كذلك من نواح عديدة اخرى ، منها مثلا ان المدينة تتجاوز القرية من حيث مستوى تطور القوى المنتجة ، ونسبة التجهيز التكنيكى ، وخاصية العمل وتقسيمه ، ومن حيث مستوى الرفاه المادى والثقافة ، وتنظيم المعيشة ، ونسبة توفر وسائل النقل والاتصالات ، الخ .

وتبعا لذلك فان تذليل الفروقات الجوهرية القائمة بين المدينة والقرية يفترض التقريب بين الملكية التعاونية الكولخوزية وملكية الدولة ودمجهما تدريجيا فى ملكية واحدة **لعموم الشعب** ، وتغيير طابع العمل الزراعى وتحويله الى نوع من العمل الصناعى ، واعادة تنظيم الثقافة والمعيشة فى الريف .

لننظر الآن فى مسألة الملكية . ان ما يزيد فى اهمية النظر فى هذه المسألة هو ان تقريب ، ومن ثم دمج ، شكلى الملكية يعتبران اساسا اقتصاديا لتصفية الفروقات الجوهرية القائمة بين العمال والفلاحين ، اى **تصفية الفروقات الطبقية** ، الامر الذى يشكل مهمة اجتماعية ذات شأن للبناء الشيوعى .

ان امكانية تقريب ومن ثم دمج ملكية الدولة والملكية التعاونية الكولخوزية فى ملكية واحدة لعموم الشعب تكمن فيهما بالذات ، فى طبيعتهما الاجتماعية

الاشتراكية . وبما ان ملكية الدولة اعلى من الملكية التعاونية الكولخوزية من حيث درجة التعميم ، وبما انها تخلق امكانيات اكثر مؤاتاة من اجل التخطيط على نطاق الدولة ، فان المهمة تنحصر فى ايصال مستوى تعميم الملكية التعاونية الكولخوزية بصورة تدريجية الى مستوى تعميم ملكية الدولة . وبهذه الطريقة فقط يمكن تقريب شكلى الملكية ، وتحويلهما الى ملكية واحدة لعموم الشعب .

وتجرى فى الاتحاد السوفييتى عملية تقريب شكلى الملكية الاشتراكية ، وهذا ينعكس بالدرجة الاولى فى النمو المستمر **لصناديق الكولخوزات غير القابلة للتجزئة** . فبالمقارنة مع عام ١٩٤٠ ازدادت صناديق الكولخوزات غير القابلة للتجزئة فى عام ١٩٧٤ مقدار ١٥٢٪ . وتشكل الصناديق غير القابلة للتجزئة اساس موارد الانتاج الكولخوزى : الآلات والمعدات ، المبانى الانتاجية ، ماشية الجر وماشية اللحوم والحليب ، الخ . وهذه الصناديق اقرب الى ملكية الدولة من حيث جوهرها ، وخاصة ان قسمها الاساسى – الجرارات والآلات الزراعية – يخلقها عمل العمال وليس الكولخوزيين . وبمقدار نمو الصناديق غير القابلة للتجزئة تشغل الجرارات والآلات الزراعية فيها مكانا متعاظما على الدوام .

ويعتبر نمو الصناديق غير القابلة للتجزئة نتيجة لنمو مداخيل الكولخوزات النقدية التى تقتطع منها هذه الصناديق ، وكذلك لتشديد تقديم المساعدة الى الكولخوزات من جانب الدولة الاشتراكية .

وتتزايد **الروابط بين الكولخوزات** ، وتتطور اشكال

التعاون فيما بينها . ويتمثل بعض اشكال هذا التعاون فى العمل المشترك على بناء واستثمار المحطات الكهربائية ، وقنوات الرى ، والطرقات ، ومؤسسات معالجة وتخزين ونقل المنتجات الزراعية ، وانتاج مواد البناء . ويشهد نمو الروابط بين الكولخوزات كذلك على تطور الملكية التعاونية الكولخوزية وارتفاع درجة تعميمها واقترابها بذلك من ملكية الشعب بأسره .

كما تدل على تقارب شكلى الملكية ايضا **روابط الكولخوزات والدولة** التى تتطور على الدوام . واشكال هذه الروابط غاية فى التنوع : البناء التعاونى المشترك للمؤسسات الانتاجية ، والطرقات ، ومنشآت الرى ، وانشاء احزمة من الغابات ، الخ . ان توسيع الروابط بين الكولخوزات نفسها وكذلك الروابط بين الكولخوزات والدولة هو عملية موضوعية تمليها متطلبات تطور الانتاج الزراعى ومواجهتها مهمات معقدة وكبيرة يستحيل حلها بجهود كولخوزات منفردة .

كما يطبق ايضا شكل مستقبلى لتطوير الانتاج الزراعى **كالاتحادات الزراعية الصناعية** التى يتمركز فيها ليس فقط انتاج المنتجات الزراعية بل ومعالجتها ايضا .

ويحدث ابان بناء الشيوعية كذلك التطوير المتواصل لملكية الدولة ، الامر الذى يتجلى فى نمو الصناديق الانتاجية الاساسية للاقتصاد الوطنى ، وفى التمركز اللاحق للانتاج ، وفى تخصصه ، وفى تطوير تقسيم العمل ، الخ .

ولا يجوز الاعتقاد بان دمج شكلى الملكية هو عملية بسيطة ، سريعة ، تتطلب تدخلا اداريا ليس

الا : اصدار قرار بتحويل الكولخوزات الى سوفخوزات فيتحول الكولخوزى ، بضربة ساحر ، الى عامل . اما فى الواقع ، فمن اجل تحويل الملكية الكولخوزية الى ملكية لعموم الشعب لا بد من استكمال وتطوير القاعدة المادية التكنيكية للكولخوزات ورفع انتاجية العمل وتحسين تنظيمه واستخدام العلم بصورة واسعة فى الزراعة ، الخ . ومن اجل ذلك يلزم الوقت ومبالغ كبيرة وعمل جهيد من جانب الناس .

اضف الى ذلك ان كولخوزى الامس ، وقد تحول الى عامل سوفخوز ، لا يغدو عاملا حقيقيا رأسا ودفعة واحدة . ويبقى كولخوزيا مدة طويلة من حيث طبيعته النفسية ، وروحه التنظيمية ، وثقافته ، ومعيشته ، الخ ، التى تكونت لديه ابان عمله المديد وحياته فى ظروف الكولخوز والملكية الجماعية والاستثمارة الشخصية الملحقة بمنزله . ومن اجل تغيير نفسية الفلاح ونمط حياته ومعيشته يلزم ، ايضا وايضا ، الوقت والجهود الجدية والتربية .

وتنعكس تصفية الفروقات الجوهرية القائمة بين المدينة والقرية ، بين الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين ، فى تغيير طابع العمل الزراعى ايضا ، اى فى تغيير دور الفلاحين فى التنظيم الاجتماعى للعمل . ويعتبر اساسا لهذه العملية تطوير القوى المنتجة بناء على منجزات العلم والتكنيك ورفع انتاجية العمل .

ان التحقيق التدريجى للكهربة الكاملة ولاشاعة الكيمياء على اتم وجه ، والتطبيق الواسع لمكننة الانتاج الشاملة واتمتته ، وغرس احدث منجزات العلم

والتكنيك تؤدى الى تحويل العمل الزراعى الى **نوع من العمل الصناعى** . زد على ذلك ان نمو التجهيز التكنيكى يستثير بالضرورة رفع المستوى الثقافى التكنيكى والاعداد الاختصاصى للفلاح ، الامر الذى يمكنه فى آخر المطاف من ان يقف جنبا الى جنب مع عامل المدينة فى صف واحد لشغيلة الانتاج الشيوعى .

ويأخذ الاختصاصيون الرفيعو الكفاءة يلعبون دورا متزايد الاهمية فى تنظيم تطوير الانتاج الزراعى . ففى اواخر عام ١٩٧٢ بلغ تعداد الاختصاصيين الحاصلين على تعليم عال وثانوى تخصصى الذين يعملون فى الزراعة ١١٠٢ الف شخص .

وتصفية الفروقات الجوهرية القائمة بين الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين تجرى ايضا وفق علائم اخرى كاساليب الحصول على تلك الحصة من الثروة الاجتماعية التى يستحقانها ومقادير هذه الحصة .

ويجرى فى الكولخوزات استكمال اشكال التوزيع ، وتم اقرار الاجرة النقدية المضمونة للكولخوزيين المماثلة للاجرة المتبعة فى مؤسسات الدولة الانتاجية . والى جانب دفع اجرة يوم العمل والمدفوعات النقدية تحظى بالانتشار المتزايد فى الكولخوزات الاشكال الاجتماعية لتلبية الحاجات : تربية الاطفال فى دور الحضانة ورياض الاطفال ، تعليم الاطفال فى المدارس ، الخدمة الطبية والثقافية ، علما بان قسما هاما من هذه النفقات تأخذه الدولة على عاتقها . وتم فى الكولخوزات تطبيق المعاش التقاعدى .

واخيرا ، لنتحدث عن تصفية الفروقات الثقافية المعيشية بين المدينة والقرية .

لقد غيرت الاشتراكية ثقافة الريف ونمط حياته ، وفتحت امام الفلاح الطريق نحو التعليم ونحو منجزات الثقافة الروحية . ونما بصورة ملحوظـــة المستوى التعليمـــى العام والتكنيكى لدى السكان الزراعيين . وازداد بشكل ملحوظ انفــاق امــوال الكولخوزيين على شراء الكتب والمجلات والصحف ومختلف انواع اللوازم الثقافية .

ومن عام ١٩٣٥ لغايـــة عام ١٩٦٩ تضاعف عدد الاشخاص الحاصلين على تعليم عال وثانوى فى اوساط الكولخوزيين لكل الف شخص من سكان الريف اكثر من عشرين مرة . ويوجد فى الريف حوالى ٩٣ الف مكتبـة عامة تحتوى من الكتـب والمجلات على ٦٣١,٨ مليون نسخة ، اى مما يزيد ١٠٠ مرة على عددها فى روسيـــا القيصرية . وينبغى ان نضيف الى ذلك العدد ايضـــا ١١٤ الف ناد ودار ثقافة تملك ١٣٢ الف وحدة عرض سينمائى ثابتـــة ومتنقلة . ويشترك فى فن الهواة بالريف ٤,٥ ملايين شخص ، وفى الجمعيات الرياضية الريفية ١٢ مليون رياضى .

واخذت الكهرباء والراديو والتلفزيون تدخل حياة السكان الزراعيين بصورة ثابتة فتساعدهم على امتلاك منجزات ثقافة المدينـــة . وغدا الاختلاط بين سكان المدينة والقرية امرا ميسورا بسبب تطور وسائل النقل والاتصالات الحديثة . واخذت تتطور الرعاية الثقافية للقرية من جانب المدينة ، وتتسع باطراد دائرة رجال العلم والادب والرياضة الذين يقدمون المساعـــدة لزملائهم فى الريف فى امتلاك المنجزات العلمية التكنيكية العصرية والتقدم الثقافى .

وعليه ، فبمقدار ازدياد النجاحات فى البناء الشيوعى تأخذ الفروقات الثقافية المعيشية بين المدينة والقرية بالتلاشى .

تصفية الفروقات الجوهرية القائمة بين كادحى العمل الفكرى والعمل الجسدى

تقضى الاشتراكية على التضاد بين كادحى العمل الفكرى والعمل الجسدى . بيد انه تبقى بينهم فروقات ملموسة من حيث درجة الاعداد الثقافى التكنيكى . وهذه الفروقات ليست وليدة الصدفة ، بل يشترطها مستوى تطور القوى المنتجة والتجهيز التكنيكى للاقتصاد الوطنى الذى هو حاليا فى وضع يحتاج سواء الى العمل الجسدى ، الذى يقوم به الجمهور الاساسى من العمال والفلاحين ، ام الى العمل الفكرى الذى يضطلع به المثقفون . ويرتبط ذلك بالمستوى غير المتشابه لمكننة مختلف انواع الاعمال ، ناهيك عن اتمتتها التى توجد حاليا فى المرحلة الاولية لتطورها . وطبيعى ان لا يتطلب العمل الجسدى فى الغالب مستوى عاليا من التعليم كالذى يتطلبه العمل الفكرى .

ومن المفهوم ان نفس طابع العمل الفكرى يخلق للمثقف ظروفا اكثر مؤاتاة من اجل التطور والتكون وابراز مؤهلاته بصورة اتم مما هو الامر بالنسبة لطابع العمل الجسدى الذى يقوم به العمال والفلاحون . ولهذا السبب تبرز تصفية الفروقات الجوهرية القائمة بين كادحى العمل الفكرى والعمل الجسدى كشرط الزامى لبلوغ المساواة الاجتماعية ، وبهذا بالذات خلق

الظروف المماثلة من اجل تطور كل عضو من اعضاء المجتمع من جميع النواحى .

ومن الطرق الاساسية فى حل هذه المهمة **النمو المستمر لصفوف فئة المثقفين ، القائمين بالعمل الفكرى ، عن طريق انتساب ابناء العمال والفلاحين اليها .**

والى جانب القضاء على الطبقات المستثمرة والرأسماليين والملاكين العقاريين ، تصفى الاشتراكية ايضا احتكارهم لممارسة العمل العقلى فتزيل بذلك التضاد بين العمل الفكرى والعمل الجسدى : لقد فتحت امام الجماهير الشعبية الواسعة الابواب نحو التعليم والعلم والثقافة ، ونما الجيش العرمرم لفئة المثقفين الذين تحدروا من الشعب ويخدمون الشعب فى مختلف مجالات الحياة الاجتماعية . ففى نهاية عام ١٩٧٤ كان يعمل فى الاقتصاد الوطنى للاتحاد السوفييتى ٨ ملايين و٨٠٠ الف شخص حاصل على تعليم عال و١٢ مليونا و٦٠٠ الف شخص حاصل على تعليم ثانوى تخصصى مقابل ١٣٦ الف شخص و٥٤ الف شخص (على التوالى) عام ١٩١٣ .

وفى ظروف الثورة العلمية التكنيكية والنهوض العارم بمستوى تعليم وثقافة الشغيلة يزداد دور فئة المثقفين فى المجتمع الاشتراكى . ويحاول خصوم الشيوعية العلمية برهنة «استثنائية» فئة المثقفين وضرورة اعلائها على العمال والفلاحين . فلفئة المثقفين ، فى رأيهم ، يعود الدور الاولوى فى حل اهم المسائل الاجتماعية . وهم يحاولون مواجهة المثقفين والطبقة العاملة والتشكيك فى الدور القيادى للطبقة العاملة فى المجتمع الاشتراكى .

اما فى الواقع ففى الدولة الاشتراكية وحدها، حيث تشكل الطبقة العاملة القوة القائدة لها ، تخلق اكثر الظروف مؤاتاة من اجل تكوين فصيل كبير لفئة المثقفين ، ومن اجل اظهار مؤهلاتهم وقواهم على اتم وجه . ويخلق البناء الشيوعى ظروفا مؤاتية جديدة من اجل تطبيق معارفهم ومؤهلاتهم فى انشاء تكنيك جديد ، وفى ادارة الانتاج وتعليم وتربية الاجيال الفتية لبناة الشيوعية ، وفى تطوير الثقافة والعلم والادب والفن .

والطريق الرئيسى الآخر لتلاشى الفروقات الجوهرية القائمة بين كادحى العمل الفكرى والعمل الجسدى هو **رفع المستوى الثقافى التكنيكى للعمال والفلاحين .**

وهذا يعنى فى المقام الاول النهوض العارم بمستوى التعليم العام للكادحين بسواعدهم ، اذ انه على هذا الاساس وحده يمكن رفع اعدادهم المهنى وجعله متجاوبا مع متطلبات الانتاج العصرى والتقدم العلمى التكنيكى الذى يزيد ، بصورة لا سابق لها ، من اهمية الناحية العقلية الابداعية للعمل . والمتطلبات الملحة للتكنيك المعاصر هى : معرفة اصول الانتاج ، وكذلك مجموع العلوم التطبيقية والنظرية ، والتحلى بحدة الذهن ، وسرعة الخاطر ، ورد الفعل السريع ، وامتلاك ناصية عدد كبير من الاساليب والخبرات الانتاجية . ان رفع المستوى الثقافى التكنيكى للعمال والمستخدمين انما يعنى كذلك غرس الاهتمام بالقيم الجمالية فى نفوسهم ، وتعليمهم كيفية الاستفادة الرشيدة من اوقات الفراغ والترفيه عن النفس والاستراحة بصورة ممتعة .

ان اساس تلاشى الفروقات الجوهرية القائمة بين اناس العمل الفكرى والعمل الجسدى هو **التقدم العلمى**

التكنيكى المتواصل الذى يغير طابع العمل ويجعله عملا عقليا ، خلاقا . علما بان الذى يتغير ليس العمل الجسدى فقط بل والعمل الفكرى ايضا ، اذ ان الآلات «المفكرة» تأخذ على عاتقها شيئا فشيئا العمليات الرتيبة المرهقة (عمليات الحساب ، وجمع المعلومات ، الخ) .

بيد ان ذلك لا يعنى اطلاقا ان التقدم العلمى التكنيكى يؤدى بصورة تلقائية الى رفع المستوى الثقافى التكنيكى لدى العمال والفلاحين . فمن الضرورى من اجل ذلك توسيع شبكة مدارس التعليم العام والمدارس الثانوية التخصصية ودور التعليم العالى بصورة مستمرة ، واستكمال نظام التعليم المهنى التكنيكى والتحصيل الانتاجى ، ورفع مستوى الاعداد الايديولوجى والعقائدى للشغيلة بحيث تتناسب مهارتهم فى النشاط الانتاجى مع نمو مستوى التعليم العام والاعداد فى ميدان العلوم الاجتماعية والطبيعية والحصول على المعارف الهندسية التكنيكية والهندسية الزراعية والطبية وغيرها من معارف مجالات الاختصاص . ويعود دور ضخم فى رفع المستوى الثقافى التكنيكى لدى العمال والفلاحين الى المثقفين المدعوين لنقل معارفهم وخبرتهم الى العمال والفلاحين وتحضيرهم للعمل الصعب والمعقد فى انتاج المستقبل الممكنن والمؤتمت .

ان المستوى الثقافى التكنيكى للعمال والفلاحين ينمو باستمرار . ففى الفترة الممتدة من عام ١٩٥٩ لغاية عام ١٩٧٥ ازداد فى الاتحاد السوفييتى عدد الاشخاص الحاصلين على تعليم عال وثانوى (كامل وغير كامل) من ٣٩٦ الى ٦٩٧ شخصا لدى العمال ومن ٢٢٦ الى ٥١٢

شخصا لدى الفلاحين من اصل كل ١٠٠٠ شخص بين افراد السكان العاملين فى الاقتصاد الوطنى . ان كل ذلك يدل على ان العمل الجسدى قد اخذ يتشبع ، على اساس التقدم التكنيكى فى الصناعة والزراعة ، وبصورة متزايدة ابدا ، بعناصر العمل الفكرى والابداع .

ان وجه الطبقة العاملة السوفييتية قد اخذ يحدده اكثر فاكثر اولئك العمال الذين يديرون اعقد التكنيك والتكنولوجيا ، ويدرسون فى المدارس التكنيكية المتوسطة ودور التعليم العالى ، ويفقهون اسرار الابداع العلمى التكنيكى ، ويشاركون بنشاط فى حياة اسرة العمل والمجتمع . والعديد من العمال يقومون فى الحقيقة بعمل هندسى . هؤلاء هم العمال المثقفون ، وقد اخذ عددهم يتزايد باستمرار . ويوجد مثل هذا النوع من العاملين فى اوساط الفلاحين ايضا .

لقد حرص الحزب الشيوعى والحكومة السوفييتية على توفير وقت الفراغ الضرورى للناس السوفييتيين من اجل زيادة معارفهم وثقافتهم . وتتخذ فى البلاد اجراءات من اجل تقليص يوم العمل .

تطوير الامم والتقريب فيما بينها

ان بناء المجتمع الشيوعى يعنى مرحلة جديدة فى تاريخ العلاقات القومية فى الاتحاد السوفييتى تتسم **بتطوير الامم والتقريب المتواصل فيما بينها** ، وبلوغ وحدتها المتناسقة .

ويساعد انشاء القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية على التطوير المتواصل الشامل لاقتصاديات الجمهوريات

المتحدة ، والاستكمال الدائم لتقسيم العمل بينهـا ، وتطوير الروابط الاقتصادية القائمة واقامـة روابط جديدة . والاقتصاد الشيوعى الذى يجرى تكوينه حاليا يتطلب اوثق الترابط بين الجمهوريات السوفييتيـة . وبمقدار التقدم نحو الشيوعية تزداد مساهمة كل واحدة منها فى القضية العامة لتطور القوى المنتجة فى البلاد ، وفى تحقيـــق التقدم العلمـى التكنيكى ، وفى زيادة الرفاهية الشعبية ، ويجرى التقريب الاقتصادى المستمر بين الامم الاشتراكية . ويساعد على التقريـــب بين الشعوب السوفييتية بناء المزيد من المراكز الصناعية الجديدة ، واكتشاف ثروات طبيعية واستثمارهـــا ، واستصلاح الاراضى البكر والمناطق النائية ، وتطوير كافة انواع النقل والاتصال . وكل ذلـــك يؤدى الى توسيع اختلاط الامم فى جميع مجالات الحياة الاجتماعية وتبادل التجربة الانتاجية ومنجزات الثقافة الماديـــة والروحية .

وتغدو كل جمهورية سوفييتية اكثر فاكثر متعددة القوميات من حيث قوام سكانهـــا ، الامر الذى يدل كذلك بصورة مقنعة على التقارب المستمر بين شعوب الاتحاد السوفييتى . وفى كل جمهورية يعيش ويعمـــل جنبا الى جنب كأشقاء حميمين ابناء قوميات مختلفة .

تتطور السمات العامة لثقافة واخلاق ومعيشـة الامم الاشتراكية مما يؤمن التعزيز اللاحق للثقة المتبادلـة والصداقة فيما بينها . وتزداد وحدتها الروحية متانة . وتزدهر الثقافة الاشتراكية لشعوب الاتحاد السوفييتى ، وتغنى الثقافات القومية بعضهـــا البعض وتتقارب . وتتطور الثقافة الامية المشتركة بالنسبة لجميـــع

الامم والتى تستوعب افضل واروع منجزات ثقافة البشرية . وتغتنى الخزانة الثقافية لكل امة بابداعات تكتسب طابعا امميا عاما ، وهذا يعنى بداية تكوين الثقافة الواحدة المقبلة للمجتمع الشيوعى .

وفى مجرى التقريب بين الامم يتم القضاء على بقايا نزعتى التعصب القومى والاستثناء والعادات والاخلاق التى ولى زمانها ، التى تعرقل بصورة جدية تكوين الانسان الجديد . ويتم على الاخص وبصورة نهائية القضاء على عدم مساواة النساء وبقايا العلاقات القديمة الاقطاعية البايوية * فى مجال العائلة والمعيشة ، والتى ما تزال توجد حتى الآن فى بعض الجمهوريات القومية .

ان التقارب بين الامم فى سير البناء الشيوعى هو عملية موضوعية ، حتمية . ولكن ذلك لا يعنى بتاتا ان هذه العملية تجرى من تلقاء نفسها ، بصورة عفوية ، وبدون عراقيل . فنمو اقتصاد وثقافة الامم الاشتراكية وتقاربها المتواصل يعتبران نتيجة للتوجيه الواعى والعلمى لتطوير العلاقات القومية الذى يضطلع به الحزب الشيوعى والدولة الاشتراكية . فالحزب والدولة ، بتوجيههما وتنظيمهما الروابط الاقتصادية والاجتماعية السياسية والثقافية بين مختلف الامم وبجمعهما بين مركزة حياة جميع الجمهوريات فى اطار اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية وبين تطوير نظام الدولة القومى وبين منح الجمهوريات حقوقا

---

* الباى : لقب كان يطلق على الملاك الغنى فى آسيا الوسطى قبل ثورة ١٩١٧ . **المترجم** .

واسعة ونشر المبادرة المحلية ، انما يساعدان بذلك على ازدهار الامم والتقريب فيما بينها من كافة النواحى على اساس مبادئ الاممية الاشتراكية . وفى غضون ذلك لا تقتصر الامية على مجرد الاعتراف باستقلال الامم ومساواتها فى الحقوق ، بل تفترض ايضا ضرورة اتحادها ، ومساعدتها المتبادلة ، وتوحيد جهودها . وهى لا يمكن ان تقتصر على مجرد المساعدة الثقافية التكنيكية والمادية الاحادية الجانب ، بل تفترض بالضبط المساعدة المتبادلة والمسؤولية المشتركة عن قضية الشيوعية .

تطوير الديمقراطية الاشتراكية هو السبيل نحو الادارة الاجتماعية الذاتية

تتطور الديمقراطية الاشتراكية ابان بناء الشيوعية فى اتجاهات : أ) تعاظم دور مجالس سوفييت نواب الشغيلة ؛ ب) ازدياد دور واهمية المنظمات الاجتماعية ؛ ج) تعاظم دور اسر العمل فى حياة وتطور المجتمع الاشتراكى .ويجرى كل ذلك ، فى نهاية المطاف ، بهدف خلق الظروف من اجل اجتذاب اكبر عدد ممكن من الشغيلة الى المشاركة المباشرة فى ادارة شؤون المجتمع . وقد كتب لينين يقول انه يجب على الحزب «ان يربى كافة السكان الكادحين بلا استثناء بالمشاركة الذاتية فى ادارة الدولة لا نظريا بل عمليا» * .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٦ ، ص ٧٢ .

ويتجلى تطور الديمقراطية على نحو ساطع بوجه خاص **فى تعاظم دور مجالس سوفييت نواب الشغيلة فى حياة وتطور المجتمع .**

ومما له دلالته ان مجالس السوفييت كانت ومـــا تزال ، من حيث طبيعتها ، ليس فقط هيئات حكومية بل ومنظمات اجتماعية ، علما بان الجانب الاجتماعى للمجالس يغدو ، مع سير تطور الاشتراكية ، الجانب الغالب اكثر فاكثر . ومجالس السوفييت بالذات تعتبر بالدرجة الاولى تلك الهيئات التى يجتاز فيهـــا ملايين الناس مدرسة ادارة الدولة .

ان مجالس السوفييت هى اكثر المنظمات ديمقراطية وتمثيلا . وتوجد فى الاتحاد السوفييتى عشرات آلاف مجالس السوفييت من مختلف المستويات التى تضم اكثر من مليونى نائب . وبالمناسبة ان النواب ليسوا بقسمهم الاكبر قادة حكوميين او حزبيين محترفين ، بـــل عمال وفلاحون ورجال علم وثقافة . ففى القوام الحالى لمجلس السوفييت الاعلى للاتحاد السوفييتى ، على سبيل المثال ، ومن اصـــل ١٥١٧ نائبـــا يوجد ٤٩٨ عاملا و ٢٧١ كولخوزيا ، وتتمثل فيه عشرات الامم والاقوام القاطنة البلاد . وبين نواب مجالس السوفييت المحلية ، الذين انتخبوا فى حزيران (يونيو) عام ١٩٧٣ ، ٣٩,٣٪ مـن العمال و ٢٨٪ من الكولخوزيين ، و ٤٧,٤٪ من النساء ، و ٥٦,١٪ من اللاحزبيين . فاين وفى اى مجتمع آخر يتمثل الشغيلـــة فى هيئات السلطـــة بمثل هذا الاتساع والشمولية ؟ وفى غضون سنوات ما بعد الحرب وحدها اجتاز مدرسة الادارة فى مجالس السوفييت حوالى ٢٤ مليون شغيل .

ويشارك فى عمل مجالس السوفييت ، بالاضافة الى النواب ، عدد كبير من النشطاء . وهم يشتركون فى عمل اللجان الدائمـة ، ويعتبرون عاملين من خارج الملاك لدى اقسام اللجان التنفيذيـة لمجالس السوفييت ، ومفتشين شعبيين متطوعين ، ومرشدين من خارج الملاك ، الخ . وبالاجمال يشترك فى عمل مجالس السوفييت على اسس طوعية ٣١ مليون مواطن .

ويسعى الحزب الشيوعى السوفييتى باستمـرار الى رفع دور مجالس السوفييت فى حياة وتطور المجتمع . ومن اجل هذه الاغراض يجرى توسيـع حقوق مجالس السوفييت المحليـة ، وبضمـن ذلك فى ميدان هام كتنسيق عمـل المؤسسات الانتاجيـة والمنظمات الاقتصادية القائمـة على اراضيهـا ، وذلك فى حدود صلاحياتها . كما تتوطد القاعدة المادية المالية لمجالس السوفييت ، ويتعزز جهازها بملاكات كفوءة .

ويتقوى الاشراف من جانب مجلس السوفييت الاعلى للاتحاد السوفييتى ومجالس السوفييت العليا للجمهوريات المتحدة على وضع الامور فى القطاعات الاساسية للبناء الاقتصادى والثقافى ، وعلى عمـل الوزارات والدوائر .

والاتجاه الهام الآخر لتطور الديمقراطية الاشتراكية هو **زيادة دور واهمية المنظمات الاجتماعية** ومشاركتها المتزايدة الاتساع فى القيام بوظائف حكومية محددة .

واوسع منظمة اجتماعيـة فى الاتحاد السوفييتى هى النقابات التى تضم فى صفوفهـا اكثر من ١٠٧ ملايين شخص . وتعتبر النقابات مدرسة تربيـة للشغيلة ، مدرسـة ادارة وتدبير الشؤون الاقتصاديـة . وهى تجتذب الشغيلة الى ادارة الانتاج والشؤون الاجتماعية

وتهتم بنمو الرفاهية الشعبية وزيادة انتاجية العمل ، وتحسن تنظيم المبادرة الاشتراكية ، وتربى فى نفوس الناس الموقف الشيوعى من العمل . واحدى المهمات الرئيسية لدى النقابات هى الاهتمام بالمصالح الشرعية للعمال وكافة الشغيلة ، والعناية بتحسين ظروف عملهم ومعيشتهم ، وتشديد الرقابة على مراعاة قانون العمل وقواعد ومعدلات صيانة العمل واحتياطات الامن ، والاهتمام بالتنظيم الافضل لراحة الشغيلة بصورة مفيدة وصحية . وتحت تصرف النقابات عدد كبير من دور الثقافة ، والمصحات ، والمنتجعات ، ودور الراحة ، واماكن راحة الاطفال ، والمنشآت الرياضية ، الخ .

وتعمل تحت قيادة النقابات شبكة كاملة من المنظمات الاجتماعية واتحادات الشغيلة التى تساعد الدولة فى الاضطلاع بادارة الاقتصاد والحياة الاجتماعية والثقافية. واحدى هذه المنظمات ، واحد اهم اشكال مشاركة الجماهير فى ادارة الانتاج هو الاجتماعات الانتاجية الدائمة الانعقاد فى مؤسسات الصناعة والنقل والبناء . ويجرى عمل الاجتماعات الانتاجية بالاشتراك الواسع من جانب العمال والمستخدمين ، والمهندسين والتكنيكيين ، وممثلى الادارة والمنظمات الحزبية والكومسومولية والجمعيات العلمية التكنيكية . ويشترك فى عملها اكثر من ٦ ملايين شخص بينهم ٦٤,٦٪ من العمال .

وتوجد تحت تصرف النقابات منظمات كمكاتب التصميم الاجتماعية ، والفرق الاجتماعية للتحليل الاقتصادى ، والمكاتب الاجتماعية للتعيين التكنيكى ، ومجالس المجددين وغيرها ، التى تلعب دورا غير قليل

فى تنظيم وادارة الانتاج . وفى ظروف الاصلاح الاقتصادى وتوسيع حقوق المؤسسات الانتاجية واستقلالها الاقتصادى والتطبيق المثابر للتحفيز الاقتصادى ترتفع مسؤولية النقابات عن تنفيذ خطط الدولة والاتقان التكنيكى للانتاج واعمال الاختراع والتجديد الجماهيرية ، ويتعاظم دورها فى تطوير المبادرة الابداعية لدى الشغيلة واجتذاب الكادحين الى ادارة الانتاج ، وفى نشر المباراة الاشتراكية . ان المسائل التى يتركز عليها انتباه النقابات هى : التربية السياسية للشغيلة ، تحسين تنظيم العمل ودفع اتعابه ، رفع كفاءة العمال ، العناية بصيانة عملهم وبمعيشتهم .

وينتقل الى المنظمات الاجتماعية بصورة تدريجية الاضطلاع المباشر ايضا بالوظائف الاجتماعية الثقافية لهيئات الدولة . وتلعب **منظمة الكومسومول** دورا كبيرا فى تربية الشبيبة وتهذيبها ، وهى منظمة ذاتية المبادرة وتضم فى صفوفها ٣٥ مليون شاب وشابة .

وحظيت الجامعات الشعبية بانتشار واسع ، وهى تلعب دورا هاما فى التربية الثقافية للشغيلة وفى رفع نشاطهم الانتاجى والاجتماعى .

وتساند هيئات الدولة على الدوام مبادرة الجماهير فى انشاء مختلف انواع الاتحادات والمنظمات الاجتماعية التى تساعد على الاضطلاع الناجح بالوظائف الحكومية او تأخذ على عاتقها (كليا او جزئيا) القيام بهذه الوظائف . وتضفى الدولة على نشاط هذه المنظمات صيغة قانونية وتقدم لها مساعدة مادية تكنيكية وتنظيمية . وانشئت جمعية المخترعين والمجددين ، واتحاد الصحفيين ، واتحاد ملحنى روسيا الاتحادية ، والجمعية التربوية

لروسيا الاتحادية ، وجمعيات الروابط الثقافية مع عشرات البلدان الاجنبية التى تساعد على توطيد السلام وتعزيز العلاقات الاقتصادية والثقافية مع الشعوب الاخرى ، الخ .

وثمة اتجاه آخر ايضا لتطور الديمقراطية الاشتراكية —

رفع دور اسر العمل فى حياة وتطور المجتمع الاشتراكى .

واسرة العمل هى الخلية الاساسية للمجتمع الاشتراكى ، وميدان هام للنضال من اجل رفع النشاط العملى والاجتماعى للشغيلة . وفى اسرة العمل بالذات تتكون الميزات الاشتراكية الجديدة لدى الناس السوفييتيين ، وتتشكل علاقات الصداقة والتعاون الرفاقى . ان مسؤولية كل فرد امام اسرة العمل ومسؤولية اسرة العمل عن كل عامل هى السمة الملازمة لنمط حياتنا .

وبهدف اجتذاب الشغيلة الى الاشتراك المباشر فى ادارة الانتاج والعمليات الاجتماعية والروحية يجرى فى الاتحاد السوفييتى باستمرار استكمال نظام ادارة اسر العمل . وقد اوجد الاصلاح الاقتصادى امكانيات مؤاتية جديدة من اجل ذلك ، وهو لم يوسع فقط الحقوق القانونية لاسرة العمل بل ومنحها ايضا مبالغ (صناديق مطابقة) تستطيع ان تنفقها كما تشاء . وهذه المبالغ ، الحاصلة من الارباح الزائدة على الخطة ، وبالتالى ، من النتائج الحسنة فى العمل ، توجه حاليا ليس فقط نحو تطوير الانتاج بل ونحو تحسين ظروف عمل ومعيشة وراحة شغيلة المؤسسة المعنية ، ورفع مستوى تحصيلهم العام واعدادهم التخصصى ، والبناء السكنى ، الخ . وازداد اهتمام الشغيلة بالتطوير الفعال للانتاج والحياة الاجتماعية والروحية لاسر عمل المؤسسات

الانتاجية ، وبزيادة انتاجيـــة العمل ، وفى الاستخدام الرشيد لوقت العمل ووقت الفراغ .

تجرى فى العالم الاشتراكى بصورة نشيطة مناقشة قضية ما يسمى بالديمقراطيـــة الانتاجية وجوهرهـــا ومكانها فى النظام العام للديمقراطية الاشتراكية. وتقوم فى بعض البلدان محاولات نظريـــة وعمليـــة لتحويل الديمقراطية الاشتراكية الى ديمقراطية انتاجية . ونعنى بذلك هنا ما يسمى بالاشتراكية «المسيَّرة ذاتيا» حيث يتحول مركز الثقل الى اسر العمل . ويجرى طبقا لذلك تصحيح التصورات عن الملكية الاشتراكيـــة : تغدو المؤسسة الانتاجيـــة ، التى تعمل على اسس الادارة الذاتية فى ظروف «الانتشار الكامل للعلاقات البضاعية النقدية» ، تغدو ذاتا اقتصادية للمجتمع .

وليس من المشكوك فى ان المؤسسة الانتاجيـــة واسرة العمل فيها تعتبران الخلية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع ، اما اجتذاب الشغيلة الى ادارة شؤون اسرة العمل ، كما ذكرنا لتوه ، فيعتبر اتجاها هامـــا مـــن اتجاهات تطور الديمقراطية الاشتراكية . بيد ان اضفاء صفة الاطلاق على الديمقراطية الانتاجية يؤدى الى انقطاع اسر العمل عن التنظيم الاجتماعى السياسى ، عن الدولة ، والى تحويل المجتمع الاشتراكى الى مجرد مجموعة بسيطة من اسر العمل «المسيَّرة ذاتيا» . ان مجمل قضية تطور الديمقراطية الاشتراكية ، والتى تتضمن الاوجه السياسية والاقتصادية والايديولوجية ، تحول فى الواقع الى قضية تخص مجال الاقتصاد ، ناهيك عـــن ان هذا المجال لا يشمل فى هذه الحال الا اسر العمل المنفردة . امـــا اسر العمل نفسها فترتبط فيما بينها بدرجة رئيسية آليتا

علاقات السوق (البيع والشراء) ، وهى ترتبط بالدولة عبر نظام الاقتطاعات من الربح .

ان حصر الديمقراطية باطار اسر العمل الانتاجية يعنى عمليا ابعاد المنتجين عن المشاركة فى ادارة كل المجتمع وكل الدولة .

وتنفى الاشتراكية «المسيرة ذاتيا» ، فى الواقع ، القيادة الممركزة المبرمجة للمجتمع التى تعتبر اعظم مكسب للاشتراكية ، وتحصر الديمقراطية ضمن اطار انتاجى ضيق . وتغدو الفعالية الاقتصادية والطموح الى الربح الدافع الوحيد فى نشاط اسرة العمل وعامل مبادرة ، الامر الذى يؤدى الى افراغ الدوافع الاخرى ، الفكرية للنشاط البشرى من محتواها ومغزاها .

لذا ، فمن المهم ، لدى تطوير الديمقراطية بشتى الوسائل فى اطار اسرة العمل ، ان يؤخذ بالحسبان دائما ، **ان كل اسرة عمل بمفردها ليست سوى حلقة من حلقات نظام الاشتراكية الاقتصادى والاجتماعى** ، وان كل حياتها وكل نشاطها مدعوان لخدمة بلوغ الاهداف الماثلة امام المجتمع ككل .

وكان لينين يناضل باصرار ضد جميع وشتى مظاهر الفوضى والنقابية الفوضوية التى كان ممثلوها يعتبرون المجتمع الاشتراكى خليطا من الكومونات الانتاجية المستقلة . وتحت الشعار الكاذب ، شعار الدفاع عن الاستقلالية والحرية ، كانوا يقفون ضد الادارة الممركزة وتدبير الشؤون الاقتصادية بصورة مبرمجة . وكان لينين يشير الى ان العمال ، الشغيلة مدعوون الى ادارة المجتمع بجميع حلقاته وليس الى الانكماش ضمن الحدود الضيقة لمصنع«هم» ومعمل«هم» .

ويرتبط تطور الديمقراطية الاشتراكيــة ارتباطا لا ينفصم **بتعزيز الشرعية والنظام القانونى والانضباط والتنظيمية .**

ان قوانين الدولة الاشتراكية قوانين انسانية . فهى تضمن حقوق وحريات المواطنين وتفرض عليهــم فى الوقت نفسه واجبات محددة ، وتنظم نشاط الناس ومختلف المنظمات لصالح المجتمع ككل وكل عضو من اعضائـــه عـــلى السواء . وهذا امـــر مفهوم . فالديمقراطية بدون شرعيــة ونظام قانونى وانضباط تتحول الى فوضى واخلال بالنظام ، اما النظام القانونى والانضباط والاكراه بدون ديمقراطيـــة فتتحول الى طغيان .

ويعمل الحزب والدولـــة باستمرار على استكمال التشريـــع الاشتراكى ، ويعززان النظـــام القانونى والانضباط . وفى السنوات الاخيرة وحدها وباشتراك الجماهير الواسعة تم اقرار القوانين التشريعية الجديدة التالية : «اسس التشريع بشأن العائلة والزواج» ، «اسس التشريع الخاص بالارض» ، «النظام الداخلى النموذجى للكولخوزات» ، «اسس تشريـــع اتحـــاد الجمهوريات الاشتراكيـــة السوفييتيـــة والجمهوريات المتحدة حول العمل» ، «اسس تشريع اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتيـــة والجمهوريات المتحدة حول التعليم العام» ، وعدد من القوانين حول حماية الطبيعة . وفى ٢٠ ايلول (سبتمبر) ١٩٧٢ اقر مجلس السوفييت الاعلى للاتحاد السوفييتى قانونا «حول النظام الاساسى لنواب مجالس سوفييت نواب الشغيلـــة فى الاتحاد السوفييتى» .

ان قوانين الاشتراكية ومبادئها الاخلاقية تتجاوب مع مصالح المجتمع بأسره ومع مصالح كل فرد من افراده على حد سواء .

لذا ، يخوض الحزب والدولة نضالا حازما ضد منتهكى القوانين ومخالفى مبادئ الاخلاق الشيوعية ، ويعززان باستمرار النظام القانونى والانضباط . وقد اشير فى المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعى السوفييتى الى : «اننا ، اذ نعنى بتطوير الفرد من جميع النواحى وبترقية حقوق المواطنين ، نعير فى الوقت نفسه ما يجب من اهتمام لقضايا تدعيم الانضباط العام ولتقييد جميع المواطنين بواجباتهم حيال المجتمع ، لان الديمقراطية لا تتحقق بدون انضباط وبدون نظام عام متين» * .

ان نشر الديمقراطية الاشتراكية يخلق الظروف من اجل تحويل ادارة الدولة بصورة تدريجية الى ادارة اجتماعية شيوعية . الا ان ذلك لا يعنى بحال من الاحوال اى انتقاص ما لدور الدولة الاشتراكية . بل على العكس فان اهميتها فى البناء الشيوعى تتعاظم .

ان الشيوعية نتيجة للابداع الواعى الذى يقوم به الشعب ، لعمله البطولى ، لنضاله المتفانى . بيد انه من الضرورى توحيد جهود الشعب الخلاقة وتنظيمها وتوجيهها نحو بلوغ الهدف الواحد . والدولة الاشتراكية ، التى يقودها الحزب الشيوعى ، تعتبر بالذات القوة التى تنظم بناء المجتمع الجديد . ومن هنا تنبع

---

* «مواد المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعى السوفييتى» ، ص ٨٥ .

ضرورة وجود الدولة الاشتراكية فى مجمل مرحلة بناء الشيوعية ، ضرورة تطويرها الدائم واستكمالها .

٣ – تكوين الانسان الجديد

الانسان الجديد ، الذى سوف يعيش فى المجتمع الشيوعى ، هو **انسان متطور من جميع الجوانب وبصورة متناسقة** . انه قبل كل شىء كادح رفيع الثقافة للانتاج الشيوعى ، يملك اسس العلوم ، وخالق القيم المادية . انه قائد اجتماعى نشيط قادر على ادارة شؤون المجتمع ، ويملك العقيدة العلمية ويعرف اسس الفنون وقادر على خلق ليس القيم المادية فحسب ، بل والروحية ايضا ، انسان ذو مبادىء اخلاقية رفيعة وكمال جسمانى .

والصفات الرفيعة للانسان الجديد لا تنشأ من تلقاء نفسها ، بل يجرى تكوينها وتربيتها .

ضرورة التربية الشيوعية

يزعم خصوم الشيوعية ، فى محاولتهم التشهير بمثُلها العليا ، ان الشيوعية عاجزة عن خلق انسان متحرر من بقايا المجتمع القديم . ويقولون ان الشيوعية تستطيع خلق تكنيك جبار ، تستطيع خلق وفرة من الخيرات المادية ، ولكنها عاجزة عن تغيير طبيعة الانسان التى افسدتها الاجيال وتخليصه من النزعة الفردية وحب النفع والخرافات والخوف .

اما فى ما يتعلق بالواقع الاشتراكى فامره لا يهم ايديولوجيى الرأسمالية . بيد ان هذا الواقع ينطق

بصوت متعال ابدا وبمزيد من الوضوح بان هذا الانسان الجديد ينمو ، وبان انسان الاشتراكية ، مع تطور بناء الاقتصاد الاشتراكى واستكمال العلاقات الاجتماعية ، يرفع مستواه الثقافى ويتقن طبيعته الاخلاقية وهيئته الجسمانية فيتحرر خطوة فخطوة من الارث السلبى للمجتمع الطبقى .

ان الوعى الشيوعى يتكون بالنظام كله ، بمجمل الحياة الاجتماعية للاشتراكية ، فى سير مشاركة الشغيلة النشيطة فى بناء الشيوعية ، فى العمل المشترك المنظم بصورة مخططة ، فى اثناء تطوير العلاقات الاجتماعية الجديدة فى الانتاج والمعيشة .

ان تطوير الوعى الشيوعى ، باعتباره جزءا مكونا من البناء الشيوعى ، يمارس مع ذلك تأثيرا عكسيا على حل المهام الاقتصادية والاجتماعية السياسية . وهذا امر مفهوم : فالمجتمع الشيوعى لا يبنى بصورة عفوية ، بل بنتيجة نشاط الشغيلة الواعى الهادف ؛ وبالطبع فبمقدار ما يزداد وعى الناس بمقدار ما يجرى بصورة انجح تحقيق قضية البناء الشيوعى وتكون وتائر حركتنا الى الامام ارفع .

ويشكل تطوير الاقتصاد وترسيخ اقدام العمل الشيوعى والعلاقات الاجتماعية للشيوعية وثقافتها الاساس الموضوعى لتكوين الانسان الجديد وتربيته بروح الادراك الشيوعى . بيد ان هذه الشروط بحد ذاتها وبصورة تلقائية لا تضمن بعد انتصار المبادئ والافكار الشيوعية فى وعى كل شخص . لذا فان التربية الشيوعية للشغيلة والعمل الايديولوجى يشكلان شرطا لازما لانجاز بناء الشيوعية .

ان **التربية الشيوعية** هى تربية كافة الشغيلة بروح العقائدية الرفيعة والاخلاص الوافى للشيوعية ، والموقف الشيوعى من العمل ومن الملكية الاجتماعية ، والقضاء التام على بقايا الافكار والاخلاق البرجوازية ، وتطوير الشخصية من جميع النواحى وبصورة متناسقة ، وخلق الثقافة الروحية الغنية حقا .

وسائل التربية الشيوعية

فى غضون سنوات السلطة السوفييتية تكون فى الاتحاد السوفييتى نظام فعال للتربية يشمل العائلة والمدرسة ، ودور التعليم الثانوى التخصصى والعالى ، ونظام التعليم الحزبى ، والصحافة ، والتلفزيون ، والاذاعة ، الخ .

لنأخذ **العائلة** على سبيل المثال . تقوم العائلة بوظيفة اجتماعية هامة : انها لا تعمل فقط على اعادة انتاج الجنس البشرى نفسه بل وتربى الجيل الناشئ ايضا . فهنا بالذات وبالدرجة الاولى يترعرع الطفل ويتكون عالمه الروحى وعلاقته بمحيطه وسلوكه وافعاله وتصرفاته . وهنا يدرك المواطن الصغير لاول مرة المبادئ الاولية للمعيشة البشرية ، ويبدأ بفهم الخير والشر ، ويتعلم عمل الخير ونبذ الشر .

وتشكل **المدرسة** حلقة هامة فى التربية الشيوعية فهى تسلح الانسان باصول العلوم وتمكنه من التوغل فى اسرار الطبيعة والمجتمع وتكون لديه العقيدة والهيئة الاخلاقية ، وتقدم له تحصيلا بوليتكنيكيا متعدد

الجوانب ، فتعد الفتى او الفتاة ، بهذا بالذات ، من اجل العمل المفيد اجتماعيا ، وتوفر لهما امكانية متابعة التحصيل . وبمعية العائلة ، الاهل ، تكشف المدرسة وتطور مؤهلات وميول الناشئين ، وتطور مشاعرهم وتفكيرهم ، وتساعدهم على اختيار طريقهم فى الحياة .

كما انها كبيرة اهمية المدرسة العليا السوفييتية فى التربية الشيوعية . فقد اكتنزت المدرسة العليا تجربة ضخمة فى تكوين الاختصاصيين المسلحين ليس فقط بمعرفة مهنتهم بل وبعقيدة علمية ماركسية لينينية ايضا . انهم اناس ذوو تأدب جيد بالاضافة الى انهم يعتبرون هم انفسهم مربين جيدين قادرين على القيام بعمل ناجح فى تهذيب الانسان الجديد .

ويشكل **نظام التعليم الحزبى** جامعة ماركسية لينينية حقيقية للملايين . ففى نظام التعليم الحزبى يدرس الشيوعيون واللاحزبيون مؤلفات ماركس وانجلس ولينين ، وبرنامج الحزب الشيوعى السوفييتى ، وقرارات مؤتمرات الحزب ، واهم الوثائق الحزبية ؛ علما بان امتلاك النظرية يقترن هنا بدراسة مسائل الاقتصاد وتطور الانتاج ويرتبط ارتباطا وثيقا مع المهمات التطبيقية الملموسة الماثلة امام المصانع والمعامل والكولخوزات والسوفخوزات . وبنتيجة ذلك يقترب التعليم السياسى من الحياة ويغدو اكثر استهدافا وتزداد اهميته التربوية .

وافضل مرب للانسان هو **اسرة العمل** ، سواء أكانت مصنعا ام معملا ، كولخوزا ام سوفخوزا او فريق عمل او مشغلا او مؤسسة الخ . ان كل انسان قادر على العمل ملزم بان يشتغل ، ولذا فهو ينتمى حتما الى اسرة عمل

محددة . والانسان مرتبط من خلال اسرة العمل بالدرجة الاولى ماديا وروحيا بالمجتمع .

وفى اسرة العمل يتخالط الانسان مع الناس الاخرين ، وبنتيجة ذلك يتطور كاختصاصى ، كشغيل . وهنا يغتنى عالمه الروحى وتتربى سماته الاخلاقية : الروح الجماعية ، شعور الرفاقية ، الانضباط الواعى ، الشعور الرفيع بالمسؤولية عن القضية المكلف بها .

تكوين العقيدة العلمية

العقيدة العلمية ، **الماركسية-اللينينية** ، هى نظام متناسق ومتكامل من الافكار حول العالم : الطبيعة والمجتمع وقوانين تطورهما وسبل ادراكهما وتغييرهما .

حتى فى ظل الاشتراكية تغدو العقيدة العلمية عقيدة مهيمنة ويعتبر ملكا لعدد كبير من الناس الذين يشكلون القسم الطليعى من المجتمع واكثره وعيا . اما فى ظروف البناء الشيوعى فيجرى حل مهمة امتلاك العقيدة العلمية من جانب **جميع** كادحى المجتمع دون استثناء .

ولا يمكن ان يكون الامر على عكس ذلك . اذ ان حل اعقد مهمات البناء الشيوعى لا يقدر عليه الا اناس رفيعو الوعى يعرفون قوانين تطور المجتمع ويحسنون تحليل وادراك القضايا الداخلية والعالمية ويفقهون جيدا المهمات الماثلة امام البلاد ويشاركون مشاركة مباشرة ونشيطة الى اقصى حد فى حلها . وامتلاك العقيدة العلمية يتطلبه بالحاح التقدم العلمى التكنيكى

المعاصر ايضا والتطور العاصف للعلوم الطبيعية التى تحتاج منجزاتها ليس فقط الى تمعن عقائدى عميق بل والى اعداد عقائدى واسع للباحث فى العلوم الطبيعية . واخيرا ، تشكل العقيدة العلمية امضى سلاح ايديولوجى فى النضال ضد العقيدة المثالية والدينية ، فى النضال ضد اعداء الشيوعية .

تتكون العقيدة العلميـــة **على اساس الماركسية-اللينينية كنظام متناسق للافكار الفلسفية والاقتصادية والاجتماعية السياسية** . وبناء عـلى ذلـك فان امتلاك العقيدة العلمية يعنى بالدرجة الاولى استيعاب الاحكام الاساسية للماركسية-اللينينية وليس استيعابها فقط بل ومعرفة استخدامها بصورة خلاقة فى قضايا عمليـة مباشرة .

وتتسـم **الفلسفة الماركسية اللينينية — الماديـة الدياليكتيكية والتاريخية** باهمية حاسمـة فى تكوين العقيدة العلمية . ففلسفة الماركسية بالذات تسلـح الانسان بالطريقة العلمية ، باسلوب اتخاذ موقف من مختلف مظاهر الطبيعة والحياة الاجتماعيـة . وبهذا بالذات تمكن الانسان من اعطاء تقدير صحيح ومبدئى للاحداث المتطورة حوله وفهم مكانه فى الحياة وفى حـل المهمات الماثلة امام المجتمع واتخاذ موقف مطابق ازاء كل ذلك . وفى سير تكوين موقف الانسان من العالم تعلم الفلسفة الانسان طريقة التصرف ايضا ، وتربى فى نفسه الثقة بامكانية ادراك العالم وتغييره .

الماركسية-اللينينية اساس متين وحيد من اجل وضع الاستراتيجية والتكتيك الصحيحين . انها تمنحنا ادراك الآفاق التاريخية وتساعدنا فى تحديد اتجاهات التطور

الاجتماعى الاقتصادى والسياسى لفترة مقبلة مديدة وفى الاهتداء الصحيح فى الاحداث الدولية * .

وامتلاك العقيدة العلمية يعنى امتلاك **النظرية الاقتصادية الماركسية اللينينية** ايضا . فهذه النظرية ، بكشفها قوانين تطور الميدان الحاسم للنشاط البشرى – ميدان الانتاج المادى – ، تتيح للانسان تنظيم الحياة الاقتصادية ، وعلى هذا الاساس اعادة بناء مجمل تنوع العلاقات الاجتماعية بما يتفق مع مصالحه . وتقدم **نظرية الشيوعية العلمية** للانسان مساعدة لا تقدر بثمن فى شؤونه العملية ، وهى لا تكشف فقط صورة مجتمع المستقبل الوضاء بل وتدل على السبل الملموسة لانشائه .

وتشكل **اهم منجزات العلوم الطبيعية** عنصرا لازما من عناصر العقيدة العلمية . وهذه المنجزات تؤلف الاساس العلمى الطبيعى للعقيدة وتكشف قوانين تطور الطبيعة وتتيح للانسان تطويع العمليات الطبيعية لصالحه ووضع الثروات الهائلة فى خدمته . وعليه فان تكوين العقيدة العلمية يعنى امتلاك اسس النظرية الماركسية اللينينية واصول العلوم الطبيعية على السواء . وفى الوحدة والترابط الوثيق فقط تعطى الماركسية-اللينينية والعلوم الطبيعية نظاما علميا من النظرات بشأن الواقع .

---

* «مواد المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعى السوفييتى» ، ص ٧٢ .

النضال ضد الايديولوجيا البرجوازية

ان تربية العقيدة العلمية ، شأن التربية الشيوعية بوجـــه عام ، تقتضى بالضرورة خوض **النضال ضد الايديولوجيا البرجوازية** . فبعد ان منيت الامبرياليـة بالهزيمة فى المعارك السياسيـــة ، بما فى ذلك المعارك المسلحة ايضا ، اخذت تعول فى الاساس الآن على النضال فى الميدان الايديولوجى وتقوم بهجوم مسعور على المواقع الايديولوجيـة للاشتراكيـــة . وتكمن مهمات الهجوم الايديولوجى للبرجوازية الامبريالية فى الدفاع عن النظام الرأسمالى ، واعادة طلاء واجهـــة صرحها المهترئ ، وابقاء الجماهير الكادحة اسيرة الافكار البرجوازيـــة والتشهير بالنظام الاشتراكى فى نفس الوقت ، ودحض الماركسية-اللينينية ، واثارة عدم الثقـــة نحو افكار الشيوعية ونحو سياسة بلدان الاشتراكية .

ويبذل منظّرو الامبريالية اقصى الجهود من اجـــل تجديد سلاحهم الايديولوجى المهترئ ، والعمل بطريقة ما على تمويه وستر انعدام وجود افكار لدى البرجوازية الامبريالية تستطيع جذب الجماهيـــر الشعبيـــة وبهذا اضعاف تأثير الافكار الشيوعية عليها . ولم يعد يوجد فى يامنا هذه عدد كبير من الناس الذين يؤمنون بخرافات «الرأسمالية الشعبية» و«دولة الخير العميم» التى تطلق على الرأسمالية المعاصرة . لذا اخذت تظهر الى الوجود مفاهيم جديدة تعتبر اهمها النظرية البرجوازيـــة عن «المجتمع الصناعى الواحد» . فالرأسمالية ، من وجهة نظر هذه النظرية ، ... قد اختفت حاليا وحل محلهـا «المجتمع الصناعى» الذى تنعدم فيه التناقضات الطبقية

والذى يحدد قوانينه ، كما يزعمون ، تقدم التكنيك فقط وليس على الاطلاق طابع العلاقات الاجتماعية واشكال الملكية . هذا ، فى حين ان تقدم التكنيك واستخدامه ودرجة منفعته للناس انما يحددها ، كما رأينا ، طابع النظام الاجتماعى ، لذا فان هذا التقدم يعتبر فى ظروف الرأسمالية مصدر ارباح فائقة جديدة لحفنة من اصحاب الاحتكارات ومصدر كوارث بالنسبة للملايين من الشغيلة .

ويرى ساسة ومنظّرو الامبريالية مهمتهم الرئيسية فى نقل الصراع الايديولوجى مباشرة الى اراضى بلدان الاشتراكية ، والتأثير على وعى الناس وادخال افكار ومبادئ غريبة عن النظام الاشتراكى ونمط الحياة الاشتراكى الى عقولهم ، مستخدمين من اجل ذلك اكثر فئات المجتمع تخلفا .

لذا فان التربية الشيوعية للشغيلة تقتضى بالضرورة خوض نضال لا هوادة فيه ضد ايديولوجيا الامبريالية الرجعية . وكل تقليل من اهمية النضال ضد الايديولوجيا البرجوازية يعنى اضعاف موقع الايديولوجيا الاشتراكية ويلحق الضرر بقضية البناء الشيوعى ، بقضية تكوين الانسان الجديد .

التربية فى العمل

ان امتلاك العقيدة العلمية الشيوعية لا يعنى فقط معرفة قوانين تطور الواقع بل وحسن استخدام هذه القوانين فى التغيير العملى للطبيعة والمجتمع وفى تأمين التقدم الاجتماعى المستمر وانتصار قضية الشيوعية .

ان تغيير الواقع وانتصار الشيوعية امران ممكنان فقط ابان النشاط العملي للانسان ، وفقط اثناء **ترسيخ اقدام العمل الشيوعى** ، لذا فان التربية فى العمل ، تربية الموقف الشيوعى من العمل ، تعتبر اهم جزء فى تكوين الانسان الجديد . زد على ذلك ان التربية فى العمل تشكل اساس ولب التربية الشيوعية لانه فى العمل نفسه تتربى وتتطور جميع الصفات الثقافية الاخلاقية والجمالية لدى الانسان . فخارج العمل الخلاق يستحيل سواء تقدم الانتاج والتكنيك والثقافة ام تطور الانسان نفسه .

والشىء الرئيسى فى التربية فى العمل هو تربية الاحترام لكل نوع من انواع العمل المفيد اجتماعيا سواء أكان عملا جسديا ام عقليا ، وازالة الموقف المتعجرف المزدرى للمعل الجسدى ، وكذلك الموقف الضيق الافق من العمل الفكرى الذى يعتبره كناية عن عمل سهل لا طائل تحته . ان نهج الجمع بين العمل الفكرى والعمل الجسدى فى القضاء على الفروقات الجوهرية القائمة بين الناس هو النهج العام فى تغيير طابع العمل وفى تربية الموقف الشيوعى من العمل وفى تكوين الانسان الجديد .

ويتحدثون الآن كثيرا عن العصر الذرى ، ويشددون فى ذلك خاصة على الانتاج المقبل حيث سيكون نصيب الانسان فيه ، كما يدعون ، مجرد الضغط على الازرار . بيد انه من المعروف جيدا انه ليس باستطاعة اية آلة اتوماتيكية ان تحل محل الوظائف التى ينعكس فيها دفء النفس البشرية وطيبة القلب والحفاوة والاهتمام

والذوق الفنى الرفيع . واخيرا ، فالمسألة لا تكمن فى الوظائف بالذات بل فى الموقف من العمل ، من الوظيفة ، فى المهارة المهنية . ولهذا السبب بالضبط من الضرورى ايلاء الاهتمام فى التربية ، وخاصة تربية الجيل الناشئ ، لا الى : من تكون ، بقدر ما الى : **كيف تكون** .

ويصعب وجود مهنة لا تحوى فى ذاتها امكانيات من اجل الابداع والتفكير والاتقان . لذا فمن المهم ان لا يقتصر الامر على مجرد تعليم الانسان هذه المهنة او تلك – فهذه مسألة غير معقدة – بل العمل على ان يمتلك الانسان هذه المهنة حتى الكمال ، وان يبدع فى المجال الذى اختاره ، وان يشتغل بتعمق .

التربية الاخلاقية

تعتبر **تربية الاخلاق الشيوعية** جزءا مكونا هاما من التربية الشيوعية . وهذا لا يعنى فقط استيعاب جوهر الخلق الشيوعى ومتطلباته ومبادئه الاساسية ، بل (وهذا الاهم !) عملية تكوين سلوك الانسان المطابق لهذه المبادئ ، وعاداته وطباعه وسماته الاخلاقية . ان توطيد مبادئ الخلق الشيوعى والتقيد الطوعى بقواعد التعايش الشيوعى يشكلان احدى اكبر مهمات تكوين الانسان الجديد .

وتحدد الاخلاق الشيوعية **القواعد الاخلاقية لبانى الشيوعية** المصاغة فى برنامج الحزب الشيوعى السوفييتى . وهذه القواعد الاخلاقية هى مجموعة المبادئ الاساسية التى يجب ان يسترشد بها الانسان الذى يبنى المجتمع الجديد ، الشيوعى .

وتخضع الاخلاق الشيوعية لمصالح نضال البروليتاريا الطبقى ؛ويشكل محتواها وهدفها النضال من اجل توطيد واكمال بناء الشيوعية . ومن وجهة نظر الاخلاق الشيوعية يعتبر اخلاقيا ذلك السلوك الذى يساعد تقدم المجتمع نحو الشيوعية ؛ والعكس بالعكس ، فالسلوك الذى يعرقل هذا التقدم يعتبر سلوكا لا اخلاقيا . وعليه ، فان النضال من اجل المجتمع الجديد يشكل ليس فقط الهدف الاساسى للاخلاق الشيوعية بل ومقياسا للتقييم الاخلاقى ، فوق كونه مقياسا علميا ، موضوعيا لانه يعرب عن الاتجاه الموضوعى لتطور البشرية . وتبرز علمية الاخلاق الشيوعية كذلك فى انها تعتمد الماركسية-اللينينية ، العقيدة العلمية الوحيدة ، اساسا نظريا لها .

وتكشف القواعد الاخلاقية محتوى الخلق الشيوعى وتعمم منجزات التقدم الاخلاقى للبشرية وخاصة افضل ميزات سلوك الناس فى سير بناء الاشتراكية والشيوعية ، وهى تتضمن المبادئ الاخلاقية الاساسية التالية :

- الاخلاص لقضية الشيوعية ، وحب الوطن الاشتراكى وبلدان الاشتراكية ؛
- العمل المخلص والشريف لما فيه خير المجتمع : من لا يعمل لا يأكل ؛
- حرص كل فرد على صيانة الملكية الاجتماعية ومضاعفتها ؛
- الادراك الرفيع للواجب الاجتماعى وعدم التسامح مع انتهاك المصالح الاجتماعية ؛
- الروح الجماعية والمساعدة الرفاقية المتبادلة : الفرد من اجل الجميع والجميع من اجل الفرد ؛

– العلاقات الانسانية والاحترام المتبادل بين الناس : الانسان للانسان صديق ورفيق وشقيق ؛

– النزاهة والاستقامة ، والنقاوة الاخلاقية ، وعدم العجرفة والتواضع فى الحياة الخاصة والاجتماعية ؛

– الاحترام المتبادل فى الاسرة ، والعناية بتربية الاطفال ؛

– عدم التساهل ازاء الظلم ، والطفيلية ، وعدم الامانة ، والوصولية ، والطمع بالمال ؛

– صداقة واخاء جميع شعوب الاتحاد السوفييتى ، وعدم التسامح مع الكراهية القومية والعنصرية ؛

– عدم التساهل ازاء اعداء الشيوعية وقضية السلام وحرية الشعوب ؛

– التضامن الاخوى مع كادحى جميع البلدان ، ومع جميع الشعوب .

وبنتيجة انتصار الاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى دخلت مبادئ الاخلاق الشيوعية بصورة وطيدة فى حياة غالبية اعضاء المجتمع السوفييتى . الا انه ما تزال عالقة فى وعى وسلوك قسم من الناس رواسب الرأسمالية . ويوجد من بينهم ايضا طفيليون يتهربون من العمل المفيد اجتماعيا ويعيشون عيشة طفيلية ؛ كما يوجد ايضا طماعون بالمال وانانيون وبيروقراطيون يستخفون بالمصالح الاجتماعية ويضعون «انا»هم فوق كل شىء ؛ ويوجد كذلك مختلسون للملك الشعبى ومنتهكون لانضباط العمل والقواعد الاجتماعية .

ان بقايا الرأسمالية تعيق على نحو جدى قضية البناء الشيوعى . والاشخاص ، المصابون بعدوى هذه البقايا ، يخرقون العمل الطبيعى ويعرقلون راحة

الناس ، ويعتدون على ملكية الشعب والافراد ، ويثيرون التنافر فى الحياة العائليـة ، الخ . يضاف الى ذلك ان بقايا الماضى قابلة للوجود فترة «طويلة» من الوقت ، فهى لا تتلاشى من تلقاء نفسها ، وتمارس تأثيرها على عقول الناس مدة طويلـة بعد ان تضمحـل الظروف الاجتماعية التى ولدتها . لذا فان النضال ضد بقايـا الماضى وضد مظاهر الاخلاق البرجوازية وضد رواسب نفسية الملكية الخاصة يشكل جزءا مكونا من العمل الخاص بالتربية الشيوعية .

واكثر الوسائل فعالية للقضاء على بقايا الماضى هى **العمل الانشائى** والمشاركة النشيطة من جانب جميـع اعضاء المجتمع فى بناء الشيوعية ، وكذلك الدراسـة المواظبة ورفع المستوى الثقافى والتعليمى العام بصورة مستمرة .

ويجب ان لا يغيب عن البال اطلاقـا ان العلاقات البشرية هى علاقات غاية فى التعقيد والتنوع . وتربية الاخلاق الشيوعيـة تقضى بان يؤخذ بالحسبان تعقد العلاقات البشرية وتنوع الطباع والمصائر البشرية ، وان يجتث بكل اصرار كل ما ولى زمنه وكل ما يضايق الانسان فى النمو والتطور والتقدم الى امام ، وما يعيق اظهار ابداع ومبادرة الناس ، وبان يخاض النضال فى سبيل الحق والعدالة ، وان تبرز فى الانسان البداءات الطيبة ، وبان يجرى البحث عن سبل الوصول الى قلبه ومشاعره وروحه .

وترتبط تربية الخلق الشيوعى ارتباطا وثيقا بحل مهمات البناء الشيوعى . فتكوين الاخلاق الرفيعة انما يحصل بالذات ابان المشاركة النشيطة فى بناء الشيوعية

وتطوير البادرات الشيوعية فى الحياة الاقتصادية والسياسية ، وتحت تأثير مجمل اساليب العمل التربوى .

التربية الجمالية

ان الميزات والاذواق الجمالية ، وحسن فهم وخلق ما هو رائع فى الفن وفى الحياة ، وبناء الحياة وفق قوانين الجمال ، ان ذلك كله يشكل صفة لازمة للانسان المتطور من جميع النواحى .

والانسان لا يملك بالولادة سوى احاسيس جمالية معينة وقابلية على الابداع الفنى ، الا ان هذه الاحاسيس لا تظهر من تلقاء ذاتها بل ينبغى تكوينها وتربيتها .

والتربية الجمالية هى بالدرجة الاولى تربية المشاعر والاحاسيس الفنية لدى الانسان . ولكن ذلك لا يعنى على الاطلاق ان الفعل الجمالى منفصل عن الفعل العقلى . انه دائما فعل عقلى ، بيد ان الناحية الانفعالية ذات اهمية كبيرة بوجه خاص فى الفن ، والقوة التأثيرية هى بالذات التى تضفى على المحتوى العقلى الفكرى العميق ، الملازم للاعمال الفنية الحقيقية ، صبغة شيقة وتجعله سهل الفهم . وعليه فان التربية الجمالية هى تربية العقل والمشاعر ، تربية العقل بواسطة المشاعر . وانه لكبير بوجه خاص دور الجمالية فى المجتمع الاشتراكى الذى يوفر للجماهير الكادحة الواسعة امكانيات مؤاتية من اجل خلق القيم الفنية والتمتع بها . وفى غضون ذلك فان دور الجمالية فى الحياة الاجتماعية ، دور الفن والادب ، سوف يتعاظم باستمرار بمقدار ازدياد نجاحات البناء الشيوعى .

ان الاذواق والخبرات الجمالية المتطورة ، القائمة على العقيدة العلمية والمفعمة بروح المذهبية الرفيعة ، ترفع من قدر الانسان ، وتزيده غنى ، وتجعل حياته اكثر مفادا ومحتوى ، وتستلزم الموقف التأثرى من الواقع . وهى تتيح للانسان رؤية الاشياء الرائعة ، وترسيخ اقدامها فى العمل والحياة ، وفهم الرسالة الحقيقية للقيم الفنية ، وليس فهم هذه القيم فقط بل وخلقها وابداعها ايضا . وتربية الخبرات والاذواق الجمالية ضرورية كذلك لكونها تمكن الانسان من صنع ادوات ومنتجات عمل رائعة يستحيل بدونها ان يعيش الانسان ويتطور من كافة الجوانب . ان الناس ، اذ يطرحون متطلبات جمالية عالية بخصوص منتجات العمل ، مدعوون فى الوقت نفسه الى تحقيق هذه المتطلبات فى عملهم نفسه ، وهو امر ممكن فقط فى حال وجود خبرات واذواق جمالية متطورة . وبناء عليه فان الخبرات والاذواق الجمالية ضرورية ليس فقط للفنان ، الذى يخلق التحف الفنية ، بل ولكل شخص يخلق قيما مادية .

ويعتبر **الفن** وسيلة هامة من وسائل تربية الاذواق الجمالية . علما بان التأثير الجمالى للفن على الانسان يزداد شدة بمقدار ما تكون الاعمال الفنية اكثر سطوعا وتعبيرا فنيا وبمقدار ما يكون فيها الترابط بين المحتوى الفكرى والشكل الفنى المتكامل اكثر عضوية . ومربى الاذواق الفنية يمكن ان يكون فقط الفنان الحقيقى — عدو اللافكرية واللاسياسية ، والتفاهة ، والنزعة الحرفية ، والتصوير المبسط للشخصيات وانعدام التعابير اللغوية الشعبية الساطعة .

وفى ظل الشيوعية ايضا يبقى الفن شكلا خاصا من اشكال النشاط البشرى ووسيلة هامة للتربية الجمالية . ولدى ذلك يبقى ، على ما يبدو ، تخصص الناس الى هذا القدر او ذاك فى هذه الناحية من الابداع الفنى او تلك . وليس مفروضا ابدا ان يصبح كل انسان فى ظل الشيوعية مثيلا لرفاييل او تشايكوفسكى او بوشكين ، بيد انه ، كما يقول ماركس ، «يجب على كل فرد ، يملك موهبة رفاييل ، ان تتوفر لديه امكانية التطور دون عائق» * .

وفى ظل الشيوعية يتخلص الانسان من الهموم المادية التى تنتزع حاليا منه وقتا غير قليل . وجميع حاجاته المادية سوف تلبى تماما . وسوف تنمو ثقافة المجتمع الى درجة هائلة فتنمو بالتالى امكانيات التمتع بمنجزاتها . وسوف تتسع دائرة متطلبات الناس الروحية واهتماماتهم ، وبالتالى امكانيات تلبيتها ايضا . وعلى اساس نمو الانتاج والعلم والتكنيك سوف يتقلص وقت العمل الى حد كبير ويزداد وقت الفراغ ، الامر الذى سيتيح للناس تكريس اوقات فراغهم للابداع الفنى .

الكمال الجسمانى

ان عملية تكوين الانسان الجديد مستحيلة بدون **كماله الجمسانى** . فالانسان الكامل جسمانيا هو بالدرجة الاولى الانسان الذى يتحلى بصحة جيدة . اذ انه من المعروف ان الصحة ، الجسدية والنفسية ، هى مقدمة

* ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ٣ ، ص ٣٩٢ .

ضرورية لنشاط الانسان العملى والاجتماعى . فالانسان الصحيح فقط قادر على امتلاك كل تنوع المظاهر البشرية ، ومقدرة شديدة على العمل ، وقدرة التمتع بجمال الطبيعة والعمل الابداعى ، والنظر الى الواقع المحيط به باعلى درجات التأثر . والانسان الكامل جسمانيا ليس مجرد انسان فقط . انه انسان يحسن التصرف بجسمه وعضلاته ، ويملك قيافة جميلة ، انسان شرح وقوى ونشيط وقادر على تحمل الاعباء الجسدية الشديدة . فمن لا يعرف ، مثلا ، ان الشخص الذى يمارس الرياضة هو شخص جميل ويبرز من بين الناس الآخرين ويلفت انتباههم عن غير قصد منه ويثير فيهم الرغبة بان يكونوا بمثل هذا الجمال والرشاقة .

قد نسمع احيانا من يقول بانه لا حاجة بالانسان الى ارهاق نفسه بالتكامل الجسمانى – ففى ظل الشيوعية ينعدم العمل الجسدى (كذا) . ولكن العمل (كما سبق ان ذكرنا) لن يتحول فى اى وقت من الاوقات الى لعب او لهو ، وسوف يتطلب من الانسان دائما جهودا معينة سواء اكانت فكرية ام جسدية . فادارة اعقد التكنيك تتطلب من الانسان رد فعل سريعا للغاية وانتباها وقدرة على ايجاد حل سريع للمسائل المعقدة ، وهذا يعنى ، دون استبعاد الجهود العضلية بحد ذاتها ، انتقالا معينا لمركز الثقل من الجهود العضلية العادية الى التوتر العصبى . وهذا يتطلب من الانسان اعدادا جسديا عاليا .

ان تنظيم التربية الجسدية للناس والتطوير الجماهيرى للتربية البدنية والرياضة هما وسيلتان فعالتان لانجاز الكمال الجسمانى لدى الانسان .

فالتربية الجسدية المنظمة جيدا تؤثر افضل التأثير على القدرة على العمل لدى الانسان وتعوض عن النقص فى الجهود الجسدية وخاصة عند الاشخاص الذين يتسم عملهم بقلة الحركة .

والرياضة ، طبعا ، لا يمكن وجودها بدون ارقام قياسية ، وبدون مشاهير رياضيين ، وبدون مباريات ولقاءات رياضية . بيد ان المهمة الرئيسية للتربية البدنية والرياضة فى الاتحاد السوفييتى ليست التركيز على الارقام القياسية والنجوم الرياضية بل اجتذاب ملايين وملايين الناس الى الحركة الرياضية ، ومن ثم جميع اعضاء المجتمع ، فى المستقبل . والامر الذى يميز النظام السوفييتى للتربية الرياضية هو جماهيريتها الحقيقية بالدرجة الاولى . وفى هذا يكمن الفارق بينه وبين الانظمة القائمة سابقا والقائمة حاليا على السواء .

ويوجد فى البلاد السوفييتية ما يربو على ٢٠٠ الف جمعية رياضية اولية يمارس فيها الرياضة اكثر من ٥٠ مليون شخص . والرياضة متطورة تطورا واسعا فى المدارس ودور التعليم العالى . وتتخذ الاجراءات من اجل جعل ممارسة التربية البدنية والرياضة امرا اعتياديا وقضية محببة لدى كل فرد ، وكى تدخلا فى حياته وعمله ومعيشته . ان التربية الشاملة لميزات الانسان الجسدية والروحية والاخلاقية هى الطريق نحو كمال الشخصية البشرية وتطورها من كافة النواحى .

وفى تكوين هذا الانسان ، المتطور من جميع النواحى وبصورة متناسقة ، يكمن اسمى هدف للشيوعية وغرضها . فالشيوعية تُبنى بالناس ومن اجل الناس . وفى هذا قوة الشيوعية وضمانة انتصارها العتيد .

الشيوعية – مستقبل البشرية

(خاتمة)

وضع زعيما الطبقة العاملة العظيمان ماركس وانجلس نظرية الشيوعية العلمية . فالتحليل العميق للواقع الرأسمالى ودراسة وتعميم نضال الكادحين ضد الاستثمار قد مكّناهما من الوصول الى الاستنتاج بان الرأسمالية يجب ان تخلى المكان التاريخى لمجتمع جديد – الاشتراكية ، لمجتمع خال من الاستثمار وانواع الاضطهاد الاخرى . وكشفا وسيلتى الاطاحة بالرأسمالية : النضال الطبقى والثورة الاشتراكية ، وميزا القوة الاجتماعية القادرة على القضاء على الرأسمالية وبناء الاشتراكية : الطبقة العاملة .

طوّر لينين ، القائد العبقرى للبروليتاريا الروسية والعالمية ، نظرية الشيوعية العلمية فى الظروف التاريخية الجديدة – فى عصر الامبريالية – عشية الثورة

الاشتراكية . وكشف لينين امكانية انتصار الاشتراكية فى بلد واحد او عدة بلدان اولا . وانشأ حزبا من طراز جديد : الحزب الثورى للطبقة العاملة الذى غدا منظم العمال وجميع الكادحين وقائدهم فى النضال ضد الرأسمال ومن اجل انتصار الاشتراكية . وكان لينين زعيم ثورة اكتوبر الاشتراكية – اول ثورة ظافرة للطبقة العاملة فى العالم . وارسى انتصار ثورة اكتوبر بداية عهد جديد فى تطور البشرية – عهد الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . وبانتصار ثورة اكتوبر انقسم العالم الى نظامين اجتماعيين : الرأسمالى والاشتراكى . وبانتصار ثورة اكتوبر كفت الاشتراكية عن ان تكون نظرية وحسب ، فقد انتشر نضالها العملى وبناؤها .

وبعد ان اجتازت طرقا غير معهودة من قبل وتحملت مصاعب هائلة ، قامت الطبقة العاملة السوفييتية ، وبالتحالف مع الفلاحين الكادحين وبقيادة الحزب الشيوعى ، ببناء الاشتراكية ، وهى تقوم حاليا ببناء الشيوعية . وفى سير هذا العمل الانشائى الضخم تم اكتناز تجربة لا تقدر بثمن واكتشاف القوانين العامة والسبل الواحدة لبناء الاشتراكية امام اكثر البلدان اختلافا . واهم هذه القوانين : انجاز الثورة الاشتراكية بهذا الشكل او ذلك ؛ اقامة دكتاتورية البروليتاريا والدور القيادى للحزب الشيوعى فى المجتمع ؛ التحويل الاشتراكى للاقتصاد ولمجمل نظام العلاقات الاجتماعية والثقافة . وهذه القوانين العامة ، التى تتجلى على نحو خاص فى كل بلد على حدة ، قد اكدت عليها ممارسة البناء العملى للمجتمع الجديد فى بلدان المنظومة الاشتراكية العالمية .

تقوم الاشتراكيـــة كنظام اجتماعى منذ ما يزيد عن نصف قرن ، وهو فترة ضئيلة جدا اذا قسنا الزمن بمعيار تاريخ البشرية المتعدد القرون . ولكنها ، فى هذه الفترة القصيرة ، اظهرت افضلياتها التى لا يرقى اليها الشك على الرأسمالية ، واتاحت حل جملة من اكثـــر المسائل الحاحا التى جهدت البشرية مئات السنين من اجل حلها . وقضت الاشتراكيـــة على استثمار الانسان للانسان وايقظت جماهير كادحة هائلـــة للاشتراك النشيط فى الابداع التاريخى ، وجعلتها سيدا للمجتمع وخالقا ومستهلكا لجميع القيم الماديـــة والروحية . ووضعت الاشتراكية فى خدمة الانسان الكادح منجزات الانتاج والعلم والثقافـــة ، وحلـــت بصورة عادلـــة المسألتين القوميـــة والفلاحيـــة ، واقرت مبدأ جديدا للعلاقات الدولية ، مبدأ التعايش السلمى .

ان نجاحات الاشتراكية عظيمة ، وقد حظيت باعتراف العالم كله ، ولا يمكن ان لا يأخذها بالاعتبار حتى اخصام النظام الجديد . بيد ان آفاقا اكبر للغاية ، آفاقا عملاقة حقا تفتحها امام البشرية الشيوعية ، وهى الطور الثانى ، الاعلى ، للمجتمع الجديد . والشيوعية تضمن لشعوب الارض سلما ابديا ، وسوف يتحرر الناس الى الابد من القلق على مستقبلهم ومستقبل اطفالهم . وستقيـــم الشيوعية سيادة العمل على الارض ، وتجعل العمل حرا وخلاقا بالنسبة للجميع ، وتحوله الى حاجة حياتية اولى لدى الانسان والى مصدر للغبطة والالهام . والشيوعية ستفتح المملكة الحقيقة للحرية ، حرية الانسان ككادح ، ككائن اجتماعى ، كمبدع ومفكـــر وسلطان على القوى الجبارة للطبيعة والقوى الاجتماعية . والشيوعية سوف

تضمن المساواة والاخاء لجميع الناس طالما انهم سيكونون جميعا اناس عمل يشتغلون بكل ما اوتوا من مؤهلات ويلبون بنفس المقدار كمالا حاجاتهم المتنوعة ، الحاجات المعقولة والسليمة لانسان متطور من كافة النواحي . وسيغدو الانسان للانسان صديقا ورفيقا وشقيقا بكل ما فى هذه الكلمات من معان رفيعة . وسوف تجلب الشيوعية السعادة الحقيقية لجميع الناس ، سعادة الثقة المتفائلة بالمستقبل الوضاء ، سعادة العمل بصورة مبدعة وتقديم اكبر الفائدة للمجتمع ولانفسهم ، وامكانية استكمال ميزاتهم العقلية والجسدية الى اقصى حد .

وكما يتبين فان الشيوعية تتجاوب مع اكثر مصالح الشعوب الحاحا واعز امانيها ، وهى عبارة عن اكثر الانظمة الاجتماعية انسانية . لذا فليس من وليد الصدف ان تستأثر الشيوعية بعقول وقلوب ملايين جديدة من الناس ، وان تجد لنفسها مناصرين ومناضلين جددا وجددا فى مختلف بقاع الكرة الارضية .

وفى هذا قوة الشيوعية ، وفى هذا اهم عامل لانتصار الشيوعية فى العالم بأسره .

بيد ان الشيوعية لا تأتى من تلقاء نفسها . فما يزال يتعين خوض نضال عنيد ومديد سيذهب بعدد غير قليل من الارواح ويكلف البشرية ثمنا ليس بالقليل . ولكن هذه التضحيات والخسائر ستعوض بربح . وفى القرن الماضى كانوا يطلقون على الشيوعية اسم الشبح الذى يجوب اوروبا . اما فى الوقت الحاضر فقد غدت مجتمعا واقعيا يبنى على رحاب هائلة من اوروبا وآسيا واميركا اللاتينية . وقد اخذت تسير فى الطريق نحو

الاشتراكيـــة ونحو الشيوعيـــة العديد من الشعوب والدول ، وعلى هذا الطريق سوف تسير جميع الشعوب والدول عاجلا ام آجلا .

ان الشيوعية هى المستقبل الوضاء للبشرية بأسرها .

محتويات

الفصل الاول . علم الاشتراكية
والشيوعية ٣
١ – الحتمية التاريخية لانتصار الاشتراكية ٣
ماركس وانجلس مؤسسا علم الاشتراكية
والشيوعية ٣
الاسس النظرية للاشتراكية العلمية . . . ٦
الثورة الاشتراكية وسيلة استبدال الرأسمالية
بالاشتراكية ٩
الرسالة التاريخية للطبقة العاملة . . . ١٢
٢ – اللينينية تطوير خلاق لعلم الاشتراكية
والشيوعية ١٦
انتصار الافكار اللينينية ١٦
تطوير لينين لنظرية الثورة الاشتراكية . . ٢٠
اللينينية تعاليم اممية ٢٥
٣ – أفول الرأسمالية العالمية ٣١
رأسمالية الدولة الاحتكارية ٣٢
الجوهر اللاانسانى للرأسمالية المعاصرة . . ٣٧

الفصل الثانى . عصرنا هو عصر انتقال البشرية
من الرأسمالية الى الاشتراكية . . . ٤٨
١ – المحتوى الاساسى للعصر الراهن . . . ٤٨
ثورة اكتوبر بداية العصر الراهن . . . ٥٠
العملية الثورية العالمية وقواها المحركة
الاساسية ٥٦
٢ – تحول نظام الاشتراكية الى عامل حاسم
للتطور العالمى ٥٨
طراز جديد للعلاقات بين الدول ٥٩
توطيد الوحدة اكبر مهمة ٦٣
القوة الجبارة للتطور العالمى ٦٥
النظام العالمى للاشتراكية والنضال من اجل السلم ٧٤
٣ – الحركة العمالية الثورية فى بلدان الرأسمال ٧٨
الميزات الاساسية لنضال الطبقة العاملة الثورى ٧٨
الصلة الوثقى بين المهمات الديمقراطية والمهمات
الاشتراكية ٨١
اشكال تحقيق الثورة الاشتراكية ٨٣
٤ – الحركة الشيوعية المعاصرة ٨٧
الحركة الشيوعية اكثر قوى عصرنا نفوذا . . ٨٧
تعزيز وحدة الحركة الشيوعية العالمية مهمة من
الدرجة الاولى ٩١
٥ – حركة التحرر الوطنى ٩٥
انهيار النظام الاستعمارى للامبريالية . . ٩٥
طابع ثورة التحرر الوطنى وقواها المحركة ٩٩
احراز الاستقلال الاقتصادى مرحلة جديدة فى
تطور الثورة ١٠٤
النضال لاختيار طريق تطور البلدان المتحررة ١٠٩

طريق التطور اللارأسمالى ١١٠
الفصل الثالث . طرق الانتقال من الرأسمالية الى
الاشتراكية ١١٧
١ – القوانين العامة والاشكال الخاصة لبناء
الاشتراكية ١١٧
٢ – دكتاتورية البروليتاريا والدور القيادى
للحزب الشيوعى هما الشرط الحاسم لبناء
الاشتراكية ١٢١
٣ – التحويلات الاقتصادية ١٢٨
التأميم الاشتراكى ١٢٨
اشاعة التعاون فى الزراعة ١٣١
التصنيع الاشتراكى ١٣٧
٤ – اعادة تنظيم العلاقات القومية ١٤١
٥ – الثورة الثقافية ١٤٦
الفصل الرابع . الاشتراكية – الطور الاول
للمجتمع الشيوعى ١٥٢
١ – اقتصاد الاشتراكية ١٥٥
التطور المخطط قانون الاشتراكية ١٦١
٢ – التركيب الطبقى والتنظيم السياسى
للمجتمع الاشتراكى ١٦٣
التركيب الطبقى ١٦٣
التنظيم السياسى ١٦٩
٣ – الثقافة الروحية للاشتراكية ١٧٥
٤ – الاشتراكية والشخصية ١٨٠
الفصل الخامس . الشيوعية – الطور الاعلى
للمجتمع الجديد ١٨٥
١ – السمات الاساسية لمجتمع المستقبل ١٨٦

القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية . . ١٨٦
من كل حسب قدرته ولكل حسب حاجته . . ١٩٢
الشيوعيــة والعمل ١٩٧
التجانس الاجتماعى للمجتمـع ٢٠٠
الادارة الاجتماعية الذاتيــة ٢٠٢
٢ – الفرد فى ظل الشيوعية ٢٠٤
الشيوعية – ذروة الحرية البشريــة . . . ٢٠٦
الشيوعية تنشأ على اساس الاشتراكية . . ٢٠٩
الفصل السادس . اتحاد الجمهوريات الاشتراكية
السوفييتية يبنى الشيوعيــة ٢١٢
١ – انشاء القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية ٢١٣
التكثيف هو السبيل الاساسى لانشاء القاعـدة
المادية التكنيكية للشيوعيـــة . . . ٢١٣
الثورة العلمية التكنيكية ونتائجها الاجتماعيـة ٢١٩
تحول العلم الى قوة منتجة ٢٢٣
الاصلاح الاقتصـــادى ٢٢٦
٢ – من العلاقات الاجتماعية الاشتراكيـــة الى
العلاقات الاجتماعية الشيوعية ٢٣٢
نحـــو المساواة الاقتصادية ٢٣٢
تلاشى الفروقات الجوهرية القائمة بين المدينة
والقرية ٢٣٦
تصفية الفروقات الجوهرية القائمة بين كادحى
العمل الفكرى والعمل الجسدى ٢٤٣
تطوير الامم والتقريب فيما بينهـا . . . ٢٤٧
تطوير الديمقراطية الاشتراكية هو السبيل نحو
الادارة الاجتماعية الذاتيــة ٢٥٠
٣ – تكوين الانسان الجديد ٢٦٠

ضرورة التربية الشيوعية ٢٦٠
وسائل التربية الشيوعية ٢٦٢
تكوين العقيدة العلمية ٢٦٤
النضال ضد الايديولوجيا البرجوازية . . ٢٦٧
التربية فى العمل ٢٦٨
التربية الاخلاقية ٢٧٠
التربية الجمالية ٢٧٤
الكمال الجسمانى ٢٧٦
الشيوعية – مستقبل البشرية (خاتمة) . . ٢٧٩

فكتور افاناسييف – فيلسوف سوفييتي بارز ، دكتور فى العلوم الفلسفية وبروفيسور وعضو مراسل فى اكاديميـــة العلوم السوفييتية . الف عددا من الكتب فى مختلف القضايـا الفلسفية منها «اسس المعارف الفلسفية» (وقد صدرت سبع طبعات منها) ، و«الشيوعية العلمية» (موسكو ، ١٩٦٦) ، و«ادارة المجتمع العلمية» (موسكو ، ١٩٦٨ و١٩٧٣) ، و«الثورة العلمية التكنيكية الادارة التعليم» (موسكو ، ١٩٧٢) . وتمت ترجمة جملة من مؤلفاته الى عدد من اللغات الاجنبية وفى كتابه الجديد «الاشتراكية والشيوعية» يعرض افاناسييف بشكل واضح نظرية الاشتراكية وممارستها ويبين القوانين الاساسية الملازمة للمجتمع الجديد ومزاياه بالمقارنة مع الرأسمالية ويرسم صورة عامة عن النظام الشيوعى المقبل . ويتناول الكتاب مسائل الثورة الاشتراكية وتحقيق دكتاتورية البروليتاريا واهم القضايا المعاصرة للحركة الشيوعية والعمالية وحركة التحرر الوطنى والحركة الديمقراطية العامة . وفى سياق معالجة مسائل بناء الاشتراكية يولى المؤلف انتباها خاصا لقضايا مثل القضاء على الطبقات الاستغلالية وتطوير القـوى المنتجة وتكوّن علاقات الانتاج الاشتراكية والثورة الثقافية وتطور العلاقات بين البلدان الاشتراكية .

كما يوضح الكاتب فى الفصل المتعلق بالنظام الشيوعى المقبل مسائل انشاء القاعدة المادية والتكنيكية للشيوعية وتكوين العلاقات الاجتماعية الشيوعية وتربية الانسان الجديد





دار التقدم
موسكو